مجلة
الجامعة الإسلامية

تصدر عن الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة - العدد الثالث - السنة الثانية - محرم ١٣٩٠هـ

في هذا العدد

الجامعة الاسلامية

مجلة تصدر كل ثلاثة أشهر

من الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

المراسلات المتعلقة بالتحرير ترسل الى :

الجامعة الاسلامية – المدينة المنورة

سكرتير المجلة

ISLAMIC UNIVERSITY MADINA

قيمة الاشتراك لسنة واحدة (٦) ريالات

تضاف اليها اجرة البريد

متعهد التوزيع :

« الدار السعودية للنشر والتوزيع »

جدة – شارع قابل – ص ب ٢٠٤٣

بحوث هامة حول الزكاة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه . أما بعد فان الباعث لكتابة هذه الكلمة هو النصح والتذكير بفريضة الزكاة التي تساهل بها الكثير من المسلمين فلم يخرجوها على الوجه المشروع مع عظم شأنها وكونها أحد أركان الاسلام الخمسة التي لا يستقيم – بناؤه الا عليها لقول النبي صلى الله عليه وسلم (بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت) متفق على صحته وفرض الزكاة على المسلمين من أظهر محاسن الاسلام ورعايته لشئون معتنقية لكثرة فوائدها ومسيس حاجة فقراء المسلمين اليها فمن فوائدها تثبيت أواصر المودة بين الغني والفقير لان النفوس مجبوله على حب من احسن اليها ومنها تطهير النفس وتزكيتها والبعد بها عن خلق الشح والبخل كما أشار القرآن الكريم الى هذا المعنى في

قوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) ومنها تعويد المسلم صفة الجود والكرم والعطف على ذوي الحاجة ومنها استجلاب البركة والزيادة والخلف . كما قال تعالى (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وقول النبي (ص) في الحديث الصحيح يقول الله عز وجل (يا ابن آدم انفق ننفق عليك) الى غير ذلك من الفوائد الكثيرة .

وقد جاء الوعيد الشديد في حق من بخل بها او قصر في اخراجها قال الله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) فكل مال لا تؤدي زكاته فهو كنز يعذب به صاحبه يوم القيامة كما دل على ذلك الحديث الصحيح عن النبي (ص) انه قال (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار ثم ذكر النبي (ص) صاحب الأبل والبقر والغنم الذي لا يؤدي زكاتها وأخبر أنه يعذب بها يوم القيامة وصح عن رسول الله (ص) انه قال (من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه (يعني شدقيه) ثم يقول انا مالك كنزك ثم تلا النبي (ص) هذه الاية (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة)

والزكاة تجب في أربعة أصناف . الخارج من الأرض من الحبوب والثمار ، والسائمة من بهيمة الانعام ، والذهب والفضة وعروض التجارة . ولكل من هذه الأصناف الأربعة نصاب محدود لا تجب الزكاة فيما دونه فنصاب الحبوب والثمار خمسة أوسق والوسق ستون صاعاً بصاع النبي (ص) فيكون مقدار النصاب

من التمر والزبيب والحنطة والأرز والشعير ونحوها ثلاثماية صاع بصاع النبي (ص) وهو أربع حفنات بيدي الرجل المعتدل الخلقة إذا كانت يداه مملوئتين . وأما نصاب السائمة من الابل والبقر والغنم ففيه تفصيل مبين في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله (ص) وفي استطاعة الراغب في معرفته سؤال أهل العلم عن ذلك ولولا قصد الايجاز لذكرناه لتمام الفائدة .

وأما نصاب الفضة فمائة واربعون مثقالا ومقداره بالدرهم العربي السعودي ستة وخمسون ريالا . ونصاب الذهب عشرون مثقالا ومقداره من الجنيهات السعودية أحد عشر جنيها وثلاثة أسباع الجنيه والواجب فيهما ربع العشر على من ملك نصاباً منهما أو من أحدهما وحال عليه الحول والربح تابع للأصل فلا يحتاج الى حول جديد كما ان نتاج السائمة تابع لاصله فلا يحتاج الى حول جديد اذا كان أصله نصابا . وفي حكم الذهب والفضة الأوراق النقديه التي يتعامل بها الناس اليوم سواء سميت درهما أو دينارا او دولارا او غير ذلك من الأسماء اذا بلغت قيمتها نصاب الفضة او الذهب وحال عليها الحول وجبت فيها الزكاة ويلتحق بالنقود حلى النساء من الذهب والفضة خاصة اذا بلغت النصاب المتقدم وحال عليها الحول فإن فيها الزكاة وإن كانت معدة للاستعمال أو العارية في أصح قولي العلماء لعموم قول النبي (ص) . (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاتها إلا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار) الخ الحديث المتقدم . ولما ثبت عنه (ص) أنه رأى بيد امراة سوارين من ذهب فقال اتعطين زكاة هذا قالت لا قال : أيسرك ان يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار فألقتهما وقالت هما لله ولرسوله أخرجه ابو داود والنسائي بسند حسن وثبت عن أم سلمه رضي الله عنها انها كانت تلبس أوضاحاً من ذهب فقالت : يا رسول الله أكنز هو فقال (ص) (ما بلغ أن يزكى فزكى فليس بكنز) مع أحاديث اخرى في هذا المعنى . اما العروض وهي السلع المعدة للبيع فانها تقوّم في آخر العام ويخرج ربع عشر قيمتها سواء كانت قيمتها مثل ثمنها او اكثر او اقل لحديث سمرة قال كان رسول الله (ص) يأمرنا ان نخرج الصدقة من الذي نعده للبيع رواه ابو داود . ويدخل في ذلك الأراضي المعدة للبيع

والعمارات والسيارات والمكائن الرافعة للماء وغير ذلك من أصناف السلع المعدة للبيع . أما العمارات المعدة للإجار لا للبيع فالزكاة في أجورها اذا حال عليها الحول اما ذاتها فليس فيها زكاة لكونها لم تعد للبيع وهكذا السيارات الخصوصية والتكاسي ليس فيها زكاة اذا كانت لم تعد للبيع وانما اشتراها صاحبها للاستعمال واذا اجتمع لصاحب سيارة الأجرة او غيره نقود تبلغ النصاب فعليه زكاتها اذا حال عليها الحول سواء كان اعدها للنفقة او للتزوج او لشراء عقار او لقضاء دين او غير ذلك من المقاصد لعموم الأدلة الشرعية الدالة على وجوب الزكاة في مثل هذا والصحيح من أقوال العلماء ان الدين لا يمنع الزكاة لما تقدم . وهكذا اموال اليتامى والمجانين تجب فيها الزكاة عند جمهور العلماء اذا بلغت النصاب وحال عليها الحول ويجب على اوليائهم اخراجها بالنية عنهم عند تمام الحول لعموم الادلة مثل قول النبي (ص) في حديث معاذ لما بعثه الى اهل اليمن (ان الله افترض عليهم صدقة في اموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرائهم)

والزكاة حق الله لا تجوز المحاباة بها لمن لا يستحقها ولا ان يجلب الانسان بها لنفسه نفعا او يدفع ضرا ولا ان يقي بها ماله او يدفع بها عنه مذمة . بل يجب على المسلم صرف زكاته لمستحقيها لكونهم من اهلها لا لغرض آخر مع طيب النفس بها والاخلاص لله في ذلك حتى تبرأ ذمته ويستحق جزيل المثوبة والخلف .

وقد اوضح الله سبحانه في كتابه الكريم أصناف اهل الزكاة فقال تعالى (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) وفي ختم هذه الآية الكريمة بهذين الاسمين العظيمين تنبيه من الله سبحانه لعباده على انه سبحانه هو العليم بأحوال عباده ومن يستحق منهم للصدقة ومن لا يستحق وهو الحكيم في شرعه وقدره فلا يضع الأشياء الا في مواضعها اللائقة بها وان خفي على بعض الناس بعض أسرار حكمه ليطمئن العباد لشرعه ويسلموا لحكمه والله المسئول أن يوفقنا والمسلمين للفقه في دينه والصدق في معاملته والمسابقة إلى ما يرضيه والعافية من موجبات غضبه انه سميع قريب وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه .

نائب رئيس الجامعة الاسلامية

عبد العزيز بن عبدالله بن باز

النبوة : اصطفاء وقدوة

للشيخ أحمد مختار البزرة المدرس بكلية الدعوة

إن العالم يتطلع فى هذا العصر إلى أمة تتحمل الواجب المقدس فى الدفاع عن الانسان هذه الأمة يجب أن تصير قدوة ، ولا تصير قدوة إلا إذا عرفت فى تاريخها مثلاً يحتذى

المحاضرة الرابعة فى الموسم الثقافى لعام ٨٩ـ٩٠ الذى تقيمه الجامعة الاسلامية بالمدينة وقد القاها المحاضر على جمع غفير من رجال العلم والحجاج وطلاب الجامعة بمقر دار الحديث بالمدينة .

يعيش انسان العالم المعاصر أياما شدادا : تظله غيوم التشاؤم ، ويملأ نفسه اليأس ، انه فى عالم العصر الحديث : عصر المدنية الغربية الذاهبة شرقا وغربا : مدنية المعجزات العلمية والمخترعات الباهرات ، مدنية شق صانعوها أجواء الفضاء وحزموا الحقائب للسفر الى الكواكب: مدنية فتحت لاعينها آيات رائعات على عظمة القدرة الخالقة ودلائل على البارىء المقدر الحكيم ! ومع ذلك فان انسان هذه المدنية فى قنوط وعجز وخوف : خوف من مدنيته التى شيدتها يداه ، ينظر فى كل مكان فيرى رؤوس القنابل النووية فى البر والبحر والجو مشرعة تريد أن تنقض ، فيغمض عينيه ويهرب بنفسه الى دنيا الوجوديين والعراة والخنافس والمخدرات : خوف على خوف اذا وضع يده على قلبه انكره . انسان هذه المدنية يلوك خيبة مريرة : لقد قضى قرونا بحثا عن السعادة والمعرفة والحق والخير والجمال ، وأقام دهرا طويلا يتشدق بالحرية والعدالة والمساواة ، لكنه

أخفق في تحصيلها ، وأخذ بنفسه وبالاخرين لما فرض نفسه وحضارته عليهم دليلا وقيما • فأشقى نفسه وألقى على أمم الارض الشقاء •

انسان هذه المدنية ـ على عديد تجاربه في الحياة وضخامة وسائله وامكانياته ـ ليس كالانسان الذى كرمه خالقه اول مرة وأمر الملائكة بالسجود له • انه انسان فقد نقاء الفطرة ، وانحط عن مرتبة الكمال الامثل ، انسان رضى بالارض قسما وباع السماء بيعة وكس ، وقطع بينه وبينها الاسباب وعاش في الارض للارض لا لربه ولا لنفسه، ومنها اشتق معناه الوجودى : معنى ماديا بحتا ، ووزن نفسه بترابها : بذهبها أو حديدها او نحاسها أو زيتها او حبها فلم يعرف لنفسه قدرا وقيمة الا بمقدار ما جمع منها وما حاز • وكان الوزن عند الله الحق والعدل والخير والامانة •

كأنّ هذا انحرافا كبيرا عن الصراط المستقيم الذى هدى الله اليه الانسان : انحرافا قذف به الى الجانب المظلم الداكن من الحياة : الى الخوف بعد الامن •• الى الظلم بعد العدل •• الى العبودية بعد الحرية •• الى الفقر بعد الرخاء •• الى الشقاء بعد السعادة •• الى القلق بعد الطمأنينة •• الى الكفر بعد الايمان •• الى الحرب بعد السلام •

ويقف هذا الانسان وقد أعد كل شيء للحرب والفتك ليخادع نفسه كما خدعها مرارا وليبحث ويتحدث في السلام •

يا لها من أغنية حلوة عذبة ! كذلك يتغنى السجناء بأناشيد الحرية من وراء القضبان •

قالت خديجة رضى الله عنها « الله السلام ومنه السلام » (١) وحق ما قالت ، فمن أراد السلام فليلتمسه في حمى الله : في شريعته ومبادئه • وأية جدوى في البحث عنه في قلوب خاوية من تعاليم الرب لم تبق فيها شهوة المادة شعاعا من نور ، ولا نبضة من رحمة ؟

ان السلام ينبثق من المحبة ، والمحبة تتفجر من الايمان • وان الحرب تلدها البغضاء ، والبغضاء سليلة الكفر والالحاد • اذن لا أمل للانسانية في سلام ونجاة وللكفر والالحاد في الارض دولة وسلطان •

ان خلاص الانسانية الحقيقى أن تجد سبيلا الى محبة : محبة خالصة منزهة وليست هي في المادة ! فان المادة تستولى على قلب الانسان ولا تورثه الا أثرة و شحناء • وليست المحبة في الالحاد ، فان الالحاد في حقيقته حقد جاحد : حقد مخلوق متكبر على الخالق المنعم • وكيف يعطى قلب خلا من الايمان جاحد بموجده ،

---

(١) ابن هشام م ١ ص ٢٤١ • تحقيق مصطفى السقا وزملائه •

حاقد على ربه محبة صادقة نقية معينة ؟ وهل يجتمع نقي الحب وأسود الحقد فى قلب واحد ؟

ان مستنقع الحقد لا ينبت فيه الا الخبيث ، وان الالحاد فحمة الحقد على نور السماء ٠

تعيش البشرية هذه الايام الشداد ، وعلى الذين يستطيعون أن يقدموا لها شيئا فى انقاذها أن يسرعوا فى أداء واجبهم قبل انتحق من الله كلمة العذاب ٠

ان الدول الكبرى قدمت ما عندها للاخرين : قدمت القوة المادية الجبارة التى لا ترحم ٠ وقالت هذه الدول كلمتها البقاء والحق للاقوى فقضت بذلك على آمال الانسانية التاريخية بالعدالة والاخاء لقد قالت هذه الدول كلمتها الاخيرة ، وما فى كلمتها الا الاستعباد والظلم والاضطهاد وخنق الروح والضمير ٠ وان الواجب يفرض على أولئك الذين عرفوا فى تاريخهم وشريعتهم قانونا غير الظلم والاستعباد أن يقولوا كلمتهم ٠

ان الدول الكبرى قالت كلمتها ، وحيل بيننا نحن المسملين وبين كلمتنا أن نقولها فى حاضرنا ومستقبلنا وفى حاضر الانسانية ومستقبلها ٠ وانى لاقول ـ وما قولى بادعاء ـ ما على ظهر الارض أمة غيرنا عندها للحق بيان ومنهج ، فان كتابنا يحتفظ بكلمة السماء فى صفائها الازلى الاولى ،

وان تاريخنا يشهد بواقع تطبيقى حسن لهذه الكلمة ٠

ان العالم يتطلع فى هذا العصر المضنى الى أمة تتحمل الواجب المقدس فى الدفاع عن الانسان واخراجه من الظلام الى النور : أمة تستطيع بما فيها من ذخر روحى ، وما عندها من قيم الهية أن تكون أرقى بنى الانسان فكرا وشعورا وانبله غاية وهدفا ، وأقدره على تسلم القيادة فى معمع الاخطار ٠ هذه الامة يجب ان تصير قدوة ، ولا تصير قدوة الا اذا عرفت فى تاريخها مثلا يقتدى ، فريدا كاملا من البشر : كاملا فى انسانيته : فى حبه الخير وبغضه الشر ، لا عوج فى طريقته ولا انحراف فى شخصيته : تجده كتلة من المعانى الخالدة متجسدة فى كلمات ، وعمل وتنظيم ٠ اذا اتبعته أمته ، وتبنت أهدافه ، ورفعت شعاره ، وانطلقت فى دروب سيرته صارت حياتها اشبه شىء بحياته ٠

هذه الامة التى تستطيع ذلك باذن ربها هم المسلمون ، وذلك المثال الرفيع هو محمد صلى الله عليه وسلم ٠

انه لم يبق لنا فى هذه الايام الشداد الا أن نعود الى نبع الفطرة الصافى نستقى منه : انه لا بد من العودة الى الانبياء ٠

ولقد جاء كبار الرسل أممهم على حال لا تختلف بما فيها من قلق وظلم وفساد والحاد وانحدار فى القيم

الانسانية عن عصرنا • فلنقف اذن لحظات مع :

١ـ مع عصر النبوة •

ولننظر ٢ـ فى اصطفاء الذات النبوية •

ولنتأمل ٣ـ فى اعداد الله للرسول :

أـ اعدادا نفسيا

بـ التمهيد لظهوره تاريخيا •

جـ والتهيئة له اجتماعيا •

فاذا احطنا بذلك بدت لنا :

٤ـ ضرورة القدوة •

أـ عصر البعثة النبوية :

لا مراء فى أن عصر البعثة النبوية عصر ممتاز بين الاعصر الزمنية ، له فى علم الله ميعاد معلوم كسر من اسرار الغيب ، حتى يأذن الله بانزال رسالته على عبده المختار • (ولوددت لو يتسع للقول مجال للحديث عن خصائص عصر النبوة ، لكن المحاضرة تضيق عن هذا القصد •حتى الحديث الفائض عن عصر البعثة المحمدية يزيد على حظنا من الوقت • ومن ثم أجتزىء بالكلام عن العام الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعلنا نظفر بفائدة وحكمة) •

فليس من شك اذن أن الله يختار للنبى عصره ، ويؤقت له : ميلاده ، ومبعثه ، ووفاته • ولقد قال تعالى لموسى عليه السلام بعد أن ذكره بأطوار ماضية وكلاءته له فيه « ثم جئت على قدر يا موسى » (١)

وكذلك فان ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم على قدر وموعد الهى مع الزمان ، وكان عام الفيل الذى ولد فيه عاما فاحلا فى تاريخ الانسانية ، عاما مليئا بالاحداث الضخام • أقبل فيه أبرهة الاشرم يريد هدم الكعبة بعد أن نجح الاحباش فى احتلال اليمن • ومات أبرهة قائدا جلدا طموحا بعيد الاهداف ، قد أزمع أن يجعل من اليمن قاعدة ملك له تنطلق منها عساكره للسيطرة على جزيرة العرب سيطرة سياسية وعسكرية واقتصادية ، وان يشد اليه قبائل العرب المتنافرة المتدابرة بخيوط واوتار يحركها ويضرب عليها كيفما شاء • وأعمل ابرهة الفكر وكان ذا نظرة استعمارية داهية ، لا يعوزها شىء من حنكة المتخصصين باستعمار الشعوب فى العصر الحديث ، فصمم خطته لتحويل العرب تحويلا دينيا يجعل الطريق أمامه معبدا ذللا لتحقيق اغراضه الاستعمارية • وهو أمر لا يختلف فى شىء عن الغزو الفكرى وأهدافه الذى يستهدف العرب والمسلمين اليوم • وكان ابرهة نصرانيا فأراد حمل العرب على اعتناق النصرانية بالمكر والسيف ، فكان صاحب أول حملة صليبية فى التاريخ على بلاد العرب • وهذا ما أدركه العرب واضحا من

---

(١) سورة طه ، الاية : ٤٠

غرض تحركاته العسكرية ،وأفصح عنه عبد المطلب وهو اخذ بحلقة باب الكعبة يستغيث الله :

لا هم ان العبد يمنع
رحله فامنع حلالك

لا يغلبن صليبهم
ومحالهم غدوا محالك (١)

وكانت الكعبة منذ اغوار الزمن مثابة العرب وأمنهم ومهوى افئدتهم يلتفون حولها بمشاعرهم وشعائرهم فى جو من الرضا العضوى والتقديس لما كان لمقام ابراهيم من منزلة فى قلوبهم ، وارتقت مطامع ابرهة الى القضاء على أسباب وحدة العرب الروحية المتجمعة فى الكعبة واستبد به التفكير فى تهديمها فجاءت خطته تعد فى الحقيقة لتغيير جذرى فى مرافق العرب ومستقبلهم (خطة لا تختلف فى كثير عن خطة اليهود فى تحريق المسجد الاقصى وزعزعة قواعده لقطع صلة المسلمين بمسجد يشدون اليه الرحال) • وقدمأبرهة لهذه الخطة النكراء ببناء القليس « كنيسة لم ير مثلها فى زمانها بشىء من الارض » (٣) وأوضح الغرض منها فى تقرير أرسله الى سيده ملك الحبشة يقول فيه : « لست بمنتهه حتى أصرف اليها حج العرب » (٤) ولما عرضها للعرب لم تهو اليهاأفئدتهم وانكروا مضاهاتها لمقام ابراهيم عليه السلام ، وأحدث بناؤها رد فعلعنيف فى نفوسهم تجلى فى اعراضهم عنها ونهوض بعضهم للتعبير عن سخطهم ونقمتهم وهوانها عليهم بأساليب خاصة فردية فأيقن أبرهة بافلاس القليس ما دام للعرب حول الكعبة مقام فبيت غزو مكة وتهديم كعبتها المشرفة ، وعبأ جيشه واعلنبالزحف•

ولم يكن طريقه الى مكة لا أشواك فيه ، اذ من العسير على العرب أن يتسامعوا بغزو بيت الله الحرام فلا يستثارون ولا يثورون • فهب فريق ممن أوتوا حمية وغيرة يعترضون جيش ابرهة اللجب • وكانت اولى المقاومة من قوة يمانية على رأسها الملك ذو نفر (٥) صمد لابرهة بقبيلته وجماعات من العرب ، ولم يكن ثمة تكافؤ بين الفريقين ، فاحاط بهأبرهة وأسره وكبله وسيره فى الجيش تشهيرا وتخويفا وردعا للاخرين• على أن مصير ذى نفر لم يمنع قوة عربية اخرى من المقاومة من قبيلة خثعم بقيادة سيدها نفيل بن حبيب (٦) فلم يثبت الا يسيرا حتى اسر وأدنى للقتل ولكنه أعلن ولاءه وولاء قبيلته الكبيرة لأبرهة وتطوع أن يكون دليله

---

(٢) ابن هشام : السيرة م١ص٥١

(٣) ابن هشام : السيرة م١ص ٤٣

(٤) المصدر نفسه : م١ ص ٤٣

٥ـ المصدر نفسه : م ١ ص ٤٦

٦ـ المصدر نفسه : م ١ ص ٤٦

فى طريق مخوف • فرضى أبرهة من ذلك ليأمن ظهر الجيش وليستفيد من حصر القوى العربية معه • وكان من خطته أن يتحاشى سفك الدماء ما استطاع حتى يأمن الثارات والحزازات ويضمن للمستقبل صفاء القلوب • ولما حاصر ثقيفا فى الطائف خرجوا اليه وأعلنوا الطاعة والعبودية لابرهة ورضوا بان يهدم بيت الله على أن يسلم لهم بيت اللات (١) وقد كشف اخفاق المقاومة العربية عن نواح خطيرة فى واقع العرب :

١ـ عظم مكانة الكعبة فى نفوسهم واستعداد العرب للقتال فى سبيل بقائها • ولكن هذه النية الحسنة لم تظفر بالقدرة المنفذة •

٢ـ عجز قوى المقاومة عن اجتماع بعضها الى بعض وتنسيق خططها •

٣ـ انشغال غالبية العرب فى الجزيرة وخارجها بخصوماتهم المحلية، وعداواتهم القبلية واحقادهم التاريخية عن الاحتشاد لقضية كبرى فى حياتهم ومستقبل وجودهم ، وجعلها فوق العداء القبلى والخصومات السياسية • وقد عانت جزيرة العرب قبل الاسلام عبر أمد مديد حروبا وغزوات فيما بين القبائل ، فاستنزفت قواها فى غير طائل ، وغرقت فى الحروب حتى كادت تتفانى ، ولهذا ،ولم تستطع أن تتناسى الخصام العنيد والعداء المميت وان تنسلخ من أضغان واحقاد تتوارثها جيلا بعد جيل • فبات تلاقيها أمرا مستحيلا استحالة التقاء الماء والنار • ولعل هذه الحال تكشف عن المعنى العظيم فى معجزة الله فى قوله لنبيه صلى الله عليه وسلم « وألف بين قلوبهم ، لو انفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ، انه عزيز حكيم » (٢) • هكذا كانوا يوم أصحاب الفيل فى استعصاء على الالتقاء فى سبيل أية قضية حتى ألفت بينهم كلمة التوحيد ورسالة الله •

٤ـ ضعف القوة المعنوية وانخفاض المستوى النفسى لدى المقاومين منهم : اذ سرعان ما ألقوا بأيديهم الى الاستسلام وحرصوا وكانوا أشد حرصا على حياة ، ورضوا بأن يكونوا عبيدا وأعوانا وعملاء فى صفوف الاعداء يكشفون لهم الطريق ويتحسسون لهم أحوال القبائل الاخرى مما يدل على أن الحياة لديهم كانت بشكلها الرفيع أو الوضيع ، الذليل أو العزيز أحب اليهم وأغلى عندهم من أية قضية لهم • بل لاأجحد التاريخ اذا قلت ان العرب قبل محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن لهم قضية يضحون فى سبيلها الا قضايا خفيفة جزئية تأكل منهم ولا تعطيهم ، قضايا العداء والثأر المحلى •

١ـ المصدر نفسه : م١ص ٤٧

٢ـ الأنفال : الاية ٦٣

ويظهر جلاء الامر اذا قابلنا بين موقفهم من أبرهة وموقف العرب المسلمين من أعدائهم الكفرة : قيل لزيد ابن الدثنة وهو يقدم للقتل « أتحب أن محمدا عندنا الان فى مكانك نضرب عنقه ، وانك فى أهلك ؟ قال : والله ما أحب أن محمدا الان فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة ·· تؤذيه ، وانى جالس فى أهلى » (١) ·

وكان قياصرة الروم احيانا يروزون حرص المسلمين على دينهم فيغرونهم الاغراء المذهل ليفتنوهم ، فما ينفصمون من دينهم شعرة فيبلس القياصرة من ثباتهم ويقينهم ، ذلك أن صار للعرب قضية يعيشون لها ، ولا يجدون شيئا باهظا أن يستشهدوا فى سبيلها · ولا يفلح عرب ولا مسلمون لا قضية لهم ، وخير القضايا طرا قضية السماء ·

٥ـ الانقسام والسطحية فى العقيدة:

ولعل أفدح العوامل فى مأساة العرب عام الفيل ، وفى كل مأساة من مآسى تاريخهم كله ، خمود نيران الحمية الدينية فى القلوب ، وفقدان الاشداء من المؤمنين : أعمدة الثبات والتثبيت فى الملمات والحروب · فبينما كان أعداؤهم الاحباش يتقدمون الى بيت الله الحرام بحمية صليبية طاغية ، كانت أفئدة العرب خلوا من شعور دينى مقدس دفاق قادر على دحر الموجة الصليبية · ولو فتشنا قلوبهم يومذاك لما وجدنا فيها حقيقة من حقائق الدين ، ولا معنى واضحا من معانيه يعتصبون به وينطلقون منه · كل ما فيها يومذاك ظلال من دين ابراهيم غمرها من الوثنية غبار كثيف ·· وأفسدت عليهم الاصنام دين التوحيد وباعدت بين معتقداتهم وقلوبهم وألقت البغضاء بينهم اذ ذهبت كل قبيلة بصنم ، تعبده دون القبائل الاخرى ، فكان هذا الانقسام فى الدين عاملا خطيرا فى تفتيت وحدتهم كامة لها دور فى التاريخ · حتى صارت بعض القبائل لا تجد ضيرا فى تهديم الكعبة اذا سلم لها الهها كما رضيت ثقيف بذلك على أن تبقى لها اللات وجرى العرب فى عبادة الاوثان على تقليد ذميم وليس لها فى طباعهم وتفكيرهم أصالة واستقرار · ولم يكن فى مقدور الاوثان أن تلهب القلوب بحمية ما · فاجتمع لهم الى الانقسام السطحية فى الدين ، وهو داء عياء خذال قتال فى المواقف الكبرى التى يتقرر فيها المصير ، وكان العرب يومذاك بما هم عليه من هذا على شفا الضياع والهلاك : لئن لم يخلعوا الاصنام التى قسمتهم والوثنية التى أماتت شعورهم وحميتهم ذهبوا وضاعوا وهلكوا · ولهذا لما أراد الله بهم خيرا بدلهم

١ـ السيرة لابن هشام : م٢ ص ١٧٢ والقائل هو أبو سفيان بن حرب ·

بعقائدهم المشتتة الباهتة المميتة عقيدة التوحيد المجمعة المتألقه بالنـــور ، الدفاقة بالحياة • قال تعالى يذكرنا بهذه النعمة الكبرى والمنـــة العظمى « وذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتـم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتـــم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفاحفرة من النار فأنقذكم منها » (١) ولا غرو أن المعجزة الرائعة التى حققهـــــا المسلمون فى مجال الفتوح والدعـوة ما كانت لتنجز على أيديهم لـــــولا العقيدة الجديدة : عقيدة التوحيد التى وحدت القلوب والصفوف والخطـــط والعمل •

لماكر ابرهة الاشـــرم فى الطائف الى مكة يتقدمه ابو رغال الثقفى دليلا علم أن قد صفى المقاومة العربيـــــة بأدنى جهد وأبخس ثمن • والحق أن ابرهة لم يعوق مسيره من اليمن الى مكة حرب ضروس ، وانما مناوشات يتبعها استسلام وخضوع وتبعية • ورضى أبرهة عن هذه النتائج أيمـــا رضا اذ وفرت عليه الوقت والجهـــد والدماء، ولم يخامره شك فى أنه أوفى على بلوغ مأربه عندما انزله ابو رغال بالقرب من مكة • وقد طمع أن يظفر من قريش بمثل ما ظفر مــــن ثقيف وغيرها : بتسليم كلى ليبلـــغ ما أراد من تهديم الكعبة برضا مــــن أهل الحرم على مشهد من العــــرب وعلى اسمع العالـــم وبصـره ليدعى هوان أمره على أهله ، وامعانـــا فى الامتهان لسكانه والمهانة لحجاجـــــه وقاصديه • وانطلاقا من هذا القصـــد أرسل دورية تأديبية هجمت على اموال لقريش فساقته الى المعسكر ، ثـــم بعث رسولا الى قريش يطلب اليهـــم أن يرسلوا اليه بسيدهم لمباحثته • فوجهت اليه بسيدها : بعبد المطلب بن عبد مناف بن هاشم : شيخ وقور مهيـــب جاوز المئـــة من عمـره ، جرب الايام وجربته فطن يضع القول مواضعه مخلص للبيت ولرب البيت ، فسلك ابرهة مسلكا لارهابه وادخال الوهن عل نفسه ليســـــهل فرض رغباته وطلباته عليـــه • فأوعز الى رجاله ان يطوفوا بعبد المطلب عـــلى الاسارى من أسياد العرب وملوكهم، فأدخل على ذى نفر وكان فى الحديد ، ورأى نفيلا الحنفى واخرين مقهورين على أمرهم يقومون بخدمة ابرهـــة ورجاله •فحزت المرارة فى نفســـه اذ رأى رجالات العرب قد هزمـــوا نفسيا وعسكريا • وعرف عبد المطلب أنه مقبل على معركتين مع أبرهة: نفسية وعسكرية • وأيقن أن الثانية لا نفع فى خوضها فرغب عنها غير مستسلم وأما الاولى فصمم على الثبات فيها • ولما أذن له بالدخول على أبرهة دخل ميدان الحرب النفسية ونظر أبرهة فى وجه عبد المطلب بحثا عن معـــانى الخوف والفرق والتخاذل فلم يجـــد شيئا ووجد مهابة وصرامة وحفاظا •

١ـ ال عمران : ١٠٣

وفرضت شخصية الشيـــخ المهيب الثابت الوقور نفسها على الغـــازى فانحط عن عرشه وجلس على البساط وأجلس سفير قريش وسيدهـــا الى جانبه ، لعل اللين والتواضع اجدى اذ لم ينفع التخويف والترهيب ٠

كانت هذه مظـــاهر من الحفاوة والاكرام اصطنعها الداهية ليستميـل اليه عبد المطلب وليبعث فيه ثقـــة واطمئنانا اذ بدا لابرهة ان مقدرات مكة وكعبتها أمست بين أنامله وان قريشا فى قبضته : رجالها ونساءها وأموالها ، وان جيشه قادر على الفتك وانزال العار ٠ وكان ابرهة يريـــد الكعبة لا قريشا واستقدم عبد المطلب ليهب أبرهة له قريشا وليأخذ منـــه الكعبة فيظفر بما أراد وقدمن عـــلى قريش وسيدها وأفضل ٠ وأما عبـد المطلب فقد جاء أبرهة وهو يحمل معه أمانتين : أمانة الله فهو حاجب الكعبة وساقى الحجيج ، وأمانة قومه فهـــو نائب قريش وصاحب كلمتها فى هذا الموقف الصعب ٠ ولقد توقع أبرهـــة أن يتهالك عبد المطلب على كرسيـــه يطلب رحمته كما فعل من قبلـــه ، وأدرك عبد المطلب ما فى نفس أبرهـــة فصمت ، ولم يفتتح الحديث تجاهلا منه للأمر العظيم الذى يريده أبرهـــة ، وتحاشيا أن يطلب مطلبا يتخذ منـــه أبرهة ركيزة للمساومة على الكعبة ٠

لقد كان عبد المطلب فى موقف ضنك فان أية كلمة تحمل معنى الاسترحام لقريش والابقاء عليها تنطوى عـــلى تنازل خطير فى حق بيت الله الحرام ٠ ومن ثم آثر ألا يتكلم فى منجاة قومه حتى لا يضيع أمانة الله ولما ضـــاق أبرهة بصمته سأله عن حاجته فقال: « حاجتى أن يرد على الملك مئتى بعير أصابها لى » أهذا المطلب كان هم عبد المطلب ومصدر قلقه ؟ ألهذا طيف به فى الجيش وعلى الاسارى واستقـدم الى الملك ؟ وماذا يفعل بالشاء والبعير ومكة كلها فى خطر داهم ، كلا لم يكن هذا المطلب من واقع الحساب فى شيء، ولكن عبد المطلب عمد الى تجاهل مراد أبرهة تجاهلا تاما ليعلمه أن لا تنازل عنده فى حق بيت الله الحرام ولو قيد شعرة ، وان التسليم بتهديمه ليس موضوع بحث على الاطلاق ولامساومة فيه ٠ وفهم أبرهة ما فى طلب القرشى من معنى فاستشاط غضبا وعمد الى اثارة الموضوع من قبله قائلا وهـــو مغيظ « قد كنت أعجبتنى حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلمتـــنى ، أتكلمني فى مئتى بعير أصبتها لك ، وتترك بيتا هو دينك ، ودين آبائك ، قد جئت لهدمه ، لا تكلمنى فيه » (٢) وأجاب عبد المطلب بقول مرهف حاسم لا مجال بعده لجدال أو ادهان (انى أنا رب الابل ، وان للبيت ربـــا

١ـ السيرة لابن هشام : م١ ص ٤٩

٢ـ السيرة لابن هشام : م١ ص ٥٠

سيمنعه) (١) وخرج من عند أبرهة الى قومه خرج من المعركة النفسية منتصرا ، ولم يظفر منه الملك بطائل ، ولقد كان فى الكلمات الموجزة الحادة كل ما اراد عبد المطلب ان يفصح عنه وان يفهم الغازى. قال له: أنا رب الابل: الابل مال اكتسبته واكتسبته قريش فلى ولهم الحق أن يطلبوه ، واذا كان لى ولهم الحق فى طلب او مباحثة او جدل فيما هو ملك لنا ومن حقنا . وأما البيت فهو بيت الله وليس لى ولا لاحد فيه من الحق كما فى الابل ، ولا يحل لى بحال من الاحوال أن أتكلم فيه ، أو أساوم عليه ، أو أتذلل لك فى أمره فان ربه أولى به وبحمايته ان عبد المطلب قد أوضح فى هذا القول البليغ الحدود التى تقف عندها صلاحيات الزعامة ، والموقف العدل الحق الذى ان التزمه الزعيم كان من الموفقين . فبين فيه أن ثمة حقوقا كبرى فى حياة الامة وذمما تاريخية والهيه لا يحق لأى ذى سلطان أو نفوذ أن يمسها وأن يجعلها فى مهب أهوائه ومصالحه ان شاء أخفرها أو ساوم عليها . وان التاريخ يشهد بأن النصر يقف دائما حيث يقف أولئك الزعماء الذين يلتزمون الحق الاعلى لا يجاوزونه ولا يقبلون به عدلا أو حلا وسطا . وقد رضى الله لعبد المطلب صلابته فى حرمة بيت الله وثباته فأرسل على الغزاة العتاة جندا من السماء (طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول) (٢) . وما كان هذا التوفيق الالهى فى تلك الساعة لعبد المطلب نفسه وانما لجنين فى رحم آمنة بنت وهب قد بلغ منه سبعة أشهر وكان أبوه فى تلك الاثناء فى يثرب يلفظ انفاسه الاخيرة وأمه تجلس فى بيتها تنتظر عودة زوجها الغائب وتترقب مع الناس قلقة أوبة جميها فى معسكر أبرهة: هذا الجنين الذى اذن الله له أن يتنسم أنسام مكة بعد خمسين يوما من غزوة أصحاب الفيل هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، به قد وفق الله جده واكرمه واكرم العرب والعالمين .

كانت هزيمة أصحاب الفيل وما زالت آية من آيات الله ومعجزة من معجزاته جعلها بين يدى مبعث رسول الله (ص) ، وكانت المنة بها على أهل مكة عظيمة ، ولكن القوم كانوا فى جاهلية ظلماء فما أن ذهب عنهم الروع وفزع عنهم حتى عادوا يسدرون فى غيهم ومظالمهم ومفاسدهم . ولم تكن الاشارة التى حملتها المعجزة لتنزعهم من الغى والضلال ، فأتم

١- المصدر نفسه . وكان التحدى اعظم اذ قال له ابرهة : ما كان ليمتنع منى . فقال له عبد المطلب : أنت وذاك.

٢- سورة الفيل .

الله عليهم وعلى العالمين فضله بمعجزة أعلى وأسمى فأرسل اليهم محمدا (ص) ليبوئهم مكانا عزيزا كريما :في عام الانقاذ هذا ولد المنقذ الاكبر محمد رسول الله (ص) فجاء العرب وهم أعجز الناس عن حماية حوزتهم وحرمهم ورد الغزاة فلم يلبثوا الا يسيرا حتى صنع الله منهم فاتحي العالم ومنائر الحق والحكمة ٠

هكذا كان ماضي أجدادنا عام الفيل ما أردنا من تفصيل الحديث فيه الا الذكرى والاعتبار ٠ وأيم الله « ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد » (١) ٠

٢ـ اصطفاء الذات النبوية ٠

الاصطفاء انتخاب الله صفوة البشر ليكونوا المثال الواقعي الحي للمثل الالهية والقيم الربانية التي ارتضاها للبشرية شرعة ومنهاجا ، تخوض بها تجربة الحياة والابتلاء بغية النجاة والظفر بمرضاة الله تعالى٠

ان تجسيد القيم في أفعال وخطط يعطيها معناها الامكاني الحق اذ يتعرف الناس على هذه المثل في واقع حياتي حي ، فتلتحم الفكرة العلوية بصورتها الارضية ، وتجرى الافكار والتعاليم الالهية ملموسة دفاقه في الارض جريان السيل لاظن ولاتوهم ولامراء ٠ ومن ثم ينتخب لها اولئك الذين تبدو العقيدة فيهم رائعة الجلاء والنقاء كما ينم البلور ذو الصفاء عما حوى ، حتى انك لا تميز بين الوعاء وما وعى ٠ هؤلاء الصفوة يتولى الله سبحانه اختيارهم وهو العليم الخبير ، ويجعل فيهم بقدرته ومشيئته الاستعداد للنبوة ليكونوا حقائق العقيدة المتحركة على الارض ٠ هذه النخبة يمكن ان يقال فيها : انها ليست وليدة بيئتها ولا من صنع مجتمعها ، انها جنس منفصل وجد كالغريب في بقعة نائيه ٠ وانها لتحس بغربتها قبل أن يأتيها خبر السماء وتتجافى عن ضلال الناس كأن عالمها غير عالمهم وكأن قوة علوية تجتذبها اليها : (تلمس آثارها وتشعر بتأثيرها فيما يجرى لها ولكن تبقى محجوبة عن السر حتى يكشف الحجاب ويأتيها الوحي) فيتصل حبلها المقطوع بالعالم الذى كانت تستشعر وجوده ولا تدرى كنهه ، وتجد نفسها بعد ضلال « ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى » (٢) وتعرف حقيقتها ومهمتها فيزول عنها الاحساس بالغربة ، وتستشعر نفسها وكيانها بقوة وتمكن ، وتأخذ في التلقى من الله تلقيا تلقائيا آنيا فلا تتردد ولا تتحرج ولا تجادل ولا تمارى ، وانما تستجيب للامر وتمتثل للكلمة الالهية آنيا كما ينبثق النور آنيا لا يدرى أول شعاعه من آخره لسرعته ، تلك الاستجابة التى تلمس حقيقتها في ابراهيم ٠٠ « اذ قال له ربه أسلم

١ـ سورة ق :٣٧

٢ـ الضحى : ٧،٦

قال أسلمت لرب العالمين » (١) ولم لا يسلم للحظته وقد بحث طويـــلا عن ربه في ملكوت السموات والارض فلما اجتباه ربه وكشف حيرتـــه وهدى ضلاله لم يبق الا الامتثـــال والتلبية • عندها يعلم المصطفى المختار أسباب عزوفه عن قومه ونفوره من تقاليدهم وعباداتهم ، ويوقن أن عناية الله كانت تلاحظه قبل الوحي الصريح والخبر الوثيق فيلجأ الى ربه ليستمد منه وليستضيء بنوره ويغرف من معين هديه • وتتمايز نفسه تمايزا كليا عما حولها وتصبح قوة فعالة تأتي بالمعجزات ولا تبالي بالمعوقات • فلاتهاب ان تدخل معبد الوثنين والفأس بيدها تهزأ بالاصنام وتجعلها جذاذا ثم تقف وحدها تتحدى صخب الجمهور الضال، وطغيان الحاكم الجبـــار والتحريق بالنار ، وتقابل التحدى العجاج بتحد صليب مرهف نافـــذ • ولا عجب أن تقف وحدها على الصفا لتقول كلمتها المأمورة بها وتبلغ رسالتها المنوطـة بها • وليس عجيبا أن تقول « والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الامر ، حتى يظهره الله، أو أهلك فيه ، مـا تركته (٢) لانها أيقنت أن معـــنى وجودها هو اداء رسالة الله ، فان لم تؤدها فلا معنى لبقائها • ولهذا تبلغ في الاستبسال مدى لا تحتمله النفوس الاخرى ، وفي الصبر شأوا يعجز عنه أولو العزم في غير الانبياء ، وتصبح شجاعتها وصبرها موضع الدهشـــة من الخصوم •

وهذا التحدى المنتصر : تحـدى فرد وحده لامة أو لامم لا يصدر عن أفراد عاديين ، اذ لا يملك فرد مستضعف أعزل أن يغير نظام العقيدة ،والمجتمع والتاريخ لامة الا اذا ايدته قوة قاهرة على القوى فاستمد من ذخرها للصمود والهجوم والانتصار • ان هؤلاء الافراد الذين اختارهم الله وخلق فيهم هذه القدرات والامكانيات هم وحدهـــم أمم ، فان كلا منهم مبدأ أمة جديـدة وتاريخ محدث ، جمع الله لـــه في نفسه القوى اللازمـــة للمستقبل الجديد ، فسرت منه الى قلوب الاجيال قال تعالى :« ان ابراهيم كان أمـة ، قانتا لله ، ولم يك من المشركين »

وفي القرآن الكريم اشـــارات واضحة الى تلك الصفوة المختارة في ملايين البشر المبعوثين في الارض قال تعالى مخبرا عن طريقته في الارسال: « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير » (٣) وهو يعلم اولئك الذين يطيقـــون النهوض بتبعاتها اذ : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » (٤) ومن ثم كـــان اصطفاؤه لافراد مخصوصين متميزين

١ـ البقرة : ١٢١

٢ـ السيرة لابن هشام : م١ ص ٢٦٦

٣ـ النمل : ١٢٠

٤ـ الانعام : ١٢٤

ذهبوا بخلود الذكر فى الدنيـــــا والأخرة : « ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميـــع عليم » (١)

وهؤلاء الاصفياء — على تباعـــد الزمان فيما بينهم بعضهم من بعض ، فان بينهم نسبا هو دين الاسلام الذى ارتضاه الله للبشر منذ أبيهم آدم ، ولما بعث خاتم الانبياء وسيد المرسلين كان اختياره من صفوة الصفوة : ان محمدا (ص) خير نسمة برأها اللـــه بين سابق البشر ولاحقهم ٠ ان اكمل الرسالات وخاتمتها تستلزم رسولا هو اكمل ما خلق الله من بشر وأطهر ٠ وهذا أمر هيأ الله له الاسباب منـذ آدم عليه السلام ، قال عليه الصلاة والسلام « بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى بعثت فى القرن الذى أنا فيه » (٢) وفى هذا الحديث الذى رواه البخارى دلالة كافية عـلى انتخاب الهى مستمر خلال اجيـــال البشرية حتى استخرج منهم محمـــدا (ص) وكان استخراجه من بيت أوله النبوة قال عليه الصلاة والســــلام فى حديث رواه مسلم « ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من بنى اسماعيل بنى كنانة ، واصطفى من بنى كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم » (٣) وكان عليه الصلاة والسلام يقــول : « أنا دعوة ابى ابراهيم (٤) فجاء رسول الله (ص) ملء نفســـه وجسده الطهر ، اذ اختاره ربه مـــن أطهر نطفة فى الاصلاب ٠ روى عن عائشة رضى الله عنها قولـــه (ص) « ولدت من نكاح غير سفاح » (٥) وثبت فى الصحيح قوله « أنا سيـد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر » (٦) ولا عجب فهو مصطفى الاصفياء : طاهر مطهر ، وسيد الانبياء ٠

٣ـ اعداد الله لعبده للرسالة

اذا كان لبعث النبى عند اللـــه ميعاد معلوم فان أحواله وأوضاعـــه فى مختلف مراحل حياته جارية على

١ـ آل عمران : ٢٤

٢ـ ابن كثير فى البداية والنهاية ج ٢ص٢٥٦ عن صحيح البخارى

٣ـ البداية والنهاية ح٢ ص ٢٥٦ : لابن كثير عن صحيح مسلم ٠

٤ـ السيرة لابن هشام م١ ص١٦٦ ٠ رواه ابن اسحاق عن ثور بن يزيد ٠ وقال فيه ابن كثير فى المرجع السابق : هو اسناد جيد ٠

٥ـ البداية والنهاية ح٢ ص ٢٥٦ ٠ رواه الزهرى عن عروة عن عائشة ٠ رواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى عن ابن عباس : ولدت من لدن آدم من نكاح غير سفاح ٠

٦ـ المصدر نفسه ص ٢٥٧

تقدير وتدبير من الله العزيزالحكيم : يختار له الوسط الذى يكتنفـه ، والمؤثرات التى تحيط به ، ويفاعل بين نفسه وبين ما وضعه فيه ، فيخلق فيها ردود الفعل المناسبة للمستقبل القريب • ان الله هو الذى يصنع الانبياء ،وينشئهم النشأة المواتية للرسالة ، انه رب العالمين الذى تقبل مريم « بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلهازكريا »(١) وهو الذى صنع موسى على عينه ، ووضعه فى قصر فرعون آية كبرى من آيات التحدى لطغيان سادر ، غير مرعو ، لينشأ فى حجور الجبابرة ، ويخرج من عندهم أكبر ناقم ،وأشد ساخط على الظلم وتعبيد الشعوب •

ومن ثم لم يكن شىء فى حياة محمد صلى الله عليه وسلم قبل المبعث الا بتدبير الله الخالص وتهيئته وقد يبدو أن كلامنا هذا تحصيل حاصل فكل ما فى الوجود انما هو بتقديره عزوجل • ولكن قلنا ما قلناه لنوجه الانظار الى أهمية الظروف والحوادث التى عاشها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لنكتنه مغزاها العميق ، ولنطيل الفكرة فى هذه التنشئة التى انتهت الى تفجير الحكمة الخالدة فى فؤاده تلك الحكمة التى رفعها الله نبراسا هاديا مشعا للبشرية الى يوم الدين •

ان حياة تتفتح عن الحكمة الكلية الاخيرة للانسانية لجديرة بالتفكر والتدبر والاعتبار وبأن تتأمل فى شكلها ومضمونها والاحداث التى صنعت مادتها •

أ- الاعداد النفسى :

كان أول وحى نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غار حراء شديد الوطأة • لقد عانى حادثة غير عادية ولا مألوفة ، خفية العلة • ولا يفسر حدوثها بسبب من الاسباب الظاهرة (كما ينشأ الغيث فى السحاب ، مثلا) فان مصدرها ليس عالم الشهادة بل عالم الغيب • هنالك لا يسع الانسان الا ان يتلقى منه بالقبول المطلق والتصديق الكلى ، لان احداثه فوق منطق الارض المحدود بالسبب والنتيجة • لذلك لا يقدر على احتمال الوحى الا الانبياء الذين أعدهم الله للثبات عندرؤية الملاك ، وتصديق ما جاءهم من خبر السماء• ولم يصادف الوحى من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسا لم تهيأ لاستقباله ، بل جاءه بعد اعداد طويل من رب العالمين ، عرف فيه حوادث غيبية المنشأ ، لم يدر لها علة ظاهرة • فكانت مقدمة صالحة لاستقبال الوحى ، رفقا من الله برسوله ، ورحمة بنفسه البشرية •

وكأن بعض هذه الحوادث كانت تقول له قبل مبعثه : لست وحدك •

١- آل عمران : ٣٧

ولا لنفسك وانما انت للذى يعـدك ويرعاك لتكون امرأ غير الاخرين ، وان فى غدك لامرا فترقبه • فتبعـث فيه تساؤلا وتطلعا وترقبا ، وربمـا كان من شأنها أن حببت اليه العزلة والتحنث فى حراء • واستقبل أولاها وهو طفل مسترضع فى بنى سعـد يوم جاءه الملكان فشقا صدره واستخرجا قلبه وغسلاه بالثلج والبرد • حادثة فوق امكان العقل الانسانى ولكنهـا على الله هينة لذلك لم يكد ابواه فى الرضاع يستمعان خبرها من فم الطفل البرىء الصادق حتى طارا به الى أمه فى مكة فزعا أن يكون بدأ به عرض مرضى اذ لم يستطيعا أن يصدقا طفلا فى أمر لم يألفاه • ومن أدراهما ان من بيـن أيديهما نبى منتظر ؟ ولكن الطفل لم ينس هذه الحادثة ، ومرت فى شعوره خفيفة الوقع وهو صغير ، فلما شب على الايام تألقت فى ذاكرته واحساسه ، ولا شك انها شغلت تفكيره حـتى مبعثه ، فلما جاءه الملك ليلة الاسراء ، وشق صدره للمرة الثانية وغسـل قلبه بماء زمزم استعدادا للسفر به الى الملأ الاعلى والمثول بين يدى الله تيقن أن حادثة الطفولة كانت احدى براهين النبوة ليتعرفها فى نفسه ، وليثبت يوم يزعزع كيانا فى غار حراء والملك يفته ويقول : اقرأ (١) ويوم يقـول لخديجة رضى الله عنها ، مالى أى شىء عرض لى ؟ لقد خشيت على نفسى » (٢) فى هذه الساعات من الزعزعة الحيرة كان تذكر هذه الحادثة وما أشبههـا أنفع شىء فى الثبات واليقـين ، وتستبين حقائق الحاضر بدلائل مـن الماضى • وقد عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم مغزاها الكامـل اذ سئل خبرنا عن نفسك يا رسـول الله (٣) فجعلها عليه الصلاة والسلام احدى اربع علامات للنبوة عرفهـا فى نفسه • ومن يدرى ؟ ربما ظـل رسول الله صلى الله عليه وسلـم طوال حياته يستشعر العذوبـة والراحة النفسية التى أحس بها عندما استخرج الملكان من قلبه علقة سوداء وغسلاه بالثلج والبرد : اننا لنسمعه يقول فى دعاء له « اللهم اغسلنى من خطاياى بالثلج ، والماء ، والبرد » (٤)

١ـ سورة العلق : ١

٢ـ البداية والنهاية لابن كثير : ج٣ ص ٧

٣ـ ابن هشام : م١ ص ١٦٦

٤ـ الاذكار للنووى : ص٤٣ • ومن هـذا القبيل ما كان يومىء اليه بالرسالة المقبلـة بصريح اللفظ • قال عليه الصلاة والسلام :« انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على بمكة، قبل أن ابعث • انى لاعرفـه الان • (رواه مسلم) » وصدق رسول الله فان تسليم الحجر عليه قبل الوحى كان لتنبه فـكره واثـارة شعوره وتوجيهه الى استشراف ما هو غيـبى المصدر •

وثمة حوادث تقصد مع تنبيه النفس الى حينانتها وحياطتها من الوسط الجاهلى • وللبيئة أثر فى النفس لا يدفع ، وقد تولى على حفظ نفس نبيه صلى الله عليه وسلم من اقذارها واخطارها ، حتى يتم له الطهر ويسلم له النظر السليم ، والاحساس اليقظ وليفرق بين القيم الحقيقية التى هى كمال الانسان وبين القيم التى هى النقص والخسران • ولقد شاء الله ومشيئته حق ونور — أن تتمايز هذه النفس عن محيطها لتبصر مساوئه وتنقده نقدا دقيقا عادلا حرا، تنقده وهى تنظر فيه بنور الله ، نقدا لا يعرف الادهان ولا انصاف الحلول ، فان الحق لا يتجزأ أولا يجزىء بعضه عن بعض : اننا لنجد الله قد حمى نبيه أن ينكشف زاره عن العورة اذا تعرى الصبيان أو الرجال وهم يحملون الاحجار للعب أو لبناء الكعبة (١) وفى هذا صيانة لنفسه النبوية من أن تتأذى بما يبعث فى النفس من احاسيس غير كريمة • وحماه من حضور مجالس اللهو والغناء وكان حييا • وكانت الكعبة تزخر بالاصنام وقريش تذبح لها فى الاعياد ، فحال الله بين نبيه وبينها فلم يمس حياته صنما ولم يحضر عيدا لها • لقد فارق قومه فى باطلهم مفارقة كبيرة — عرفتها عشيرته فيه قبل النبوة ، ومن أعجبها وقوفه بعرفة مع الناس ، على حين كانت قريش مما يقفون فى المزدلفة •

ذلك ان الله أنعم عليه بالحس السليم الذى يميز بين الحق والباطل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وجد فى قومه فضلا نوه به ومن هذا ثناؤه على حلف الفضول الذى تعاقدت قريش فيه على رد الحقوق للمضطهدين وعلى حماية الضعفاء منها ومن غيرها ، فقال فيه لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما احب ان لى به حمر النعم ولو أدعى به فى الاسلام «لأجبت» (٢) ولعل هذه العدالة فى الحكم ظاهرة الدلالة فى قوله «بعثت لاتمم حسن الاخلاق » (٣) •

هذه الحوادث وأضرابها من ارهاصات النبوة لم يمنحها المحدثون من كتاب السيرة ما تستحق من عناية وبحث ، فتجاوزوا عن كثير منها ، ولم يتلبثوا عندها الا يسيرا • ولو أمعنوا النظر وتتبعوا احوال المصطفين والانبياء لوجدوا فيها سنة من سنن الله فى اعداد انبيائه •

فمن ذلك رؤيا آمنة بنت وهب حين حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم انه :

١ـ تقرأ البداية والنهاية ح ٢ ص ٢٨٧ ٢ـ السيرة لابن هشام :م١ص١٣٤ •

٣ـ رواه مالك فى الموطا فى ص ٩٠٤ (تحقيق فؤاد عبد الباقى) وهو حديث مدنى صحيح متصل فى وجوه صحاح

« خرج منها نور اضاء لها قصور الشام » (١) ٠

وحدثت آمنةوحيدها وأثيرهامحمدا ـ صلى الله عليه وسلم برؤياها قريرة متفائلة بمستقبل ولدها ٠ فلما أوحى اليه أدرك انها كانت احدى امارات النبوة فحدث بها (٢) ٠

فهل نجد ما يشبه هذه البشارة لدى أمهات الانبياء والرسل ؟ هل كانت تصدر اليهن الاشارات الالهية بمستقبل الصغير المنتظر ؟ نعم ، كانت هذه الاشارات الى بعضهن ابلغ فى الدلالة واجلى فى الصراحة ، بل كانت اعلاما واخبارا مكشوفا ٠ فأخبر الله ام موسى عليه السلام وموسى فى أيامه الاولى« انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين » (٣) واعلم الصديقة مريم بمستقبل عيسى قبل ان تلقى اليها الكلمة ٠٠ «اذ قالت الملائكة : يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم ، وجيها فى الدنيا والاخرة ، ومن المقربين»(٤) ولا شك ان وضع الصديقة الفريد كان أحوج الى وضوح الاعلام من آمنة ومن ام موسى ، اذ كانت تحتاج الى أن تصدق نفسها فى أمرها حتى تقوى على الصمود فى وجه تكهنات الناس وتخرصاتهم ٠ ومن ثم حمل عيسى عليه السلام معه آية خلقه ونبوته عندما نادى أمه من تحتها حين وضعته (٥) وفى مخاطبته المجتمع المستنكر المتهم وهو فى المهد (٦) ٠

كذلك بشرت الملائكة نبى الله زكريا بيحيى عليهما السلام (٧)، ومن قبل جاءت ابراهيم البشرى باسحاق ويعقوب (٨)٠

هذه الدلائل هنا صريحة ولاعلام ام موسى بها ، ومريم وزكريا وابراهيم وزوجه اعلاما مكشوفا ، اسباب لا تخفى ، ولم يكن سبب منها لآمنه٠ فكان رؤياها النور الذى اضاء لها القصور من بصرى الشام رمزا للمستقبل ٠ ولو أن الامر يتطلب ما فوق الرمز لجاءها من الله بيان ٠ ولكنها أعطيت ما يكفيها لتتنبه لشأن وليدها ٠ ولم يعترض حياتها وحياة وليدها من الظروف النادرة أوالخطرة او المغايرة للمألوف (كظرف ابراهيم

١ـ السيرة لابن هشام :م ص١٦٦ ٢ـ المصدر نفسه
٣ـ القصص : ٧ ٤ـ أل عمران : ٤٥
٥ـ مريم : ٢٣ : فناداها من تحتها الاتحزنى قد جعل ربك تحتك سريا ٠
٦ـ مريم ٣١ : قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ٠
٧ـ آل عمران ٣٩ : فنادته الملائكة وهوقائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيامن الصالحين ٠
٨ـ هود : ٧١ وامرأته قائمة فضحكت ،فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب ٠

وزكريا) ما يقتضى الوحى • فكان الرمز هو القدر المناسب الكافى ليبعث فى نفس آمنة التوقع والتفاؤل •

ب- التمهيد التاريخى للرسول :

وتك التوطئات غرضها اعداد الرسول لقبول الرسالة ليطمئن بها قلبه ، وليعلم انه قد جاءه الحق من ربه • وهى لا تعدو فى أثرها نفس الرسول ، ولا تستهدف غيره ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم قد سبق أمر الله أن تختم به الرسالات ، وان يقضى على آثار المرسلين أجمعين ، وان يجعل دعوته عامة لكل عاقل على ظهر الارض • وهو امر لم يكتمه الله عن البشر • وانما هيأ له الاذهان ، ووجه اليه الانظار منذ زمن بعيد ، اعلاء لشأنه واظهارا لاهمية رسالته، وليكون الناس معها على وعد غير مكذوب ولتشرئب نفوسهم الى الكمال المرتقب وليتشوقوا الى الانتساب الى الرسالة الخالدة ، وليعلموا أن كمال النبوة وتمام الحق فوق ما حضرهم او عرفوا من أمر الانبياء والرسل وليحيى الامل نفوسا كانت تألم وتتأذى من جهل منتشر وباطل مستمر •

وارسال الانبياء عموما أمر لم يكتمه الله عن خلقه ، فأعلنه لهم منذ أبيهم آدم واخبرهم انه قارب الانقاذ والنجاة • قال تعالى لما اقترف آدم الخطيئة وهبط من الجنة : « قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (١) ثم اصدر الله لرسله اعلاما غيبيا بمبعث نبى يتمم به الله ما أنزل عليهم وتختتم به الرسالات فكان هذا ارهاصا وتمهيدا تاريخيا لمحمد صلى الله عليه وسلم • قال تعالى : « واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه • قال : أأقررتم واخذتم على ذلكم اصرى قالوا :أقررنا ، قال : فاشهدوا ، وأنا معكم من الشاهدين »(٢) فصار الناس بذلك على موعد مع الزمان بمبعث نبى نوه الله بذكره ، واخذ العهدله عليهم منذ الزمن السحيق • وفى الاية دلالة بينة على علو مكانة النبى الموعود به، والحقبة الزمنية المبعوث فيها • ومن ثم ألح بدعوته منذ أجيال وأجيال • وبهذا يجعل الله ميعاد مبعثه منارة تاريخية ، يجمل ان نتخذه حدا فاصلا فى التاريخ البشرى : ما كان منه قبل محمد وما يكون منه بعد محمد صلى الله عليه وسلم • وكان احتفاء الله به عظيما ، لانه فى تقديره - عز وجل - وتوقيته له ، حدث ثقيل فى حياة البشر ومستقبلهم • وكيف لا يكون شيئا ثقيلا وحاضرهم فى الدنيا ، ومستقبلهم الاخير يوم القيامة مرهونان بما حققا من اقتراب منه ،وتصديق

١- البقرة : ٢٨

٢- آل عمران : ٨١

به ، او ابتعاد عنه وتكذيب • وبهذا يتجلى المعنى التاريخى الانسانىالعظيم فى الاية التى تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس ، على جبل الرحمة ، فى حجة الوداع « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلامدينا» (١) كان يوما مشهودا فاصلا تمت فيه الكلمة الالهية والنعمة الرحمانية على بنى آدم • وكان الله جعل من هذا اليوم قبلة زمانية اتجهت اليها أفئدة الانبياء والمؤمنين بهم ، اقرارا منهم على أنفسهم بأن كلا منهم مرحلة فى تاريخ النبوات ، وحلقة فىسلسلة المرسلين • وشاء الله فأتم السلسلة بمحمد صلى الله عليه وسلم فجاءت رسالته لا يجهلها المؤمنون الصادقون من أهل الكتاب ، يعرفونها « كما يعرفون أبناءهم » ، وهى تحمل الايمان بالرسل السابقين ، والتقدير لجهودهم فى تبليغ الكلمة الربانية الى الناس ، والثناء على صدقهم ، ومآثرهم وتضحياتهم فى سبيل استنقاذ الانسان من براثن الشيطان، وباركت جهادهم ، وحيت اخلاصهم : « وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين » (٢)•

ويبدو أن الانبياء الذين بعثوا فى الزمن المبكر ، لم يتجاوز علمهم بالنبى صلى الله عليه وسلم سوى الاخبار بمبعثه ، واخذ العهد عليهم ، أو دعوة حارة تجرى على لسان ابراهيم عليه السلام فتتفتح لهاابواب السماء ، وتلتقى بما قدر الله منذ الازل : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم، الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » (٣)فلما تأخر الزمان وانزلت التوراة والانجيل ،توضحت الاشارات وذكرت العلامات ، وصار الذين عندهم علم من الكتاب على بينة من مجىء رسول « اسمه أحمد » (٤) لا يخطئونه • ان رأوه وادركوا يومه • فقد وضح الله لهم كثيرا من علاماته : مكان بعثه ، ومهاجره ، وصفاته • ثم أتى على التوراة والانجيل ما أتى من التبديل والتغيير • وأفسدت الوثنية الدين الذى جاء به عيسى ، ودخل اتباعهمن بعده فى الشرك اذ قالوا : ان الله ثالث ثلاثة • واختفى دين التوحيد فلم يستمسك به الا رهبان اواساقفة قلة ، منقطعون فى الصوامع ، أو الكنائس يتجافون عن الناس فى شركهم ، وفساد عقيدتهم ، ولايجرؤون على النعى عليهم خوفا من بطشهم وتنكيل الحكام بهم • وأغلب الظن أن هؤلاء النفر القليل احتفظوا بصفاء دين عيسى عليه السلام ، بما خبؤوافى صوامعهم من صحف الانجيل الذى

١ـ المائدة : ٣

٢ـ الصافات : ١٨١

٣ـ البقرة : ١٢٩

٤ـ الصف : ٦

كان أقرب شئ الى الاصل الذى أنزل على نبى الله عيسى عليه‌السلام. قال ابن هشام لما ذكر الراهب بحيرى : « فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام ،وبها راهب يقال له : بحيرى فى صومعة له وكان اليه علم أهل النصرانية ، ولم يزل فى تلك الصومعة منذ قط راهب ، اليه يصير علمهم عن كتاب فيها ، فيما يزعمون يتوارثونه كابرا عن كابر(١) ويلتقى هذا الحديث بحديث سلمان الفارسى رضى الله عنه ، الذى تقلب فى كنائس عدد من الاساقفة الصالحين قبل ان يصير الى أرض العرب قبيل مبعث محمد صلى‌الله عليه اذ قال له اسقف عمورية وهو على فراش الموت ، وكان اخر اسقف رافقه : « والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس ، آمرك به أن تأتيه ،ولكنه قد أظل زمان نبى ، وهو مبعوث بدين‌ابراهيم عليه السلام، يخرج بأرض العرب ، مهاجره الى أرض بين حرتين فيهما نخل به علامات لا تخفى : يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة وبين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت ان تلحق بتك البلاد فافعل » فكان هؤلاء ينتظرون الوعد الحق : ظهور النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل » (٢)

وكانت القراءة المجردة عن الهوى فى التوراة والانجيل كافية لان تحمل أهل الكتاب على الايمان : « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون (٣)

لقد نزلت التوراة والانجيل يحملان الشهادة التاريخية الواضحة الثابتة على سر من أسرار الغيب العظمى لم يكتمه الله ، ولم يجمله ، عن اليهود والنصارى اعذارا لهم ، وليكونوا السباقين اليه . ومن أولى بنصر كلمة الله ممن يعرفها ؟ولكنهم كانوا قوما فرقوا دينهم شيعاواحزابا، وأتت عليهم عصور من الحسد والبغضاء والعصبية فلم يفلحوا في التجرد من ذلك ، والاخلاص للحق المنزل ، فمن الله بالدين على قوم أميين سلمت فطرهم من رسوبات الخلاف الدينى ومن العقد النفسية ، والصيغ المنطقية الموات ، فلم يلبثوا ان صاروا به خير الامم ـ والحمد لله والمنة ـ

ح ـ التهيئة الاجتماعية :

هذه توطئات بالنبوة ، منها نفسية ذاتية ، ومنها تاريخية لتعد النفس النبوية والفكر الانسانى‌الدينى فلا يبدو الوحى غريبا للموحى اليه . ولا الى الذين عرفوا الكتب المقدسة من

١ـ السيرة لابن هشام : ص ١٨١ ٢ـ المصدر نفسه : م ص ٢١٨

٣ـ البقرة : ١٢١

قبل ، فهى بذلك تصل النبى صلى الله عليه وسلم بالافق العلوى وتجعله على شفا الوحى والرسالة ، وتضعه حيث وضعه الله فى السلم الزمانى من تاريخ النبوات •

غير أن الرسالة لا بد لها من ظرف اجتماعى تملؤه وتتحرك فى انحائه ، وتنتشر فيه • ومن ثم كانت التوطئة الاجتماعية ، واعداد من حول النبى للتصديق بنبوته أمرا يتسق والتوطئة النفسية والتاريخية •

ولو نظرنا باقى المجتمع القرشى، قبل المبعث لوجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ملحوظ المكانة فيه ، ظاهر الشخصية ، مرضى السيرة ، مرجوا للخير ، يدل على ذلك لقب « الامين » الذى أضفوه عليه • وهو لقب – لو سبرنا بعيد مدلولاته – ضخم المحتوى • فالامانة سجية تجمع لصاحبها سلامة السريرة والسلوك ، وصدق الطوية والفعل ، فلا تناقض بين مظهره ومخبره ، بل يصدق فعله قوله ، ويصدق قوله وجدانه وخبيئة نفسه • فالامانة أول معنى لها الاطمئنان والثقة : اطمئنان الاخرين الى شخص الامين ، وثقتهم بما يصدر عنه • وهى سجية لا يشهد بها لامرىء الا بعد التجربة والاختبار المتواتر (١) المستمر •

ويمكن أن يقال بحق : ان الامين من أمن الناس لسانه ويده • وهكذا كانت قريش قبل المبعث لا تخشى من رسول الله صلى الله عليه وسلم معرة ،ولا يتخوفون منه كذبا ، ولا يتوقعون منه الا استقامة ، وخطة حميدة ، ولا يعرفون فيه الا نبلا وشرفا ووفاء • ولا نكاد نجد لقبا أجمع لخصال المروءة والرجولة والعدالة من لقب الامين • وهى خلال ترشح صاحبها لسدة الرئاسة والزعامة • وهو لقب ينطوى على خصال نابعة من الذات ، ومن جوهر النفس ، ولا ينم عن صفة جسدية (كلقب أبى لهب مثلا) أو على خصلة وحيدة غالبة ، منفصلة عن مجموع الخصال التى تؤلف التكامل فى الخلق والنفس ، (كلقب الفيض والفياض مثلا للكريم المتلاف) ولا أظن ان لقب فى قريش غير محمد بهذا اللقب • ولم يكن محمد صلى الله عليه وسلم فى قومه زعيما ، ولا طالب زعامة ، ولم تعرف له – قبل النبوة – فئة تدعمه ولا شاعر يمدحه • فيكون لقبه منهم ، وانما هو لقب فاز به باجماع قريش كلها رجل كان ابعد الناس عن حياة ذات قصد نفعى ، او اشادة

١– لما وقف رسول الله صلى الله على الصفا وقال لقريش : رأيتم لو اخبرتكم ان خيلا بسفح هذا الجبل تريد ان تغير عليكم •صدقتمونى ؟ قالوا نعم • من حديث رواه ابن كثير فى البداية والنهاية ح ٣ ص ٣٨عن الامام احمد

بالذات ، وأزهد الناس فى تقـــدم الصفوف ، بلد الرئاسة والشرف ٠ وبهذا يكون مجتمع مكة قد شهـــد على نفسه ، وشهد عليه التاريخ بـأن محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى كان وحيد قومه فى خصال الخير ، وأسبـــاب الفضل والعدل ، ومؤهلات الزعامة ٠ ولو تحرينا الانصاف قلنا : ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان ولم يـــزل وحيد الناس ، قاطبة ، فيها ٠

ونحن الذين نؤمن بالله ربا وبمحمد نبيا لا نطلب الدليل على صدق ذلك٠ ولكن الله أقام الادلة ـ على ما ذكرناه ـ فى أحداث اجتماعية هامة ، لمن شاء أن يتفكر وان يتدبر لتظهر هذه المزايا على حقيقتها فى مجال التطبيق والعمل فى أصدق مظهر من الواقع ٠ وخـــير حادثة اجتماعية يحيط اطارها بهذه المزايا حادثة الاحتكام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رفع الركن الى مكانه من الكعبة ، عند تجديـــد بنائها قبل المبعث بخمس سنوات ٠

لما بنى ابراهيم واسماعيل ،عليهما الســـلام ، بيت الله الحرام ، وأذن ابراهيم فى الناس بالحج ، وجـــاءه المؤمنون من كل فج عميق ، وغبرت على ذلك القرون ، احتلت الكعبـــة مكانها الاقـــدس فى قلوب العرب ، وصارت حرمتها عندهم فوق الحرم ، وعلت مكانة الذين حولها يتعهـــدون الحجابة ، والسقاية ، والرفـادة ، والعمارة والشعائر ٠ وتمتعوا بنفوذ وسلطان وأمن ، وأصابوا ســـؤددا وغنى ٠ فتنافس المتنافسون من جرهم ثم خزاعة على مكة وبيتها الحـــرام ، واستضعفوا ابناء اسماعيل ،وغلبوهم على أمر البيت٠ فاعتزل ابنـــــاء اسماعيل السلطة والحكم ، وصاروا قطعا حلولا وصرما فى قومهم بـــنى كنانة » (١) فى السهول والبـــوادى والجبال ، فيما حول مكة ، يكاثرون، ويظهرون على مناوئيهم حتى رث أمـــر خزاعة ، فجمع أحد رجالاتهم الاشداء، قصى بن كلاب ، القبـــائل من فهر ، وهى التى تؤلف بمجموعها قريشا ، واستعان بقوة من اليمن (٢) ،وضرب خزاعة ضربة قاصمة خلصت مكـــة بعدها له ، وانتهى اليه الحكم فيهـــا بغير منازع ٠ وكان قصى بن كلاب أول جد قرشى ، لرسول الله صلى اللـــه صلى الله عليه وسلم حكم مكة فاجتمع له ما للملوك من أسباب الملك ، ومن المهابة والسلطان ٠ فدانت له قريش كلها بالسمع والطاعة وجمع فى يـــده السلطة السياسية والدينية ،فأتـــاح ذلك لابنائه (٣) فرصا للنبـــــوغ

١ـ ابن هشام م ١ ص ١١٧

٢ـ قضاعة وكان عليها رزاح بن ربيعـــة اخو قصى لامه ٠ انظر ابن هشام م١ص ١١٨

٣ـ انظر ابن هشام م١ص ١٣٠ـ١٣٧

والظهور والشرف والثراء • ولم يكن له في قريش كلها منافس ، وما كان أبناؤه يخشون من بعده مزاحما ، وبدأ البيت الحاكم في مكة في أحسن أحواله منعة جانب ، واتحاد رأى ومذهب • ولكن قصيا قبل وفاته أحدث فيه أول زعزعة ، اذ جعل الامر من بعده لابنه عبد الدار ، وهو أقل أولاده حظا من شرف وسؤدد ، وكانت الانظار تتجه الى عبد مناف لما أصاب من شرف في حياة أبيه ، ولكن الاخوة أذعنو لامر الاب المهيب ، والامر الحازم ، فقد كان قصى « لا يخالف ولا يرد عليه شيء صنعه » • واستطاعت هيبة قصي ، ومراعاة أبنائه لحقه ، واحترامهم لكلمته فيهم ولذكراه أن تحفظ الامر بينهم من بعده كما أراده ابوهم من غير شقاق أو خصام • وحكم عبد الدار واكتنفه اخوته يساعدونه يعملون لبيتهم ولانفسهم ، لا خلاف ولا نزاع• ولكن أبناءهم من بعدهم لم يكونوا مثلهم في ضبط النفس ، والحفاظ على وحدة الحكم فحمي وطيس المنافسة بين ابناء العمومة : بين بني عبد مناف وبين بني الدار • وكان لكل فريق أنصار ، ومؤيدون متكافئون • وأتى على قريش يوم اذا البيت الحاكم فيه بيتان ، واذا القبيلة قبيلتان ، قد تعاقد كل فريق على الموت والفناء فلم يبق الا السيف والدم • كانت هذه اللحظة شديدة الحرج ، بالغة الخطر في حياة قريش ، ومستقبلها كله ، لان النزاع لم تقف بوادره عند أصحابه بل لف القبيلة كلها ، فكان الضياع والخسران والغدر الماحق في انتظارهم جميعا • واذا تكافأت القوى المتصارعة وخاف الخطر الناس جميعا أتيح للعقل دور ، وللحكمة مكان • وهكذا كان اذ تداعى الفريقان الى الصلح ، وانتهى الاتفاق الى اشراك بني عبد مناف في حكم مكة (١) • ثم لم يلبث بنو عبد مناف أن عزوا بني عبدالدار بمكارمهم ومآثرهم ، فأخملوا ذكرهم وانصرفت السيادة لبني عبد مناف ، وارتفع المجد والشرف بهم • وتعلقت بهم قلوب قريش من غير اكراه ، وظفروا بتقدير العرب ، واحترام غيرهم من الامم (٢) بما أوتوا من كياسة وخطة حكيمة نفعوا بها بلدهم وقومهم •

والحق أن البيت المنافي ظهر فيه شخصيات لم يظهر لها نظائر في بيوتات قصي الاخرى • كان هاشم بن عبد مناف من أقواها ، وعبد المطلب بن هاشم من أعلاها – قبل الاسلام • وقد أقرت قريش كلها بالسيادة لهما• ولكن النزاع الاول خلف وراءه مضاعفات

١– انظر ابن هشام م١ ص ١٣٢

٢– عقدوا اتفاقيات اقتصادية مع الشام والروم والعراق واليمن • وماتوا – الا عبد شمس – بعيدين عن مكة في تجاراتهم ومهامهم

نشأت منها أعراض خطيرة فيقريش: لا شك أن قريشا عند النزاع لم تختلف فيما بينها على زعامة آل قصى ، اذ كانت تسلم بزعامة هذا البيت تسليما ، وما كان فيها أحدعلى مستوى المنافسة ، انما كان الخلاف على أى ابناء قصى يكون زعيما ٠ولكن الخلاف بعث فى قريش حركة سياسية : دبت خفية ، ثم حبت خفيفة ٠ ثم سعت عاملة نشيطة :

لما انقسمت قريش حول أبناء قصى فريقين يختصمان فيهم ، كان هذا ـ ولاول مرة ـ اشراكا فعليا لها فى السياسة الداخلية للحكم ، واسهاما عمليا فى اختيار الزعيم ،أو الاتفاق عليه ٠ وقد وقف كل بطن منها فى السلاح فى وجه الاخر يومذاك وحملهذا معه روحالانشقاقوالتنافس ٠٠ واذا كان الصلح قد رد السيوف فى أغمادها ، فانه لم يرد الى القلوب صفاءها ورضاها ، وأصبح من العسير أن يرضى بطن من البطون ، بحظمن الشرف والمكانة أقل من حظ خصومه٠ فنشطت حركة من التنافس الداخلى بين بطون قريش ، ظلت فى غلوائها حتى فتح الله على محمد صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة ٠ وقد دفع أحقاد قصى وهاشم وأخوته هذا التنافس الاجتماعى قدما «فىطرق مأمونة ، ففتحوا لقومهم مجالات السعى والكسب الوفر ، وعقدوا لهم الاتفاقيات التجارية مع الامم المجاورة ومهدوا لهم السبل ، ونظموا لهم رحلة الشتاء والصيف ، فانطلقت قريش من قبيلة تكتسب من التبادل المحلى ، الى بيوتات تجارية يضربون فى الافاق وتنصب فى أوعيتهم الاموال ٠ وتفتحت مواهبهم، واتسعتمداركهم ، وعرفوا الخطأ من المجتمعات ٠ ورفع هذا من قدرهم عند العرب جميعا ، وصرفهم هذا السعى الخارجى عن التنازع والصداع فى الداخل ٠ فلم تلق قريش من تسويد أبناء قريش الا خيرا ، ولم تنازعهم علىما فىأيديهم من أمر البيت ، بل أولتهم أمورها ، ورضيت عن سياستهم فيها ٠وأجلت قريش بعد قصى رجلين من أحفاده هاشما ، وابنه عبد المطلب ، أقرتلهما بالسيادة ، وأعظمت مكانهما ٠ وأتت على قريش فى تطورهاالاجتماعى عشرات من السنين ، تبدلت فيها المنازل الاجتماعية تبدلا ملحوظا ـكما هو الشأن فى التطور الاجتماعى لكل أمة ـ فاغتنى كثير كانوا فقراء ، وافتقر قوم كانأهلوهم ذوى مال ٠ ونبه من كان خاملا ، وتقدم الى القمة كثيرون لم يكونواشيئامذكورا٠ وصارت أكثر بطون قريش أفراس رهان ، وقد نزلوا كلهم الى الحلبة بعد موت عبد المطلب ـآخر سيد فى قصى قبل الاسلام ـ ولم يستطع ولده ابو طالب من بعده ان يحتل مكان أبيه (فكانت أمور البيت بينه وبين أخيه العباس)، وانكانت قريش تجل مكانه ، وترعى جانبه ، وتعلى قدره ٠ فكان أبو طالب سيد بنى هاشم وبنى عبد مناف ، ولم

تكن سيادته في قريش كلها • يشهد بذلك أن أبا جهل استطاع أن يؤلب عليه قريشا ، ففرضت عليه الحصار الاقتصادى ، والعزلة الاجتماعية فى الشعب ، حين استشرى العداء بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين •

لقد ظهرت أزمة سياسية حادة بعد موت عبد المطلب نتيجة الحركة السياسية الاجتماعية السابقة ، هى أزمة الزعامة : لمن السيادة فى مكة بعد عبد المطلب ؟ كان كثير من البطون على قدر متقارب من الوجاهة الاجتماعية ، مما جعل الازمة عسيرا حلها • وهذه الازمة وان لم تعلن عن نفسها فى شعر أو ندوات أو تكتلات سياسية ، فقد كانت كامنة فى الانفس على أهبة الظهور ، عند أية بادرة ، فيها للتنافس مجال • وهذا ما حدث حقا عندما اختصمت قريش فيمن يرفع الركن الى موضعه ، وهم يبنون الكعبة ؟ ان من يرفع الركن يومذاك هو السيد المطاع • ربما ما كانوا ليختلفوا على عبد المطلب لو كان حيا ، ولكن قريشا فقدته ولم تتفق على غيره • وكانت أزمة حادة قسمت مرة اخرى قريشا الى فريقين ، وكادوا يحتكمون الى السيوف • لقد فقدوا السيد والزعيم • وودوا لو يظفرون به حتى لا تراق دماؤهم على جدران الكعبة المقدسة المشرفة •

وانتظروا ، وقلبوا بينهم أمرهم ، وقالوا : ليقض بيننا أول من يطلع علينا من باب الصفا • وطلع عليهم الزعيم : طلع محمد بن عبد الله • وكان صوت واحد مجلجل ، كله فرح ورضا وقبول : « هذا الامين رضينا ، هذا محمد »(١) •

لقد كان محمد بن عبد الله – اذ كان رجل الموقف ، كان الزعيم المرتجى ؟ فما سبب هذا الرضا الجماعى ؟

لن تتعب أنفسنا بالتنويه بنسبه العريق • وهو وان كان من أسباب الرضا ، لكنه لم يكن السبب الاساسى فلو كان كذلك ، فان أبا طالب كان بين ظهرانيهم ، وهو أسن منه ، وسيد عشيرته يومذاك • ولكن السبب فى شخصه لا فى نسبه – مع احترامنا البالغ لنسبه الزكى صلى الله عليه وسلم • لقد قالوا : « هذا الامين » فأشاروا اليه باللقب ، ولم يشيروا اليه بالنسب •

كانت الامانة سر الرضا ، وهى صفة اوضحنا مدلولها ومضمونها ، وتفرد رسول الله بها • وكانت قريش تبتغى حكما ، مجردا من الهوى ، قادرا على أن يلقى عواطفه العصبية جانبا ، وان يعلو على خصومتهم ، فيقضى بينهم ولا يدخل فيها • ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا

١– ابن هشام م١ ص ١٩٧

قرشيا هاشميا من البيت الذى يلى شؤون الكعبة ، وما هو بالغريب عن قضايا قومه ، وما يحزبهم ٠ ومع ذلك رأت فيه مختلف البطون من قريش ضالتها المنشودة ، ومفتاح الفرج فى أزمتها العصيبة ٠ فهذا الامين فى اعتبارها ـ اذن ـ فوق العصبية المحلية : رجل يستطيع كل قرشى أن يجد عنده الانصاف والعدل والنزاهة٠ لا يخشى منه تحيز ، ولا ميل عن الحق الى قريب ، أو صديق ، أو نصير ٠ حقا قد احتكمت قريش الى رجل منها، ولكنه فى هذا التقدير فوقها كلها : رجل لا يعبد ما تعبد ، وليس من دينها فى شىء ، هو عندها مثال العدالة ، والاستقامة ،والصدق ٠

وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فى نفوس القوم ، وما هم فيه من خلاف ، وحضره الحل المرضى توفيقا من الله وعونا ٠ أمر بثوب ، فبسط ووضع الركن فيه ، وجعل ممثلى البطون على اطرافه ، وأمرهم أن يرفع كل من ناحية ، حتى اذا حاذوا مكانه ، رفعه بيديه الطاهرتين، ووضعه فى مكانه وبنا فوقه ٠

لقد كان رافع الركن الى موضعه ابن ابراهيم عليه السلام ، الذى دعا ربه مخلصا « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم » (١) فوضعه محمد صلى الله عليه وسلم فى المكان الذى وضعه فيه أبوه من قبل أول مرة عندما رفع البيت ٠

ورضيت قريش أن يفوز كل منها من الشرف بنصيب ، وبردت بذلك اكبادها ولكنها رضيت بأمر أعلى وأبعد مغزى : رضيت أن يفوز بالشرف كله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب اذ كان هو الرافع للركن ، حقيقة ٠

لقد كان فى هذه الحادثة معتبر أى معتبر ، لو استطاع خصوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان يردعوا نفوسهم بعد المبعث ، وان يحكموا المنطق والعقل ، كما فعلوا عند تحكيم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم أطلقوا لغرورهم ولهواهم العنان ، وركبوا الشر ، فانتهى من لم يسلم منهم الى سوء المصير ٠

ان الدرس البليغ الذى كان بامكان قريش ان تتعلمه من نجاح رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، فى حل أزمتها فى الجاهلية ، هو أن هذه القبيلة ذات الحيوية والامكانيات ، لا يمكن أن يستقيم أمرها وتتحد كلمتها ، وتبلغ الفلاح ، حتى تتخلى عن العصبية الضيقة وتذعن للحق ، وتنقاد للناصح الامين ٠ ولقد دعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد سنوات ثمان من بناء الكعبة الى الحق ، فاستنفرت عنه ، فذاقت ما ذاقت من الويل والخسار ، ولم

١ـ البقرة : ١٢٩

يصلح شأنها ، ولم تبلغ عزها الحق الا عندما اسلمت له يوم الفتح وانقادت والتفت حوله كما التفت حوله يوم رفع الركن .

٤ـ القدوة :

ولكن لم خص الله أنبياءه بتلك العناية الكبرى والحفاوة العظمى ، وصنعهم كما أراد ، كما قال لموسى عليه السلام ، (ولتصنع على عيني!)(١)

لاى دور عظيم أعدهم الله اذ صاغهم الصياغة النبوية الفريدة ؟

لو علمنا جلال المهمة الملقاة اليهم لعرفنا بعض السر .

لقد ألقى اليهم واجب ثقيل ليس مثله فى المهمات العظام شىء ابدا ، انه الواجب الذى يملى عليهم ان يبدؤوا عصرا جديدا ملؤه النور ، ومدنية محدثة شعارها العلم والتقدم أو ان يكونوا أمة هادفة الى انقاذ الانسان واسعاده بالبلوغ به مرضاة ربه .

ان الله يختار للنهوض بهذه المهمة التى تنوء بأمم الارض كلها رجلا فردا .

فكيف أدى النبى ما عهد به اليه ، وانفذه على وجهه ، فتوفاه الله وقد بلغ الرسالة وأدى الامانة فجعله فى الخالدين ؟

ان الامام بذلك يعين سبلا وحدها تسلك ، وطرقا وحدها تتبع فى احياء حضارة الانسان بالعلم والايمان . وما من مؤمن يطلع على مواقف الرسول الخالدة (ص) فى القرآن والسيرة الا يتقن أن استيعاب روح هذه المواقف وتمثلها هو الخطة الوحيدة فى تكوين مجتمع اسلامى صحيح سليم.

انه وجب الاقتداء اذ ثبت الاصطفاء .

واذا كان من العسير علينا أن نحيط بتلك المواقف فى هذه العجالة ، فالاشارة الى بعضها كافية :

أـ الاقتراب :

وأول هذه المواقف وأعظمها خطرا هو انفصال الرسول (ص) نفسيا وروحيا عن عصر الجاهلية ، والاتجاه بالقلب والنفس الى العالم الاعلى ، الى الله ، وهذا المسلك مبدأ الانطلاق فى تكوين الامة وبزوغ حضارة الاسلام وقد سمى الله تعالى هذه الطريقة بالاقتراب . قال تعالى لمحمد (ص) « واسجد واقترب » (٢) ويغدو النبى بانفصاله عن الواقع الجاهلى مركز اشعاع متجدد ، يجتذب اليه عناصر مجبولة على الخير ، نافرة من أذى الجاهلية فتسبح فى فلك النبى ، وتخضع لجاذبيته وتستلهم منه القيم والمثل فتتفجر امكانياتها بتأثيره فى طريق الخير . وتنصرف قلوبها الى الله تريد وجهه . انهم الرجال المعرفون بالصحابة الذين

١ـ طه : ٣٩

٢ـ العلق : ١٩

صنعوا بقيادة الرسول (ص) لهم تاريخ الدعوة الاول ، وقد صدرالامر الالهى للنبى (ص) بالتزام هذهالفئة التى هى نواة المجتمع الاسلامى : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم ، تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه ، وكان أمره فرطا » (١) .

وأوصى اللهنبيهوالمؤمنين بالانقطاع اليه فقال « وتبتل اليه تبتيلا » (٢) فكان التبتل فعال الاثر فى سيرة الرسول الكريم اذ جعله فى منأى عن الزلل والخطأ . فجاءت سيرته عليه الصلاة والسلام وحياته فى المقام الاسمى من الكمال والتمام ، والبعد عن النقصان والانحراف . ولم يفارق هذا التبتيل مرحلة من مراحل الدعوة وموقفا من مواقف الرسول (ص) العامة . والخاصة . ألم تكن قرة عينه فى الصلاة ألم يكن يقوم الليل حتى تتورم قدماه ؟

ولقد سرت هذه الروح الى الصحابة ، رضوان الله عليهم ، فحققوا خالد المآثر ، وكانت عندهم شيئا قليلا فيما عرفوا لله من حق عليهم .

ومن ثم لا تبعث الروح الاسلامية وقادة كما كانتفى الصدر الاول الا بجلاء النفوس وتنقيتها واعدادها لاستقبال الاشعاع الثاقب الحى ، الذى نتلقاه من الرسول (ص) ، ان أوغلنا فى سيرته وعشنا فى ظل مواقفه ، وفى صميم مبادئه ومقاصده ولا ينشأ جيل كالجيل المحمدى الاول الا اذا جليت القلوب منصدأ القرون ، ومن اوزار المبادىء الدخيلة ،والافكار الغازية ، والمفاهيم المخالفة للفطرة . فاذا نجحنا فى التحرر والاقتراب من مركز الاشعاع الروحى أحيا الله فينا ما أحيا فى الصحابة ، وبعث منا جيلا كجيلهم . ولهذا نرى فى فترات متباعدة من تاريخنا رجالا متميزين ، لا يشبهون غيرهم ،يعيشون كالاغراب فى عصورهم ، روحهم واسلوبهم ، روح الصحابة واسلوبهم ، لا يخافون بأسا ، ولا يخشون رهقا ، يرهبون ولا يرهبون ينتصرون ولايهزمون ، وان ضاقت بهم أنفس الطغيان فسجنتهم أو عذبتهم ، أو قتلتهم فان فى موتهم النصر اذ يسجلون بذلك على الطاغية هزيمته النفسية أمام مبادىء الاسلام والحق والعدل .

ان أبا جهل لما غيب حربته فى حشا سمية ام عمار بن ياسر « رضى الله عنهم » كان قد تردى من الهزيمة النفسية فى « غور »سحيق .

ان استشهاد رجال الحق يزيد شعلة الايمان توهجا ، وليل الطغيان وحشة وهولا .

(البقية فى صفحة ١٩٢)

١ـ الكهف : ٢٨

٢ـ المزمل : ٨



للدكتور تقي الدين الهلالي

المدرس بكلية الدعوة وأصول الدين

كنت قرأت منذ زمن طويل أخبار القبائل التي تسمى (اسكمو) وأحوال معيشتهم ، ومساكنهم وأسفارهم وحالة الجو في بلادهم ، وذلك معروف في كتب الجغرافية . والذي يهمنا هنا من أخبار الأراضي القطبية ما شاع أن السنة عندهم يوم واحد ، نهار وليلة ، ستة أشهر للنهار ، وستة أشهر لليل .

ولم أؤمل قط أن أرى تلك الاراضي ، لما قرأته من شدة البرد وتراكم الثلوج هناك ، وأنهم يلجأون الى لبس الجلود والاختباء في بيوت يحيط بها الثلج من كل جانب ، الى غير ذلك من الاخبار .

وفي صيف سنة ١٩٣٦ اجتمعت بالدكتور زين العابدين خير الله الحلبي وكان أستاذا في مستشفى الامــراض الخاصة بالنساء في جامعة مار بــورك بألمانيا ، فأخبرني أن الاراضي القطبية واسعة ، وليست محصورة في الاراضي التي يسكنها قبائل (اسكمو) وأنه هو نفسه زار الاراضي القطبية في شمالي النرويج ، وأن سكانها متمدنون ، وأنه أقام هناك نحو اثني عشر يوماً لم ير فيها ظلمة ولا ليلا ، بل كلهــا كانت نهــارا .

ومن ذلك الحين عزمت على زيارة هذه الاراضي في أقرب وقت ممكن . فلما أشرفت السنة الدراسية على نهايتها ذهبت الى السفارة النرويجيــة في الرباط ، وسألتهم عن الاراضي القطبية التي لا تغيب فيها الشمس بضعــة أشهر ، فأخبروني أن الامر كذلك ، وأن هناك نواحي تابعــة للحكومة النرويجية تبقى الشمس فيها مشرقة مدة ثلاثة أشهر من أول مايو (ايار) الى آخر يوليو (تموز) فتأهبت للرحلة وتوجهت من مكناس في سيارتي يسوقها الحاج أحمد هارون في اليوم الثاني من يوليو ، وسرنا متوكلين على الله من مكناس الى تطوان ، ثــم عبرنا البحر من سبتة الى الجزيرة الخضراء ، ثم سرنا عبر اسبانيا ففرنسا فألمانيا ، فالدانمارك ، فسويد فنرويج ، وتركنا السيارة في مدينة (أوسلو) عاصمة النرويج ، وركبنا القطار والسيارات مدة يومين ، فوصلنــا مدينة (نارْوِك) ، وشاهدنا الشمس مشرقة مدة أربع وعشرين ساعة .

أوقات الصلاة في الاراضي القطبية

كنت عازما قبل أن أصل الى تلك البلاد أن أصلي خمس صلوات في مدة اثنتي عشرة ساعة ، ثم أترك الصلاة اثنتي عشرة ساعة ، فتكون خمس صلوات في أربع وعشرين ساعة .

فلما وصلت الى تلك البلاد تغير رأيي ، وظهر لي أن تَتَبَّعَ أوقاتُ الصلاة في تلــك البلاد الاراضي الجنوبية من البلاد النرويجية ، فيصلي المصلي صلاة الصبح وقت طلوع الفجر في الجنوب ، ويصلي الظهر حين تزول الشمس في الجنوب ، وهكذا الشأن في جميع الصلوات ، بناء على قاعدة : ما قرب من الشيء يعطي حكمه ، وكذلك يفعل الصائم في رمضان اذا جاء في وقت الشمس ، أو في وقت الظلام .

هل في الاراضي القطبية فصول

ينبغي أن يعلم أن في تلك البلاد ما يشبه الفصول الاربعة ، وقد تقدم أن الشمس تستمر مشرقة من أول مايو (ايار) الى آخر يوليو (تموز) ثم تغيب غيابا جزئيا في أول غشت (آب) في كل يوم تبقى غائبة أكثر من اليوم الذي قبله ، فيكون الليل قصيرا والنهار طويلا ، ولا يزال الامر كذلك ، يزداد الليل طولا والنهار قصرا الى آخر أكتوبر (تشرين الاول) فتغيب الشمس وتبقى ثلاثة أشهر غائبة.

وفي أول فبراير (شباط) تطلع الشمس ، ثم لا تلبث أن تغيب ، فيكون النهار قصيرا والليل طويلا ، ولا يزال النهار يطول ، والليل يقصر الى آخر ابريل (نيسان) ثم ينعدم الليل . فهذه مدد تشبه الفصول الاربعة في البلاد التي يكون فيها الليل والنهار طول السنة .

وقد عرفنا حكم أوقات الصلاة في الاشهر الثلاثة الشمسية ، ومثلها الاشهر الثلاثة المظلمة . بقي حكم أوقات الصلاة في ربيع تلك البلاد وخريفها ، وهما مدتان ، يكون فيهما ليل جزئي ونهار جزئي ، فكيف الحكم في أوقات الصلاة والصيام ؟

لا يمكن أن نفكر في هذه المسألة ثم نبدي رأينا فيها الا اذا أحطنا علما بليلها ونهارها ، كيف يطول وكيف يقصر . فالليلة الاولى بعد انتهاء مدة الشمس ، وهي أول ليلة من غشت (آب) كم طولها ؟

فاذا كان طولها نصف ساعة أو أقل ، فهل يحكم عليها بأنها ليلة تصلى فيها المغرب والعشاء والصبح عند نهايتها ، ويفطر الصائم ويتسحر فيها ، ويصوم نهارها ، ويصلي الظهر والعصر في وسطه ، أم يستمر على اعتبار توقيت العاصمة (أوسلو) ويعتبر الليل ليلا ، والنهار نهارا ؟ وما مقدار الساعات التي يبلغها الليل طولا حتى يعتبر أنه ليل ؟ واذا مضى أكثر الاشهر الثلاثة وقصر النهار جدايعود السؤال نفسه . وهكذا يقال في المدة الثانية التي تبتديء من شهر فبراير (شباط) وتنتهي في آخر ابريل (نيسان).

فان قيل : أنت أول من بدأ هذا البحث ، فعليك أن تجيب عن

أسئلتك ، وتبدي رأيك ؟ قلت : يمنعني من ذلك أنني من أهل الحديث المتبعين للسلف الصالح المتجنبين للرأي ، المعتبرينه كالميتة لا يجوز الاكل منها الا بقدر الضرورة . فما نزل من المسائل وتحقق وقوعه ، وسئلنا عنه أفتينا فيه بالرأي قائلين : ان كان صوابا فمن الله ، وان كان خطأ فمنا ، والله بريء منه ، كما قال عبد الله بن مسعود .

أما مدة الشمس فقد وجب علينا أن نجتهد في حكم أوقات الصلاة فيها ، لأن ذلك وقع ونزل ، وقسنا عليه مدة الظلام ، لأنهما سواء . أما المدتان الأخريان فندعهما حتى يحتاج بعض المسلمين الى معرفة الحكم ، فييسر الله له من يفتيه .

وقد كان السلف الصالح ، اذا سئل أحدهم عن مسألة استحلف السائل بالله ، انها وقعت ، فان حلف له أفتى فيها برأيه ، والا قال : دعها اذا نزلت ييسر الله لها من يفتي فيها .

وما زعمه بعض المتقدمين من أن بلاد بلغار يقصر فيها الليل والنهار جدا وهم ، وقد لاحظت أن الليلة الاخيرة التي مضت قبل وصولنا الى بلاد الشمس في نصف الليل ، كما يسمونها ، لم تكن مظلمة ، حتى اني مع ضعف بصري ، وأنا راكب في السيارة كنت أرى الاشجار ، وأغصانها ولا توجد ظلمة أصلا ، الا أن الشمس مختفية . ومن حين يتوسط الانسان بلاد النرويج متوجها من الجنوب الى الشمال تقل ظلمة الليل شيئا فشيئا حتى تنعدم بانعدام الليل نفسه . فسبحان الخلاق العليم .

ولا حظت أيضا : كما لاحظ من معي أن الشمس في نصف الليل تكون قريبة من الارض كأنها تريد أن تغيب ، لكنها لا تغيب ، بل تأخذ في الارتفاع وتدور في السماء ، فتشكل دائرة من نصف الليل الى نصف الليل . قال الله تعالى في سورة الحج (أفلم يسيروا في الارض ، فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمي الابصار ، ولكن تعمي القلوب التي في الصدور) فأخبر سبحانه وتعالى أن السير في الارض يزيد في العقل والعلم المكتسب بالتجارب ، وقل ربي زدني علما .

وهناك في تلك الناحية قبائل بدوية

تسكن الخيام ، ولها ماشية ، وهي الايائل ، وهي نوع من الحيوان يشبه الظباء ، الا أنها أكبر منها ، وقرونها متشعبة كالاشجار يحلبونها ويأكلون لحومها ، وينتفعون بجلودها . ولا يستطيع شي من سائر الحيوان كالبقر والغنم أن يعيش في تلك البلاد غير الايائل ، لشدة بردها ، وكثرة ثلوجها ، ولتلك القبائل لباس خاص .

وسمعت أنهم وثنيون ، لا يدينون بالنصرانية التي يدين بها أهل تلك البلاد ، ولا أعلم مقدار هذا الخبر من الصحة ، وليس هذا الجو خاصا بشمال النرويج ، بـل يعم كذلك شمالي السويـد .

وقد علمت أن من أراد أن يشاهد الاراضي القطبية التي في شمال السويد يستطيع أن يسافر اليها بالقطار .

أما مدينة ناروك التي تقدم ذكرها فقد سافرنا اليها من (أوسلو) ، بعض المسافة بالقطار ، وبعضها بالسيارة ، وكنا في كل بضع ساعات نجتاز خليجا من خلجان البحر ، بمعدّية ، وهي باخرة كبيرة ، تدخلها السيارات ، فتبقى فيها نصف ساعة أو أكثر حتى تصل بها الى البر ، فتخرج السيارة منها وتستأنف سيرها .

وقد رأيت القطار نفسه يعبر البحر في معدية بين ألمانيا الشرقية والدانمارك في مدة ساعتين . وتلك المعدية ضخمة عظيمة الحجم ، ذات ثلاث طبقات ، يصعد الى الطبقة العليـا بـالمصعد الكهربـائي .

وهناك معدية رأيتها تستعمل بـين سبتة والجزيرة الخضراء ، وهي أيضا عظيمة ، ولكنها دون تلك . وليس مقصودي أن أصف هذه الرحلة ، لأن وصفها يحتاج الى مؤلف مستقل ، وانما ذكرت ما تقدم استطرادا .

من وحي الأندلس
قصيدة من بحر جديد

لما مررنا بأرض الاندلس في رحلتنا الى شمال أوروبا تذكرت أهـل الاندلس المسلمين ، وما كان لهم من المجد والسؤدد ، فقلت هذه القصيدة ، وهي مـن بحر جديد اخترعتـه . وأجزاؤه أربعة : مستفعلاتكم مستفعلين مرتين . له عروض واحدة صحيحة ، لها ضربان ، أولهما مذيل ، والثاني عار عن التذييـل .

وكل هذه التفاعيل بفتح العين ومعناها : مستخرجاتكم مستخرج أيها المسلمون ، فالزموا مستخرجاتكم ولا تهملوها .

وقد أحدث العرب المولدون أوزانا شعرية زائدة على بحور الشعر بعد زمان العرب الأقحاح ، ونظموا عليها شعرا كثيرا ، ثم جـــاء زمان الموشحات والازجال ، فاشتغل بها العرب في الشرق والغرب ، واشتملت على أدب جم . ونظم بهاء الديـــن زهير شعرا اخترع له وزنا خاصا ، وهو قوله :

يـــا من لعبت بـــه شمول
مـــا ألطف هذه الشمائل

فلا غرابة اذا اقتديت به ، وألقيت دلوي في الدلاء . وهذا نص القصيدة :

لمـــا بدا لنـــا جمالكـــم
أضحت قلوبنا أسرى الغرام

وانبعثـــت بهـــا مـــودة
تنمو وتزدهي على الـــدوام

قـــد طال هجركم وصدكم
ومـــا رثيـــتم للمستهام

ولم نـــزل نفـــي بعهدكـــم
ومـــا رعيتم لنـــا ذمام

فهـــل سمعـــتم بقـــاتـــل
لمـــن يحبه هـــذا حرام

هبوا أسيركـــم لـــو نظرة
صلوا عميدكم لـــو بالكلام

أمـــا تـــرونـــي متيمـــا
لم تدر مقلـــتي أي منام

محبـــتي لكـــم عفيفـــة
غدت بريئة مـــن كل ذام

وعـــاذل أتـــى يلـــومـــني
كلامـــه غـــدا مثل الكِلام

فقلت : يـــا فـــتى ويلك اتئد
فأنت طالـــب مـــالا يرام

عذلـــك زادني صبـــابـــة
فكف أو فـــزد من الخصام

يـــا موطنا غـــدا مفتخـــرا
بخير أمـــة مـــن الأنام

بالعرب اذ علـــوا مراتبـــا
قد بلغوا بهـــا أقصى المرام

أندلســـا دعيـــت في الورى
وجنـــة سمـــت خير مقام

معجزة فلـــم يـــر الـــورى
لها مماثـــلا لـــو في المنام

كيف افتخارنـــا بمجدهم
ونحن لم نـــزل بـــلا نظام

والخلف مـا لهم مفتخـر
لكـن عليهـم بالاحتشام

الا اذا حيـوا واتحـدوا
وارتجعوا الى نهج الكرام

واتبعـوهـم في دينهـم
ديـن محمد بـدر التمام

فالعرب مـا لهم معتصـم
الا بحبلـه ولا التئـام

والعـز عنهـم مبتعـد
الا اذا اقتـدوا بـذا الامام

فهـو حياتهم في بـدئهم
وهـو حياتهم على الـدوام

وكلمـا اقتفـوا خلافـه
فهو ضلالـة وهـو الحسام

صلى عليـه مـن أرسلـه
هدى ورحمة يجلو الظلام

مـا غردت ضحى حمامـة
وأشرقت ذكـا بعد غمام

والآل والصحـاب كلهـم
أزكى صلاته مـع السلام

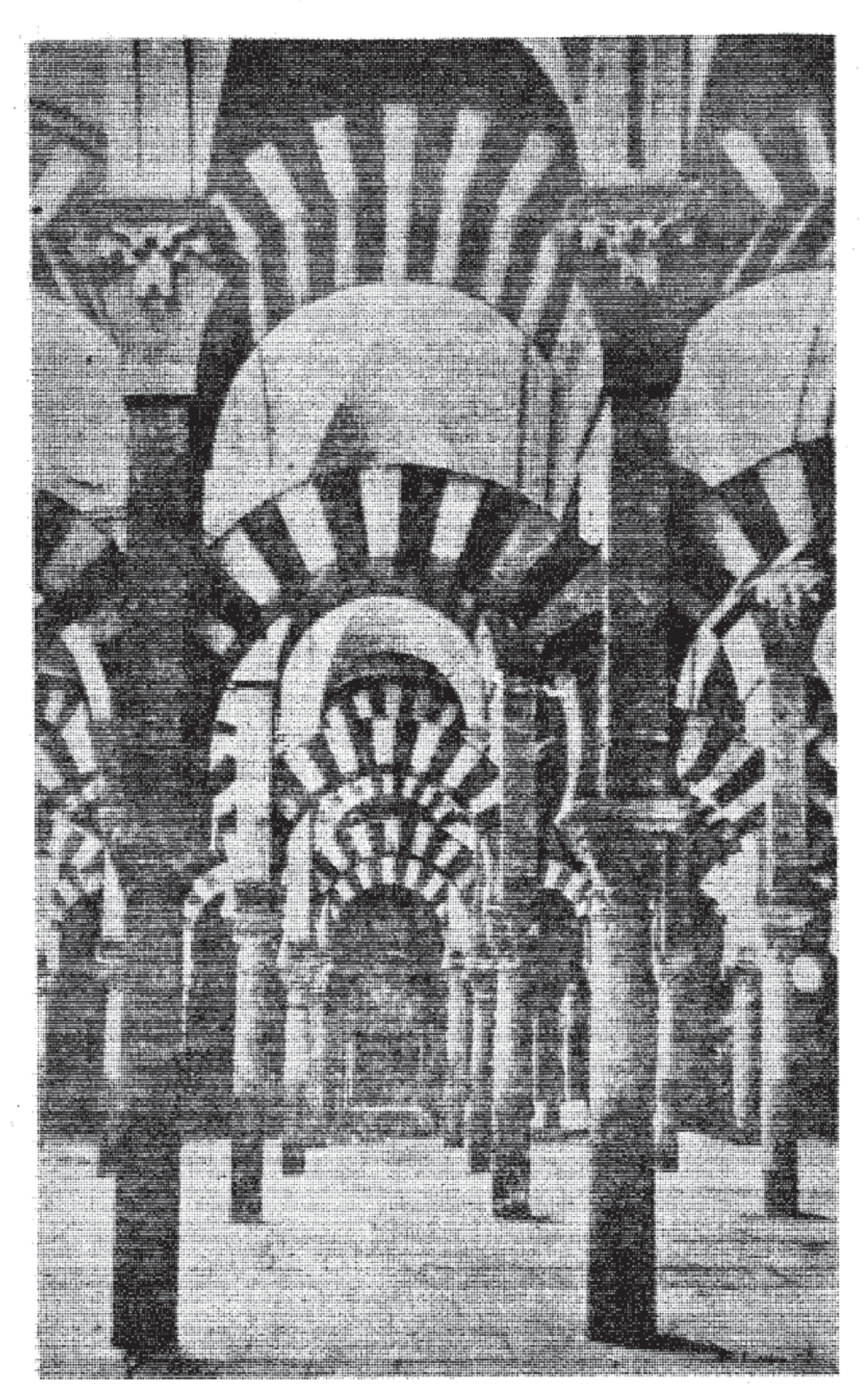
وقد اطلع على هذه القصيدة الاديب الكبير العالم المحقق العبقري عبدالله كنون فأعجبته وأثنى عليها .

وفي الاياب من هذه الرحلة عرجنا على قرطبة وزرنا مسجدها ، فاعتراني شعور فيه روعة واجلال واعجاب ، وحزن ، لا أقدر أن أصفه بلسـان ولا أظن أن شخصا له شعور انساني يرى ذلك المسجد ولا يعتريه مثل ذلك الشعور ، سواء أكان مسلما أم غير مسلـم .

وصف جامع قرطبة

من أمثال العرب : ان الحديث لذو شجون ، وقد بدا لي أن أنقل هنا وصف مسجد قرطبة الجامع من كتاب مدنية المور في الاندلس الذي ترجمته بالعربية من أصله الانكليزي لمؤلفه (جوزيف ماك كيب) ليرى القاريء العربي المسلم شيئا من مجد أسلافه . وهذا نص ما قاله في وصف مسجد قرطبة :

لم يبق من آثار قرطبة في القرون الوسطى الا أثر واحد ، وهو جامعها الذي لا يزال الى اليوم ، جميع أطفال قرطبة يسمونه مسجدا ، ولولاه مـا تجشم أحد عناء السفر لمشاهدة قرطبة ، ولو كانت على خمسة أميال منه ، ولكن الناس من جميع أنحاء الدنيا يسافرون اليها ليشاهدوه .



منظر صفين من سوارى جامع قرطبة

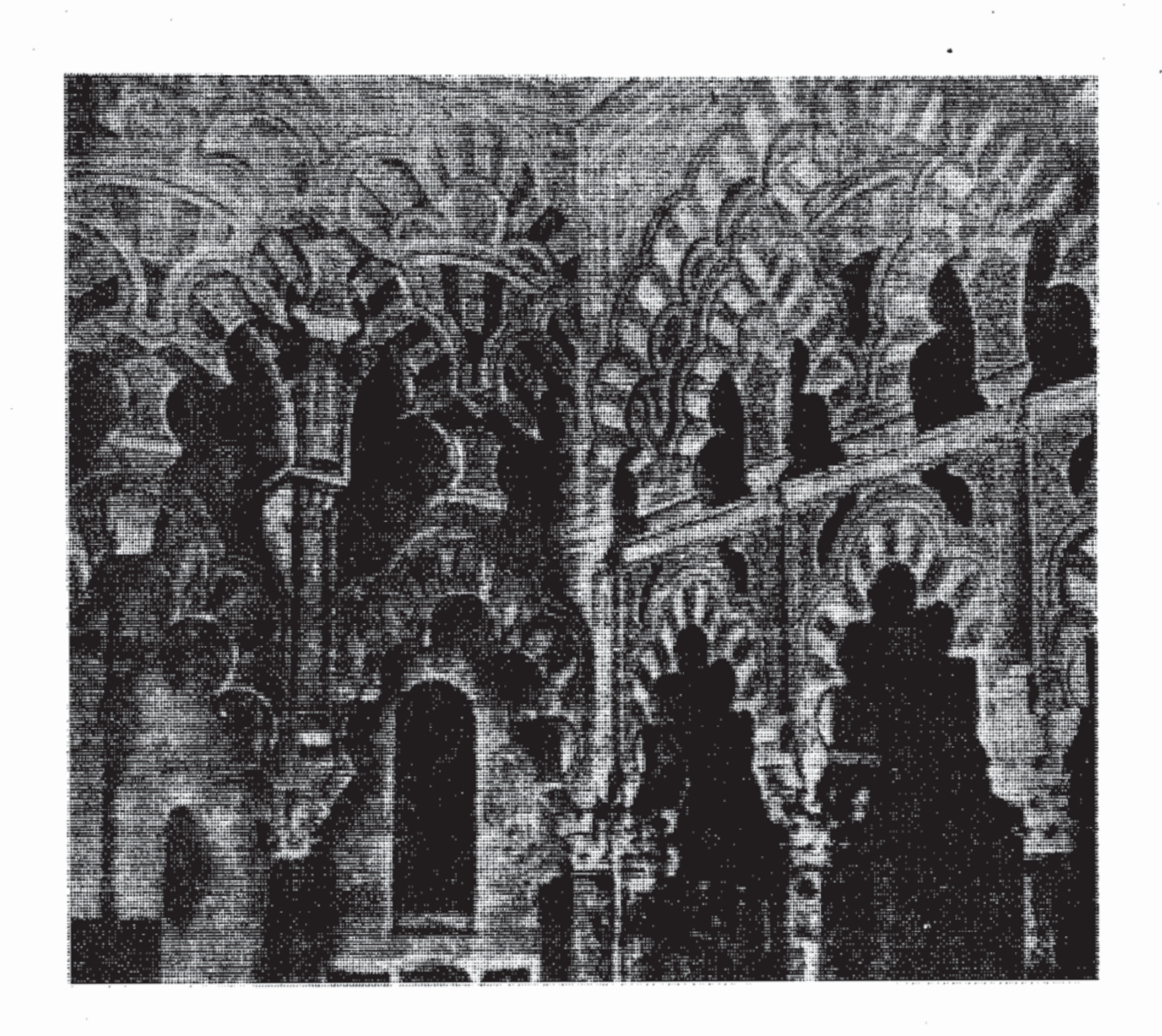
وهو أعظم معبد في الدنيا بعد كنيسة (سنت بيترس) ، وهو آية لا نظير لها من الهندسة والبناء ، وظاهر هذا المسجد لا يستولي على اللب ، ولم يكن المور الذين كانوا يفضلون الاقامة داخل البيوت أكثر من خارجها يعتنون كثيرا بالظاهـــر .

وأما الداخل فهناك العجائب ، اذا دخلت الجامع من أي باب من أبوابه التسعة عشر يخيل اليك أنك تائه في غابة من أشجار المرمر ، ففيه ثمانمائة وستون سارية من المرمر والرخام واليسر ، وفيه غير ذلك الف واثنتي عشرة سارية. وفيه تسعة عشر رواقا ، ينتهي كل منها بباب من الابواب التسعة عشر ، وله سقف خشبي منخفض نسبيا ، وقد زخرف أحسن زخرفة بـــالأرجوان والذهب .

وفي الاعياد الكبيرة توقد مائتان وثمانون ثريا من الفضة والنحاس ، يحترق فيها الزيت العطر ، وتتلألأ فيها آلاف كثيرة من المصابيـح ، فتلقي أنوارها على ذلك المشهد . وأكبر ثريا منها كان محيطها ثمانية وثلاثين قدما (فوت) يحمل ألفا واربعمائة وأربعا وخمسين مصباحا ، ولها مرآة تعكس النور ، فيزيد شعاعه تسعة أضعاف . وفيها (٦٠٠٠) ألف طبق من الفضة مسمرة بالذهب ، ومرصعة باللؤلؤ .

وكان الجامع قد شيد مع مضافته في القرن الثامن والتاسع والعاشر . والمحراب الذي هو أقدس محل في مسجد المور ، كان فيه حنيتان ، وكان أعظم زخرفا من سائر المساجد . وآخر المحراب يشبه صدفة من رخام ، وله مدخل يتلألأ كالذهب الخالص أو الديباج بفسيفسائه الجميلة . وأحيل القارىء على كتب زخرفة البناء أو كتب الاستدلال ، ليرى عجائب هذا الجامع العظيم .

وكان بناوءه من النصارى المنتمين الى الكنيسة اليونانية ، وكانت بينهم وبين المور مودة ، فجلبوهم لبنائه ، وهو أثر لمدنية زاهرة ، لا يضاهيها اليوم شيء في الدنيا كلها وكان عبد الرحمن الأول موءسس هذه الدولة ، قد جعل مدينة قرطبة على مثال مدينةدمشق التي قضى فيها أوائل عمره ، وهو الذي ابتدأ بناء الجامع وأتمه الخلفاء الذين جاءوا بعده . وبلغت نفقاته على م
ا



منظر بعض الأقواس المتداخلة من جامع قرطبة

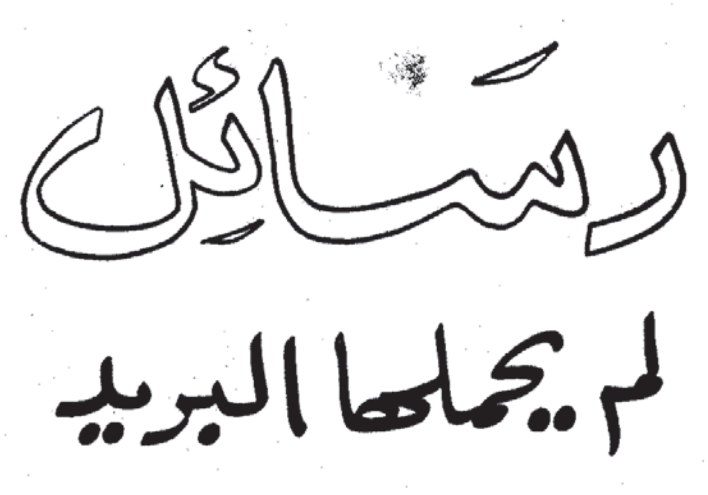
حدث به مؤرخو العرب (٣٠٠،٠٠٠،٠٠٠) دولار ، وكان هذا آخر عمل عمله في حياته ، وقد شيد غير هذا هو وخلفاؤه ورجال دولتهم قصورا فخمة ، ومساجد كثيرة ، كانت تزيد المدينة في كل سنة جلالة وبهاء . اهـ

أولئك آبائي فجئني بمثلهم
اذا جمعتنا يا جرير المجامع

لكن لا ينبغي لنا أن نقتصر على الافتخار بمجدهم ، بل ينبغي لنا ويتحتم علينا أن نعمل بقول من قال :

لسنا وان أحسابنا كرمت
يوما على الأحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا
تبني ونفعل مثل مافعلوا

فنسأل الله أن يوفقنا لاحياء ذلك المجد الشامخ ، انه على ذلك قدير .





بقلم الشيخ عبد الرؤوف اللبدى

أمـّــاه

لقد تركت الجامعة ، وتركت الدراسة في كلية الحقوق ، وأصبحت فدائيّا ، نعم . . . فدائيا ! أقول هذا وأنا أعلم أي نبأ أسوقه إليك ، وأيّة مصيبة ستحل بك ، ولكن ماذا أصنع ؟ ! ماذا أصنع يا أماه ؟ !

عليّ أن أقوم بعملياتي الفدائية ، وأخشى أن تقضي عليك المفاجأة المروّعة ، حين تجدينني بين يديك جثّة خرساء ، جثّة غارقة في التراب والدماء ، وظنك انني أسرح وأمرح في أفناء الجامعة ، وأفياء الحدائق .

حاولت في بداية هذا الأمر أن أكتب إليك ما أنا عازم عليه ، وقضيتها ليلة تائهة النجوم ، ضائعة القمر ، أثبت وأمحو ، وأمحو وأثبت ، كم مرة كتبت إليك هذا النبأ ثم انثنيت ، وكم مرة وضعت الرسالة في

الغلاف ثم مزّقتها ، يا لله لتلك الليلة ! لقد تنفّس صباحها ، ولكن الرأي عندي لم يتنفّس .

أما اليوم فلا تردّد ولا كتمان ، ولا حيرة ولا تخوّف ، لقد برح الخفاء ، وآن له أن يبرح ، تدريباتي العسكرية قاربت النهاية ، وعملياتي الفدائية في الأرض المغصوبة أوشكت أن تبدأ ، والعام الدراسي يطوي أخريات لياليه وأيامه ، وأبناء بلدتي الذين كنت زميلا لهم في الجامعة يحزمون أمتعتهم ، ويطوفون بالأسواق يشترون الهدايا .

سوف يعودون إلى البلدة كما كنت أعود في السنوات الخالية ، وسوف يطرقون الأبواب على أهليهم ، فتتفتّح لهم ضاحكة مستبشرة ، سوف تغمر الفرحة بيوتا كثيرة هنا وهناك على مقربة منك ومبعدة ، وسوف تغصّ هذه البيوت بالمهنئين مع النهار ، وبالسامرين مع الليل .

أما أنت أيتها الأم الرائم ، فلن يطرق الباب عليك ذلك الطارق الذي تتوقعين ، إنه لن يعود مع هؤلاء العائدين ، هذه الرسالة التي أكتبها إليك اليوم ، هي التي ستعود هذا العام ، وتقرع عليك الأبواب لك الله يا أماه ! لك الله ! كم تحملّت في سبيلي من متاعب ومصاعب ، عشرون عاما تتابعت آخذاً بعضها بعناق بعض ، وأنا أتقلب في أحضانك العاطفة ، تحت أجنحتك الوارفة ، دون أن يعينك على الحياة زوج ، أو يقف إلى جانبك فيها البنون ، إنما هي عشرات من غراس الزيتون لا يكاد جناها يفي بحاجات الحياة .

كم وفرت لي لذيذ طعام وشراب ، وحرمت منه جسمك الغرثان ، لم يكن ليصدّق من يراك ويراني صغيرا أمشي خلفك تارة ، وأثب عن يمينك ويسارك وبين يديك تارات أخرى ، ما كان ليصدق أن هذا الطفل الذي تسيل أعطافه صحة وحياة ، ويطفح وجهه رفاها ونعمة — أنه ابن هذه المرأة الطاوية البطن ، المعروقة العظام ، العارية الأشاجع .

هذا الطفل الذي ربّيته وأنفقت عليه من شبابك عشرين ربيعا ،

صابرة تنتظرين فيه العزاء والعوض من أبيه ، صادفة عن الخاطبين وهناء الزواج حرصا عليه وإبقاء على حب والده ، هذا الطفل الذي أوشكت أن تبلغي به ما كنت تؤملين هذا الطفل الذي كنت تتوقعين أن يؤوب إليك هذه الأيام حاملا شهادته العالية بدلا من أن يبعث إليك بهذه الرسالة — يخيل إليك اليوم أنه قد ضاع من بين يديك ، وأنك قد فقدته أبدا ، أو أن يعود إليك كما عاد أبوه من قبل عشرين عاما محمولا من المعركة ، قد نزفت دماؤه ، ولمّا يمض على زواجكما سنة كاملة .

كنت تريدينني ذا مكانة تتيهين بها على سائر الأمهات ، نسكن بيتا جميلا مطّلا على القرية من فوق رابية الزيتون ، نغدو ونروح في سيارة فارهة كيفما نشاء وأنّي نريد ، كنت تريدين أن تثأري لسنوات الحرمان الطويلة ، كنت تريدين . . . وتريدين . . . وأريد . . . وأريد . . .

أحلام جميلة طالما رأيناها ، وأمانٍ حلوة طالما عشناها ، وها هي ذي اليوم تتقشّع كما يتقشع ضباب الصباح مع أشعة الشمس المشرقة .

يا إله السموات والأرض غفرانا ومرحمة ! ! ويا أيتها الأم الصابرة معذرة إليك ، وحنانا من لدنك ! !

كان عليّ أن أبقى إلى جوارك برّاً بك وإحسانا ،ولكن هذه المصيبة الحطوم التي حطمت دارا من ديار المسلمين — لم يكن في مقدوري أن أقف حيالها متفرجا من بعيد ، أقرأ الصحف ، وأسمع الأذاعات ، ثم أصيح ملء شدقيّ : مرحى لهذا ، وتعسا لذاك .

لم يعد في استطاعتي بعد هذا أن أقرأ كتابا ، أو أصغي إلى محاضر ، أو أفهم شيئا من هذه القوانين التي تتحدث عن حقوق الناس والشعوب والدول ، هذه القوانين التي يخيّل إليّ أنها لم تكتب إلا لتدرس في الجامعات ، وتنال بها الشهادات ، ويتبارى فيها الخطباء على منابر هيئةالأمم المتحدة ، أما التطبيق والعمل فله قوانين أخرى يعرفها وحش الغاب وحيوان البحر ،

تعرفها الدول القوية التي تقول للدول الضعيفة والشعوب الغافلة وهي تفترسها : نريد أن نمدّك بأسباب الحياة ، ونهديك سبيل الحضارة والتقدم .

يعرفها أناس في الشرق والغرب يتباكون على الضحايا والفرائس ، وهم الذين أحلوها دار البوار .

أية حقوق أدرس ، وقد ضاعت حقوقي في الحياة باسم الحق والعداله ؟ ! وأي قانون أتعلم ، وقد ضاعت بلادي من فوق الأرض باسم قانون الأمر الواقع ؟ ! يا لله من كيد الظالمين ! ! ويا لله من خداع الأقوياء ! !

كان لزاما أن أمضي قدما في الطريق الذي اختاره الله لي ، وهداني إليه ، وأن أتنكب هؤلاء الناس : هؤلاء الشباب الذين يجوبون الشوارع تصيدا للفتيات ، وبحثا عن السوءى ، ويقضون لياليهم في دور الخيالة والملاهي عابثين معربدين ، أو على المقاهي يتساقون ما لذّ وطاب من ألوان الشراب ، يمضغون الأحاديث الماجنة ، ويتثاءبون من فراغ وكسل ، ثم يهربون كما تهرب الفيران إلى جحورها كلما سمعوا هدير طائرة ، أو دويّ مدفع ، أو طلقات رصاص .

شكرا لله رب العالمين الذي لم يعجّل لي بالزواج ، فأصبح ذا بنات وبنين ، أتعلل بالسعي عليهم ، والكسب لهم ، والخوف على مستقبلهم من اليتم والفقر والضياع ، كأنما اطلعت على الغيب ، أو اتخذت عند الرحمن عهدا .

أحمدك يا إلهي حمدا كثيرا أن لم تجعلني ذرب اللسان ، واسع الحيلة ، ذا خِلابة ، أخدع الناس بما أتلمّس من معاذير ، وأدلّس في العلل ، لأنجو من أداء الحقوق ، وألقي عن كاهلي أثقال الواجبات .

لقد وضعت أصابعي العشر في آذاني وأنا أمرّ بأولئك الذين يثبّطون العزائم صائحين ! أنريق الدماء ، ونكدّس الجثث ، لتكون منابر مجد لفلان وفلان ؟ ! أنضحي بحياتنا في سبيل أناس لا يستحقون الحياة ؟ !

مررت بهم وأنا أقول : إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله ، وهو أعلم بمن اهتدى .

أمّـــاه :

إذا كان في الناس من يقاتلون وراء مباديء حزبية ، أو زعامات سياسيه ، فلست منهم في شيء ، لست قنبلة من هذه القنابل التي يطلقها أناس آمنون وراء الجدران راتعون في لذات النعيم .

لم يستخفّني إلى الموت سراب مجد ، ولا أمانيّ شهرة ، ولا ضلالة عمياء من هذه الضلالات التي يتيه في ظلماتها شباب الضياع ، وإنما هو الجهاد ، أسير في طريقه ، ولا أبتغي به غير الله ، ولكل امرىء ما نوى .

تركت مسارح اللهو ومراتع الصبا ، تركت فراشي الوثير ، وأغطية الصوف والحرير ، تركت الطعام الهنيء والشراب المريء ، تركت أسمار الصيف الغافية على أضواء القمر ونسمات الليل المبتردة ، تركت مجالس الشتاء الهادئة الدافئة على أنفاس المواقد ، وتركت المحاضرات والمحاضرين ودراسة القانون ، وكم تركت وتركت . . . تركت هذا كله غير آسف ، تركته مسرعا إلى مسارح الوحش ووكنات الطير ، أتوقّل في الجبال ، وأهبط الأودية ، دون أن تضلّ بي الشعاب والثنايا ، أو تتنكر لي المغاور والكهوف ، لا أبالي أن أفترش الثرى ، وأن أتوسّد الحجر ، وأن أبيت على الطوى ، أعدو في صبيحة كل يوم سبعة أميال أو تزيد ، دون أن أشكو أو يسمح لي بالشكوى ، لم أعد أعرف الكنّ في زمهرير الشتاء ، ولا القيلولة في هواجر الصيف ، وسيّان لديّ أن أسير في غسق الليل وأن أسير في وضح النهار .

لعلّك تتساءلين من إشفاق وعجب ، وأنت تضعين كفّا على خدّ ، وتقولين : أنّي لك هذا — يا بنيّ — وأنت على ما أنت عليه ؟ !

ما أسرع ما تغيّرت يا أم عما تعهدين ! ! إن فتاك الذي كان

يمور في الشحم واللحم كخراف العيد المعلوفة ــ قد سقط عنه شحمه ولحمه وأصبح عودا صليبا من عيدان السنديان ، هيهات أن ينثني أو يتكسّر .

لا شيء يستهويني هذه الأيام مثل إطلاق الرصاص ، وضرب المدافع ، وتفجير القنابل ، والفتكات الخاطفة بالسلاح الأبيض .

ما أكثر ما أحتضن السلاح وأقلّبه بين يدي ! ثم أقبّله بلهفة وحنان ، وأنا أقول : غداً غداً سترسل المنايا إلى كل معتد كفّار ، إلى أولئك الذين في آذانهم وقر ، وعلى أبصارهم غشاوة ، أولئك الذين لا يفهمون الكلمات المطبوعة ، ولا الألفاظ المسموعة ، غداً غداً ستكتب لهم سطورا من الجثث وحروفا من الأشلاء مغموسة بالدماء . ستكتبها على القمم والسفوح وفي بطون الأودية ، على التلال والسهول وجوانب الطرق .

غداً غداً أيها السلاح ستريني ما وعدتني ، وأريك ما وعدتك .

أمّـــاه :

كم تمنيت أن تكوني على مقربة ، فتملئي عينيك وقلبك مني ، وأملأ قلبي وعينيّ منك قبل أن أغادر أرض التدريب والتجارب .

أغلب الظن أني سأجتاز الحدود إلى أرض الصراع والعراك في خلال أسبوعين ، ما أجملها صورة حين أرى الأعداء يتساقطون صرعى رصاصاتي ، وأشاهد الأشلاء تطير بين السماء والأرض مما أقذفهم به من قنابل ! !

لاتخافي عليّ الموت ، بل اسأليه تعالى أن يكتبه لي ، أو أن يكتب لي النصر .

لم يبق لي في الحياة بعد هذه الهزيمة عزّة ، ولن يغسل العار إلا السيف ، لماذا أخادع نفسي ، وأخادع الناس ، وثياب الخزي تجلّل جسدي كله ؟ !

إذا كنت من المؤمنين حقا فهذا حق الله عليّ ، وإذا كنت من المؤمنين بالآخرة ، فلم التعلّق بهذه الدنيا على ذل وهوان ، وحرق مساجد

وتحريف قرآن ، وهتك عرض ، واغتصاب أرض ؟ ! وإذا لم يحقّ عليّ الجهاد اليوم فمتى يكون حقا ؟ !

لا تجزعي عليّ أيتها الأم ، واحتسبيني عملا صالحا تقدمينه بين يديك عند الله ، وذخرا تدخرينه ليوم يقول فيه الأنسان يا ليتني قدّمت لحيـــاتي .

لا تعدي نفسك في الثواكل ، ولا تخالي ابنك قد ضاع سدى ، دعي الناس يحسبون كيف يشاءون ، ما عليك من حسابهم من شيء ، فلله الأمر من قبل ومن بعد ويوم يقوم الحساب .

لا تنظري إلى الخلف يا أماه ! فيطول ليلك ، ويطول همك ، وتذهب نفسك حسرات ، ولكن انظري إلى الأمام ، فذلك خير وأهدى سبيلا ، انظري إلى الأمام بعيدا . . . بعيدا . . . انظري إلى ما بعد الموت . . . انظري إلى الدار الآخرة ، انظري إلى جنات الله والى جوار الله ، هنالك ستلاقين أبي هنالك ستلاقين ابنك الوحيد ، هنالك سنلتقي جميعا إن شاء الله .

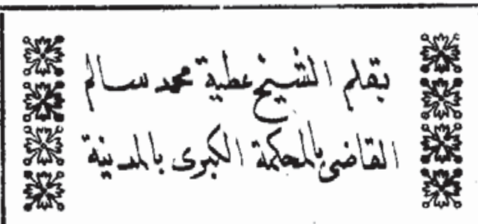
ابنك الفدائي

ما على عثمـــان

خطب النبى صلى الله عليه وسلم فحث على جيش العسرة فقال عثمــان بن عفان رضى الله عنه : على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها ، قال ثم نزل صلى الله عليه وسلم مرقاة من المنبر ثم حث فقال عثمان : على مائـــة أخرى بأحلاسها وأقتابها فحرك رسول الله صلى الله عليه وسلم يده كالمتعجب وقال : ما على عثمان ما عمل بعد هذا .

أحمد والبيهقى وأبو نعيم فى الحلية





« الحلقة الثالثة »

الى حضرات القراء الكرام قدمنافى الحلقات السابقة من هـــذا البحث التراويح فى العهد النبوى وعهـــد الخلفاء الاربعة رضى الله عنهم والان نقدم ما بعد عهدهم الى نهايـة الالف عام : ما جرى على التراويـــح فى المسجد النبوى من زيادة أو نقص ومن صورة أو شكل ٠

وقد أبدينا الرأى انه بحث تاريخى فقهى وانه للجميع وقد التمسنا من كل من يقف على هذا المبحث سابقـا أو لاحقا أن يتكرم بابداء ما عن لـه من توجيه ويهدى الينا ما وقف عليه مما لم نطلع عليه فى المراجع الـتى بين ايدينا أو مما لم يصل الينا ٠ ولا سيما مع ضيق الوقت وكثرة العمل وضعف الجهد مما يجعلنا نلتمس من الجميع المشاركة فى هذا العمل وبالله التوفيق ٠

المائة الثالثة ٠٠

مضت المائة الثانية والتراويح ست وثلاثون وثلاثة وتر فيكون المجـموع تسع وثلاثون ٠ وكان هناك من يرى احدى واربعين ركعة كما تقدم ٠

ودخلت المائة الثالثة وكان المظنون

أن تظل على ما هى عليه تسع وثلاثون بما فيه الوتر ٠

ولكننا وجدنا نصا للترمذى رحمه الله المتوفى فى اواخر المائة الثالثة فى سنة ٢٧٩ أن التراويح بلغت احدى واربعين ركعة بالوتر ٠ فقال :واختلف أهل العلم فى قيام رمضان فرأى بعضهم أن يصلى احدى واربعين ركعة مع الوتر وهو قول أهل المدينة ، والعمل على هذا عندهم بالمدينة ٠

فقوله : والعمل على هذا عندهم بالمدينة ظاهر فى بقاء هذا العمل أو وجوده بالفعل عند حكاية له ٠

فهل زادت التراويح فى المائة الثالثة الى احدى واربعين ركعة أى عمل باحد الاقوال المتقدمة ٠ أم انهم اعتبروا التسع والثلاثين تراويح وزادوا لها ثلاثا فصارت احدى واربعين كما تقدم بحث هذه المسألة فى أول الكلام على عدد الركعات فى زمن عمر بن عبد العزيز وزمن مالك رحمه الله على كل فان الستة والثلاثين مؤكد وجودها والباقى بين تتمة التسع والثلاثين او الاحدى والاربعين٠

المائة الرابعة والخامسة والسادسة

عادت التراويح فى تلك الفترة كلها الى عشرين ركعة فقط بدلا من ست وثلاثين كالسابق ٠

لان المنطقة كلها أى منطقة الشرق الاوسط بل من مصر والحجاز والعراق قد شهدت اضطرابا شديدا بسبب نزاع العبيديين مع العباسيين ٠

وقد بدأ حكم العبيديين فى مصر سنة ٣٥٩ تسع وخمسين وثلاثمائة أى فى منتصف المائة الرابعة ، وظل منبر الحجاز مؤرجحا بين العباسيين فى العراق والفاطميين فى مصر حوالى مائتى سنة الى أن توفى اخر خليفة عبيدى سنة ٥٦٧ سبع وستون وخمسمائة أى منتصف القرن السادس ٠

وباستيلاء الفاطميين على الحجاز تغيرت الاوضاع تغيرا شديدا ، ولا سيما من جهة الامن ، والسنة وظهور البدع لانهم لم يكونوا على مذهب أهل المدينة أنذاك ٠

قال ابن جبير فى رحلته وقدوصل المدينة سنة ٥٨٠ ثمانين وخمسمائة وصور ما شاهده من بدع هؤلاءأنذاك فى المدينة ، ملخصة من رحلته سنة ١٧٩ قال وفى يوم الجمعة وهو السابع من المحرم سنة ٥٨٠شاهدنا من أمور البدع أمرا ينادى لهالاسلام يا لله يا للمسلمين ، وذلك أن الخطيب وصل للخطبة وصعد منبر النبى صلى الله عليه وسلم وهو ما يذكر على مذهب غير مرضى ، وكان ضد الشيخ الامام « العجمى » الذى كان اماما ملازما لصلاة الفريضة فى المسجد المكرم فالامام الراتب على طريقة من الخير والورع لائقة بامام مثل ذلك الموضع الكريم ٠

فلما أذن المؤذنون قام هذاالخطيب أى الذى قدم للخطبة وهو منالشيعة وقد نفد منه الرانيان السوداوان وقد ركزنا بجانبى المنبر الكريم فقام بينهما فلما فرغ من الخطبة الاولى جلس جلسة خالف فيها جلسةالخطباء المضروب بها المثل فى السرعة وابتدر الجمع « مردة » من الخدم يخترقون الصفوف ويتخطون الرقاب كدية (أى شحاذة) على الاعاجم والحاضرين لهذا الخطيب القليل التوفيق ، فمنهم من يطرح الثوب النفيس ومنهم من يخرج الشقة الغالية من الحرير، فيعطيها وقد أعدها لذلك ، ومنهم من يخلع عمامته لينبذها ٠

ومن النساء من تطرح خلخالها الى يطول الوصف ،والخطيب جالس على المنبر يلحظ هؤلاء المستجدين بلحظات يكرها الطمع الى أن كاد الوقت ينقضى والصلاة تفوت ٠ وقد ضج من له دين واجتمع له من ذلك السحت كوما عظيما أمامه ٠

فلما أرضاه قام وأكمل خطبته وصلى بالناس ، وانصرف أهل التحصيل باكين على الدين ، يائسين من فلاح الدنيا متحققين من أشراط الساعة هـ بايجاز

فمن هذا يظهر لنا الوضع فى المسجد النبوى مما يؤكد طروء تغيير الاوضاع العامة فىالمسجد عما كانت عليه من قبلهم ٠

وقد أكد ذلك ما قاله ابن فرحون فى مخطوط له أثناء حديثه عن المسجد النبوى ما نصه : قال : ولم يكن لاهل السنة خطيب ولا أمام ولا حاكم منهم ، أى من أهل السنة ، ثم قال : والظاهر أن ذلك منذ أن استولى العبيديون على مصر والحجاز فان الخطبة بالمدينة كانت باسمهم الى سنة ٦٦٢ اثنين وستين وستمائة أى الى منتصف القرن السابع حيث تغلب العباسيون على الحجاز واقيمت الخطبة لهم من ذلك العهد الى يومنا هذا هـ ٠ أى الى يوم المؤلف ٠

ثم قال : وكان أخذ الخطابة منآل سنان سنة ٦٨٢ اثنين وثمانين وستمائة هـ ٠

ويشهد لهذا ما وقع فى مكة من وهن علمى ٠ كما جاء فى كتاب السيد السباعى فى تاريخ مكة ج١ ص ١٦٥ فى حديثه عن الناحية العلمية فى مكة فى العهد العباسى الثانى قال : ثم ما لبث أن توزع أعلام مكة فىالامصار فضعف النشاطالعلمى فما وافىالقرن الرابع الهجرى حتى كانت علامات الضعف قد زادت وضوحا فى البلاد٠ وكان العالم الاسلامى قد زخر فى هذا العهد بالاختلافات الدينية فاشتدت دعوة الخوارج وشاعت أقوال المعتزلة ، والمرجئة ، وذاعت المذاهب الشيعية على اختلاف أنواعها ، الى قوله : أما المذهب الشيعى فقد وجد على خلاف غيره من يناصره فى مكة والمدينة وبعض مدن الحجاز فى أوقات مختلفة ٠

ومما يؤيد القول بوجود مناصرين

للمذهب الشيعي في مكة والمدينة ما ذكره السيد السباعي في تاريخ مكة ايضا قوله : وما لبث الاشراف في مكة على أثر اتصالهم بالفاطميين أن اضافوا الى الاذان عبارة (حى على خير العمل) وهو تقليد كان يتبعه الفاطميون • وكان ذلك في عام ٣٥٨ أي في المائة الرابعة •

فقد نص على وهن الحالة العلمية ، وعلى مناصرة الاشراف للمذهب الشيعي تبعا للسياسة آنذاك • في كل من مكة والمدينة وهو بعد المنطقة عن مقر الحكم العباسي في بغدادى • والحكم الفاطمي في مصر • وتنازع الطرفين لمنبر الحرمين رغبة في التأييد لمكانة الحرمين من العالم الاسلامي وان من استولى عليهما فقد أصبح أحق بالخلافة • ومن وراء ذلك يستدر الحاكمون بمكة والمدينة عطاء كلا الجهتين • وهكذا دواليك ثم قال: وقد ظل الوهن العلمي على ذلك أي في مكة والمدينة طيلة القرن الرابع والخامس والسادس للهجرة •

فتصوير السباعي لوهن الحالة العلمية وتصوير ابن جبير لحالة الجمعة مما يؤكد حتما وقوع تغيير في صلاة التراويح في المسجد النبوى في تلك الفترة وهي مدة حكم الفاطميين على الحجاز • وقد امتد حكم الفاطميين على العالم الاسلامي الى سنة ٥٦٧ وانتهى بموت الخليفة العاضد اخر خلفاء العبيديين •

ولكن على أي صورة كان التغيير الى مذهب الشيعة أنفسهم أصحاب الحكم أم الى مذهب الشافعي الذى كان سائدا بمكة ثم نقلوه الى المدينة والجدير بالذكر أن مذهب الشيعة في التراويح هو كما قاله الحلي وغيره من أئمتهم ما نصه : نافلة شهر رمضان ، (والاشهر في الروايات استحباب ألف ركعة في شهر رمضان زيادة على النوافل المرتبة يصلي في كل ليلة عشرين ركعة ثمان بعد المغرب • واثنتى عشرة ركعة بعد العشاء على الاظهر • وفي كل ليلة من العشر الاواخر ثلاثين على الترتيب المذكور • وفي ليالى الافراد الثلاث في كل ليلة مائة ركعة زيادة على ما عليه) ولهم تفصيلات في ذلك فمن أرادها فليراجعها في ج ١ ص ٦٥ من كتاب الشريعة للحلي • والذى يظهر أن التغيير الذى وقع للتراويح كان على مذهب الشافعي رحمه الله لما جاء في أقوال أبي زرعة عن أبيه ما نصه ولما تولى والدى امامة المسجد النبوى اعاد اليها سنتها أي في التراويح بست وثلاثين ركعة • ولكنه كان يصلي التراويح في أول الليل عشرين ركعة كالمعتاد وستة عشر ركعة بعد منتصف الليل مراعاة للخلاف فقوله يصلي التراويح اول الليل عشرين ركعة يدل على انه اخذ بمذهب الشافعي بقرينة قوله: مراعاة للخلاف وقوله كالمعتاد يدل على أنه العدد الذى كان معتادا من قبله وأبو

زرعة من أعيان القرن الثامن • وشافعي المذهب •

ومما يدل على أن مذهب الشافعي هو الذى كان مقدما في مكة والمدينة فى عهد الفاطميين ما نقله ابن جبير عن صورة الختم فى رمضان فى التراويح بمكة فى القرن السادس • وكان الحكم بها للفاطميين كما أفاده قوله: ما ملخصه:أن هلال شهر رمضان استهل ليلة الاثنين التاسع عشر من ديسمبر وصيام أهل مكة ليوم الاحد بدعوى فى رؤية الهلال لم تصح ، لكن أوصى الامير ذلك ووقع الايذان بالصوم ليلة الاحد المذكور لموافقة مذهبه ومذهب شيعته العلويين ومن والاهم • لانهم يرون صيام يوم الشك فرضا حسبما يذكره •

ثم قال : وتفرقت الائمة لاقامة التراويح فرقا فالشافعية فوق كل فرقة منها قد نصبت اماما لها فى ناحية من نواحي المسجد ، والحنبلية كذلك ، والحنيفة كذلك والزيدية •• الخ هـ

وقد بين أن صلاة أهل مكة كلهم عشرون ركعة فقط حيث قال :

والشافعي فى التراويح اكثر الائمة اجتهادا وذلك انه يكمل التراويح المعتادة التى هى عشر تسليمات ويدخل فى الطواف مع جماعة •وذكر طوافهم وعودتهم ا لى أن قال هكذا الى أن يفرغوا من عشر تسليمات فيكمل لهم عشرون ركعة ثم يصلون الشفع والوتر وسائر الائمة لا يزيدون على العادة شيئا • هـ

فظهر بذلك كله أن التراويح فى تلك الفترة وهى فترة حكم العبيديين عادت الى عشرين ركعة عملا بمذهب الشافعي الى أن اعادها ابو زرعة مع تغيير فى صورة الاداء كما سيأتى ان شاء الله فى المائة الثامنة •

المائة الثامنة

عادت التراويح فيها الى ست وثلاثين ركعة ولكن مع اختلاف فى الاداء وهذا ما يفهم مما وجد فى كتاب « طرح التثريب فى شرح التقريب » للامام زين الدين ابى الفضل والد الحافظ ولى الدين ابى زرعة العراقى المولود فى عام ٧٢٥ خمس وعشرين وسبعمائة ، والمتوفى ولده عام ٨١٨ ثمانية عشر وثمانمائة أى انهما عمرا ما بين أوائل المائة الثامنة الى اوائل المائة التاسعة •

ساق أبو زرعة على حديث صلاته ذات ليلة فى المسجد فى رمضان فصلى بصلاته اناس •• الخ فذكر الشرح وما يتعلق بفقه الحديث ثم تعرض لذكر عدد الركعات فى التراويح والخلاف فيها ، ومناقشة كلام الناس فى الزيادة على العشرين ركعة وأنها سنة أهل المدينة ، ثم قال وهو محل الشاهد :

ولما ولى والدى رحمه الله امامة

المسجد النبوى أحيا سنتهم القديمة فى ذلك مع مراعاة ما عليه الاكثر فكان يصلى التراويح أول الليل بعشرين ركعة على المعتاد ، ثم يقوم اخر الليل فى المسجد بست عشرة ركعة فيختم فى الجماعة فى شهر رمضان ختمتين واستمر على ذلك عمل أهل المدينة بعده فهم عليه الى الان ٠ هـ

راجع شرح التثريب ج١ ص٩٨

فقوله رحمه الله ولما ولى والدى امامة مسجد المدينة احيا سنتهم القديمة يدل على أنه طرأ على التراويح تغيير فى الفترة التى قبل والده ٠

وقوله : فكان يصلى التراويح أول الليل بعشرين ركعة على المعتاد يدل أيضا على أنها كانت قبله عشرين ركعة وهو العدد المعتاد عندهم من قبله ٠

وقوله : واستمر على ذلك عمل أهل المدينة أى على عشرين ركعة أول الليل وستة عشر بعد منتصف الليل تتمة الستة والثلاثين ركعة السابقة٠

وقوله : فهم عليه الى الان نص على وجود ذلك العمل الى حياة المؤلف فى أوائل المائة التاسعة فى سنة ٨١٨ ثمانية عشر وثمانمائة ٠

المائة التاسعة

وبناء على ما تقدم من كلام أبى زرعة تكون التراويح قد استمرت على ست وثلاثين ركعة مفصلة كالسابق عشرين فى أول الليل وستة عشر فى اخره٠ وقد استمر هذا العمل الى نهاية المائة التاسعة واوائل المائة العاشرة كما ينص عليه السمهودى فى الاتى :

المائة العاشرة وهى تمام الالف سنة

دخلت المائة العاشرة والتراويح فى المسجد النبوى ست وثلاثون ركعة كما جاء عند السيد السمهودى فى كتابه وفاء الوفاء (بأخبار دار المصطفى) ج١ ص ٨٤ فى المسألة (الثمانون) فيما اختصت به المدينة عن غيرها من البلدان ما نصه : الثمانون : اختص أهلها فى قيام رمضان بست وثلاثين ركعة على المشهور عند الشافعية ، قال الرافعى والنووى : قال الشافعى ، رأيت أهل المدينة يقومون بتسع وثلاثين ركعة ، منها ثلاث للوتر ، قال أصحابنا وليس لغير أهل المدينة ذلك لشرفهم بمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره هـ ٠ وقد توفى السمهودى سنة ٩١١ وهو شافعى المذهب ايضا وسيأتى أن ولده كان من أئمة الشافعية فى المسجد النبوى ٠

ثم قال فى المرجع نفسه ص ٨٥ والقيام بهذا العدد بالمدينة باق الى اليوم الا أنهم يقومون بعشرين ركعة عقب العشاء ، ثم يأتون أخر الليل فيقومون بست عشرة ركعة٠ هـ فنص على وجود العدد والكيفية التى أعادها أبو زرعة رحمه الله ٠

تنبيه . تقدم ذكر الشافعي رحمه الله عدد التراويح (تسع وثلاثون) منهاثلاثة للوتر ولم يفصل نوع وكيفية الصلاة للوتر والمعروف عند الشافعي رحمه الله أنه ثلاث مفرقات • ولكن السيد السمهودى أشار الى تغيير فى الكيفية حي ثقال عقب كلامه الاول ما نصه : فوقع له خلل فى أمر الوتر نبهنا عليه فى كتاب « مصابيح القيام فى شهر الصيام » وكنت قد ذكرت لهم ما يحصل به ازالة ذلك ففعلوه مدة ، ثم غلبت الحظوظ النفسية على بعضهم فعاد الامر كما كان •

فوله هنا فوقع لهم خلل فى أمر الوتر نبهنا عليه •• الخ لم نعلم ما نوع هذا الخلل وما هو تنبيهه عليه• والمعلوم انه لا يوجد خلاف فى الوتر الا فى صورته ما بين الجمع والتفريق كما هو بين الاحناف يجمعون الثلاثة كالمغرب والجمهور يفرقون بينهما يسلمون من اثنتين ويأتون بواحدة مفردة •
والاحناف يقنتون فى الوتر الا أن الحنابلة يجهرون فيه والاحناف يسرون والشافعية والمالكية يقنتون فى الصبح الا أن الشافعية بعد الركوع والمالكية قبله •

ولعل الخلل هو بسبب تعدد الائمة وتعدد صور الوتر كما سيأتى بيان ذلك ان شاء اله عند الكلام عن المائة الثالثة عشرة وايراد رسالة الشيخ سليمان العمرى فى الوتر وكلام أئمة وعلماء المسجد النبوى أنذاك فى هذا الموضوع •

ما بعد الالف
المائة الحادية عشرة

يغلب على الظن انه لم يطرأ تغيير على التراويح فى المائة الحادية عشرة لاننا وجدنا كلام السيد السمهودى المتوفى سنة ٩١١ أن التراويح كانت ستا وثلاثين ركعةوثلاثة وترافالمجموع تسع وثلاثون وانهم كانوا يصلونها على ما فعله ابو زرعة رحمه الله •

ثم وجدنا للشيخ عبد الغنى النابلسى فى رحلته التى كتبها عن المدينة فى المائة الثانية عشرة أن التراويح ايضا تسع وثلاثون ركعة مما يؤكد انها مضت فى طريقها الى عهده وشاهدها على ما جاء عنه تفصيله كالاتى :

المائة الثانية عشرة

دخلت المائة الثانية عشرة والتراويح على حالها كما كانت قبل الالف عشرون ركعة فى أول الليل وست عشرة ركعة فى أخره وتسمى الستة عشرية كما جاء من وصف الشيخ النابلسى فى رحلته الى المدينة وما نقلته مجلة العرب عن الرحلة فى عدد ذى القعدة الجزءالخامس من السنة الاولى للمجلة سنة ١٣٨٦ ص ٤٣٠ نقلا عن الشيخ النابلسى قوله : كنا نصلى عند الشيخ السيد على السمهودى ، وولدى يصلى اماما وكان ولد السمهودى اماما من أئمةالشافعية انذاك وقال : ان عادة أهل المدينةبعد الفراغ من صلاة التراويح يخرجون

من الحرم ، ويقفلون ابوابه ، فاذا مضى وقت من الليل نحو الثلاث ساعات أو اربع يعود كثير منهم ، فيفتحون ابواب الحرم ويوقدون القناديل ، ويصلون ست عشرة ركعة الجماعة يسمونها الستة عشرية هـ .

وهذا هو محل الشاهد على بقاء التراويح على ما كانت عليه زمن السمهودى فى المائة العاشرة ولم يطرأ عليها تغيير الا أنهم يسمون الصلاة التى فى أخر الليل الستة عشرين » أى نظرا لعدد الركعات ست عشرة ركعة وهذا مما يؤكد أن التراويح ظلت بعد الالف سنة على ما كانت عليه عند تمام الالف تسع وثلاثون ركعة منها ثلاثة وترا وتصلى عشرين أول الليل وست عشرة اخره . غير أنه قد وجد أو كان موجودا من قبل تعدد الائمة للتراويح حسب تعدد الامامة للفريضة . والذى كان موجودا انذاك أئمة لمذهبين فقط هما الشافعية ، والحنفية وكان عدة خطباء للائمة الثلاثة أى بزيادة المذهب المالكى ، كما جاء فى مجلة العرب أيضا فى الجزء ارابع من سنتها الاولى عدد شوال سنة ١٣٨٦ هـ ص ٣٣٤ نقلا عن رحلة النابلسى أيضا . مانصه وللحرم الشريف خمسة عشر أماما منهم الحنفيون ومنهم الشافعيون وله احدى وعشرون خطيبا ، منهم اثنا عشر خطيبا حنفيين ، وثمان خطباء شافعيين ،وخطيب واحد مالكى .

فالائمة يصلون بالنوبة فى كل يوم امام واحد من الحنفية ، وامام واحد من الحنيفة ، وامام الشافعية فيبتدؤون من الظهر الى الصبح والامام الشافعى يصلى اولا ، ثم الامام الحنفى الا فى المغرب فيتقدم الحنفى لكراهة تأخير المغرب عنده .

ويصلى الامام الحنفى يوما فى محراب النبى صلى الله عليه وسلم الذى فى الروضة اشريفة فيصلى الامام الشافعى ذلك اليوم فى المحراب الذى خلف المنبر « محراب السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان » ثم فى تانى يوم يصلى الامام الشافعى كذلك . ويصلى الحنفى مثل ما صلى هو أول يوم » . وهؤلاء يصلون التراويح أيضا فى وقت كل لجماعته الا فى ليلة الختم للشافعى فانهم يصلون جميعا العشاء والتراويح خلف امام واحد هو امام الشافعية وكان امام الشافعية هو المقدم انذاك . فى الفريضة يصلى أولا وفى التراويح يختم هو أولا ايضا فى حفل وحفاوة بالغة كالاتى :

صورة الختم بالمدينة فى المائة الثانية عشرة :

قال النابلسى يصف حضوره لختم القرآن العظيم فى صلاة التراويح فى الروضة الشريفة مع السادة الشافعية . وما شاهده بنفسه كالاتى :

جاء فى مجلة العرب ج٩ من سنتها الاولى سنة ١٣٨٧ عدد ربيع الاول . نقلا عن رحلة النابلسى ما نصه : وذكر أى النابلسى : أنهم يختمون

فى كل رمضان فى صلاة التراويح ختما كاملا ، يجعلونه ليلة السابع والعشرين من رمضان وأن الحنفية يجعلون الختم فى ليلة التاسع والعشرين من رمضان • والنابلسى حنفى المذهب •

ثم قال: وجلسنا فى الروضة الشريفة حين اذن العشاء ، واجتمع الناس وحضر العلماء والاعيان ، والاكابر على طبقاتهم ، كل واحدمنهم له سجادة مبسوطة فى مرتبته ، وحضر مفتى الحنفية ، ومفتى الشافعية وقاضى المدينة ، وشيخ الحرم ،وخدام الحجرة المطهرة ، والخطباء والائمة كلهم ، وكان الشريف سعد بن زيد أمير الحجاز قد سافر قبل ذلك مع أولاده وعساكره الى جهة مكة ــ أى أنه لم يحضر لسفره • ولعل هذا يشير الى حضور الامير فى مثل ذلك اليوم•

قال : وحضر المؤذنون كلهم فأقاموا الصلاة ، وصلى الامام بالناس كلهم صلاة العشاء • أى أنهم جميعا صلوا بصلاة امام واحد فريضة العشاء على غير المعتاد فى بقية الايام • وذلك تمهيدا لصلاتهم جميعا التراويح بامام واحد ولذا قال : وكانت النوبة فى الامامة للشاب الفاضل حادى الفضائل السيد عمر بن السيد السمهودى الشافعى • أى أن امامة الشافعية موزعة على عدة أشخاص من الشافعية أنفسهم ويتناوبون الصلاة بالشافعية وكذلك الحال عند الاحناف لهم عدة أئمة كما تقدم بيان عدد الجميع •

ثم قال (وهو محل الشاهد) : ثم صلى بهم التراويح الى أن فرغ منها• أى أن الامام الشافعى وهو السيد عمر بن السيد السمهورى شافعى المذهب صلى بالجميع التراويح تلك الليلة الى أن فرغ منها •

ثم قال مبينا صورة الختم وحفاوتهم به : وقال فاجتمع المؤذنون فى الروضة الشريفة وانشدوا القصائد النبوية المشتملة على المديح ، وذكر الروضة • والمنبر والحجرة المطهرة وحصل الخشوع والبكاء • وانشدوا القصائد فى وداع شهر رمضان ، وضج الناس بذلك ، وكانت الهيبة العظيمة والجلال والخشوع •

وقد أشعلوا الشموع الكثيرة ، وصفوها فى الروضة الشريفة والقناديل العديدة موقدة ومباخر الطيب بالعنبر والعود دائرة ، وماء الورد كأنه سحابة هامرة وكل جماعة من الحاضرين قدامهم طبق موضوع من الزهور والفل والفاغية ، وأنواع الرياحين ، حتى ارسل شيخ الحرم الى الامام بعد فراغه بالخلعة السنية الفضية الذهبية • وقام الناس يباركون له الختم الشريف وهو جالس فى محراب النبى صلى الله عليه وسلم وذلك المقام المنيف وقد حصل لنا كمال الثواب والاجر • فى ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر ، وزرنا النبى صلى الله عليه وسلم ثم ذكر

رجل من أهل اليمن مجذوب الحال كان يحمل قربة ماء من البئر الـذى فى صحن الحرم النبوى ويقـــول شقا شقا، ولا يأخذ شيئا من أحـد . ثم ذكر انتهاء ذلك الحفـل وانصراف ذلك الجمع واطفئت القناديـــل والشموع .

وبهذه المناسبة فان عمل الاحتفال المذكور لختم القرآن فى رمضان كان معمولا به فى مكة منالقرون السابقة حيث جاء عند ابن جبير فى رحلتـه وصف عمل الحفل المذكور بأعظـم واكبر من هذه الصورة سنوردهـا اخر البحث ان شاء الله .

كما أنه كان موجودا ايضا بالمدينة فى نهاية العهد التركى وعلى أوضاع متعددة سيأتى ذكرها عند الكـلام على القرن الرابع عشر ان شاء الله . فى اواخر عهد الاتـــراك والاشراف ولا نستبعد أن تكون صورة الختـم تلك ممتدة من ذى قبل وليســت وليدة القرن الثانى عشر فقـط . ولا سيما وان المقدم فيه هو ختـم الشافعية الذين لهم الاولويـــة فى الامامة من زمن مسبق من على عهـد الاتراك أنفسهـم والذين يناصرون المذهب الحنفى مما يدل على أن هـذا الحفل ليس من مبتـكرات الاتراك بل لعله من بقايا الفاطميـين والله أعلم .

المائة الثالث عشرة
أواخر العهد التركى

دخلت المائة الثالثعشرة والتراويح على حالتها الاولى حيث لم يطرأ مـا يستوجب تغييرها تبعا لوضع المنطقة كلها . لان المدينة ومكة ظلتا تحـت حكم الاشراف حكما مباشرا وانكانت تبعا للخلافة العثمانية فى تلكالفترة .

وتقدم لنا أن الحجاز ظـل تحت حكم الاشراف من قبلوان كان مؤرجحا بين الفاطميين والعباسيـين الى أن قامت الخلافة العثمانية التركيـة ، ابتداء من السلطان سليمبمصر ،سنة ٩٢٢ ودعا له منبر مكة سـنة ٩٢٣ وظلت الحجاز ايضا بأيدى الاشراف تحت سلطان الخلافة العثمانية . الى أن قامت الحرب العالميـة الاولى وانتهت الخلافة بانتهائها وكان اخر قائـد تركى بالمدينة هو فخرى باشا . قائد الحامية التركية . وسلم المدينـة سنة ١٣٣٧ هـ

وأخر أمير للاشراف بمكة الشريف الحسين ، وبالمدينة الشريف عـلى. وفى سنة ٣٤٥ نـودى بالشريف الحسين ملكا على البلاد العربية .

فلم تخرج المدينة فى تلك الفترة عن الحكم المباشر للاشراف سواء كان ذلك فى أوائل العهد التركى أو فى اواخره ، فلم يطرأ فى المائة الثـالث عشرة أى تغيير على التراويح الى أن دخلت المائة الرابع عشرة أى هـذا القرن الحالى . وقد شاهد المعاصرون التراويح على ما كانت عليه الا أنـه تعددت لها الائمة فى المسجد النبوى على النحو الاتى بيانه فى الكلام على القرن الرابع عشر ان شاء الله .

في ظلال سورة الأنفال

للشيخ أبى بكر الجزائرى
المدرس بكلية الشريعة والواعظ
بالمسجد النبوى الشريف

(يسألونك عن الأنفال ، قل الأنفال لله والرسول) فاتقوا الله ، وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ، ان كنتم مؤمنين .

هذه السورة ايها الإخوة الصالحون تسمى سورة الأنفال ، لذكر لفظ الأنفال فيها ، وسماها بعض السلف بسورة بدر لاشتمالها على ذكر جوانب عديدة من غزوة بدر .

وهي السورة الثامنة من الكتاب ، وسابعة الطول اذا اخذنا برأي من يقول : إنها مع التوبة تكمل السبع الطول ، وذلك لاتحاد موضوعهما تقريباً ، ولعدم الفصل بينهما بالكلمة الشريفة ، ولإن سورة يونس الى المئين أقرب منها الى الطول ، وان عدها بعضهم أو جمهورهم رحمهم الله من السبع الطول .

والمواضيع التي تعالجها هذه السورة الكريمة هي اجمالاً : **العقيدة** بتركيزها وتعميقها في النفوس المؤمنة . **السلوك** بتهذيبه ، واصلاحه حتى يتلاءم مع العقيدة الإسلامية ، ويكون دليلها ، وبرهانا عليها ، **الجهاد** بذكر قوانينه وطرف من آدابه . **الغنائم** وحكم قسمتها وطريق توزيعها بين المجاهدين الأبرار . **المعاهدات** الحربية والسلمية وكيفية إبرامها وحلها .

هذه السورة ايها الاخوة الصالحون مفتتحة بكلمة : يسألونك عن الأنفال ، وهي جملة متضمنة لسؤال وجه الى الرسول صلى الله عليه وسلم

بخصوص ملكية غنائم بدر ، واستحقاقها : أهي للشبيبة أم للشيوخ ؟ أللانصار هي أم للمهاجرين ؟ حيث وقع النزاع ، ذلك كما سيذكر بعد .
وهذا السؤال الذي تضمنته هذه الجملة في قائمة هذه السورة ليس هو الأول ولا الأخير ، مما كان يوجه الى الرسول صلى الله عليه وسلم من أسئلة مختلفة يحكيها الله سبحانه وتعالى بلفظ يسألونك عن كذا . . . ويلقن رسوله صلى الله عليه وسلم الإجابة عنها . وأعظم هذه الأسئلة كان يوجه من المؤمنين طلباً لشرح حكم ، أو تفسيراً لإجمال ، او كشفا لشبهه وذلك كسؤالهم عن القتال في الشهر الحرام ، وعما ينفقون من اموالهم ، وعلى من ينفقون ، وعن حكم الخمر والميسر ، وحكم خلط اموالهم بأموال يتاماهم ، وعن مخالطة الحائض ايام حيضها الى غير ذلك من التساؤلات والاستفسارات التي كان يتطلبها واقع المسلمين وهم في كل يوم يتلقون الجديد والمزيد من الأحكام والتشريع تكميلاً لهم واعداداً للخلافة في الأرض والوصاية على البشر وقيادتهم .

كما كانت بعض الاسئلة توجه من المشركين تكذيبا لمضمونها ، او استبعاداً لوقوعه كسؤالهم عن الساعة ، وعن موعد العذاب الموعدين به . كما كان البعض الآخر يوجه من اليهود تحديا للرسول وتعجيزاً له ، أو كشفا عن حقيقة دعواه النبوة ، ومدى صدقه فيها وذلك كسؤالهم اياه — فداه أبي وأمي — عن الروح ، وأصحاب الكهف ، وذي القرنين ، وعن قِرَى أهل الجنة : اول طعام يقدم لهم عند دخولهم الجنة . وعما يكسَب الولد شبهاً بأمه ، أو أبيه ، إلى غير ذلك من الأسئلة المعروفة في الكتاب الكريم ، والمعلومة في السنة الشريفة .

وكون الحق تبارك وتعالى يتولى الإجابة عن رسوله صلى الله عليه وسلم في هذه الأسئلة وفي غيرها تبيانا للأحكام ، وإنارة الطريق ، اودحضا للباطل ، ودفعا للشبهات هو تحقيق ولايته تعالى لأوليائه ، ومصداق قوله : «اللهولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور » .

إنه ما عَرضت شبهة لوليّ من الأولياء ، ولا لنبي من الأنبياء إلا

وأزالها الله وليّ المؤمنين من قلوب اوليائه ، وأحل محلها نور المعرفة واليقين . ولا عُورضت دعوة الحق بحجة باطلة ، او طريقة ماكرة الاودحض الله حجة المبطلين ، وأحبط كيد الماكرين . يشهد لهذا ما ذكر برهانا على كونه تعالى يخرج اولياءه من الظلمات الى النور وذلك في مواقف ثلاثة **أولها** موقف ابراهيم وليّ الرحمن ، مع النمرود وليّ الشيطان حيث حاج الثاني بباطله ابراهيم في حقه ، فدحض الله الباطل بالحق فزهق ، وبهت الذي كفر . وأخرج ابراهيم من ظلمة الباطل الى نور الحق ، وهو ظافر منتصر . **وثانيهما** موقف النبي او الولى الذي مر بقرية وهي خاوية على عروشها : متهدمة البنيان خالية من السكان ، فَغِين على قلبه ماقال معه : أني يحي هذه الله بعد موتها ؟ فاخرجه الله من تلك الظلمة التي عرضت لقلبه بأن أماته ثم أحياه ، وأراه من آيات قدرته ما أشبعه يقيناً ورواه ، وهكذا جميل الله تعالى الوليّ مع من يتولاه .

وثالثهما موقف الخليل مع ربه : إذ قال : رب أرِني كيف تحي الموتى ، وكان الخليل لم يكتف في ايمانه بعلم اليقين فاراد الوصول به الى عين اليقين . فكان كمن عرضت له شبهة في ظاهرة الحياة كيف تكون ، وما كان ابداً من اهل الظنون او الفتون بل سوءاله دال صراحة على صدق إيمانه بقدره ربه إذ قال : ارني كيف تحيى الموتى ، ولم يقل كيف تقدر على احياء الموتى . وأجابه الله وليه ومولاه ، وأراه من مظاهر قدرته ما طمأن قلبه ، ودفعه الى مقام عين اليقين . وسلام على ابراهيم في المرسلين ، وكذلك يجزي الله المحسنين .

ووجه العبرة من هذا ايها الإخوة المسلمون أن العبد متى حقق ولايته لله بإيمانه الصادق ، وتقواه لله ، وتجرد لدعوة الخلق الى الخالق ليعبدوا ربهم ويوحدوه ويسلموا له قلوبهم ووجوههم ويطيعوه . متى كان العبد هكذا لن يعدم من الله تعالى نصره ولا تأييده ، ولا إرشاده ، ولا توفيقه ، ان تصدى له مبطل نصره عليه وهزمه بين يديه ، وان عرضت له شبهة كشفها له واعقبه نوراً في قلبه ، ان واجهته مشكلة ومهما كانت صعبة

أو عويصة وفقه لحلها ، وأخرجه منها معافى سليماً ، وعزيزاً كريما . والحمدلله وليّ المؤمنين ، ومنزل الكتاب ومتولى الصالحين هذا وأما الأنفال التي كانت مثار النزاع ، والتي اقتضت مصلحة الجماعة المؤمنة في حكم الله وليهم ومتوليهم ان يرد شأنها الى الله والرسول ، فيحكم الله فيها بما يريد . ولن يريد إلا الحق والخير —ويقسمها الرسول حسب أمر ربه ووحيه إليه . فإن قول المفسرين فيها مختلف غير ان المعنى لا يخطىء

ان الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية المعركة شجع المجاهدين بقوله من قتل كذا فله كذا ... ومن أسر كذا فله كذا . . . ولما انتهت المعركة بنصر حاسم للمسلمين حاول بعض الغانمين الاستئثار بما غنموه دون غيرهم من اخوانهم المجاهدين مما أثار بعض الخصومة . والنزاع الأمر الذي لا يمكن ان تقر عليه جماعة الإيمان بحال من الأحوال من أجل ما قد يؤدي اليه من الفوضى والخلاف ، وذلك مما لا يليق بهم ، ولا يتفق وحقيقة جماعة تؤمن بالله ، وتقاتل طول الحياة لحماية دين الله ، واولياء الله ، ولتأمين دعوة الحق بين الخلق.

فلذا لما اختلفوا وتساءلوا أجيبوا برد القضية لله ورسول الله : يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول . وامروا بتقوى الله عزوجل ، واصلاح ذات بينهم ، وطاعة ربهم ونبيهم وهذه من مقتضيات إيمانهم وهم مؤمنون . وأما الغنائم وقسمتها وقد ردت الى الله فسيحكم الله فيها بما هو الحق والعدل . وبما يحقق الخير للجميع .

قال تعالى :

(فاتقوا الله، وأصلحوا ذات بينكم، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين)

قد اشتمل هذا القدر من الآية على الأمر بثلاثة أشياء هي في غاية الأهمية بالنسبة الى حياة الجماعة المسلمة وسعادتها في الدنيا والآخرة ، تلك هي الأمر بتقوى الله عز وجل ، واصلاح ذات بين الجماعة عند وجود فساد فيها بالفرقة والخلاف بين أصحابها ، وطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بعد الإيمان بالله واليوم الآخر المهيىء لذلك والمعد له ، والمساعد عليه ،

أما التقوى فان عليها مدار كل إصلاح يراد للفرد أو الجماعة ، وبدونها لا يتحقق أي خير او إصلاح أبداً ، ومن هنا قدم الأمر بها على غيرها ، وكانت هذه الآية وصية الله الثابتة لهذه الأمة المسلمة ، ولمن سبقها من أهل الكتاب قال تعالى في سورة النساء : ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله .

ومعنى التقوى العام : خشية الله تعالى المالئة للقلب ، المسخرة لجوارح العبد في طاعة الرب تبارك وتعالى فعلاً وتركاً . وقد تطلق ويراد بها معنى خاص ، فتكون في كل مقام بحسبه ، ومن ذلك انها هنا بمعنى توقي سنة الله تعالى في الإقبال على الدنيا ، والتنافس فيها ، والجري وراء حطامها الفاني ، وما يجر ذلك من تحاسد وتقاطع ، وخلاف يفضي بالجماعة الى الهلاك والدمار .

وأما اصلاح ذات البين وبعد إصابتها بما أفسدها من الخلاف والنفرة ، فإن الأمر به من اوجب الواجبات والزم اللازمات ، إذ لو يسمح لمرض الخلاف أن ينتشر في صفوف الجماعة ، ولداء الحسد والبغضاء أن يستشري في جسمها ، لأودى قطعا بحياتها ، وأفضى بها الى هلاك محتم ، وخسران مبين ومن هنا أمر الله تعالى الجماعة المسلمة على الفور ولأول خلاف بدر منها أمرها باصلاح ذات بينها ، واحلال الوئام بين أفرادها محل الخلاف ، والود . والصفاء محل العداوة والبغضاء .

وأما طاعة الله والرسول صلى الله عليه وسلم فإنها شعار الجماعة المؤمنة التي لا يمكن أن تتخلى عنه ، او تعيش بدونه ، إن منه تستمد نظامها وقوتها ، وكامل مقوماتها في الحياة . إن الجماعة المؤمنة بدون الطاعة الكاملة لله ورسوله لا يمكن أن تكون شيئا في الوجود ، او تحقق لها خيراً ما في الحياة . ولعل هذا هو السر في الأمر بها في هذا المقام بعد الأمر بالتقوى ، والطاعة لله والرسول داخلة فيها ولفظها يشملها قطعاً وبدون جدال . فكان الأمر بالطاعة لله والرسول بعد الأمر بالتقوى مشعراً بأهمية الطاعة للجماعة

المؤمنة ، ومهيجا لها على الاستعداد وتوطين النفس عليها لتؤديها كاملة في المنشط والمكره ، والعسر واليسر .

وأخيراً قوله : **إن كنتم مؤمنين** فإن هذه الجملة الشرطية ذات مدلول خاص في هذا السياق من الكلام ، فإنه يؤتي بها بعد الأمر أو النهي للتهييج على الطاعة والحمل المؤكد على الامتثال ، لأن الإيمان هو الطاقة المحركة للمؤمن ، والإرادة الموجهة له ، فبدون الإيمان لا يتأتى للعبد ان يطيع ويخلص ، أو يعمل ويصدق بحال من الأحوال ، حتى صار في عرف قانون الإيمان لا يعرف ايمان حقيقي بلا عمل صالح ، ولا عمل صالح بلا إيمان .

ومن هنا حسن ان تذكر هذه الجملة بعد الأمر بالتقوى ، واصلاح ذات البين ، وطاعة الله والرسول ، تذكيرا بالإيمان ، وتهييجاً للنفوس على العمل ، وتهديداً لها بسلب الإيمان الذي هو خاصيتها وأغلى ما تملك ، اذا هو لم يوجد له أثره في الطاعة والسلوك .

ولذا يُقدَّر جواب هذا الشرط محذوفا استغنى عن ذكره بذكر ماسيقت لتأكيده من امتثال الأمر ، والتسليم بالطاعة . والتقدير : ان كنتم مؤمنين فاتقوا الله ، واصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله .

هذا . . وموجز القول في هذه الآية الكريمة : أن المجاهدين من أهل بدر لما انتهت المعركة بنصرهم على أعداء لا اله الا الله وأعدائهم اختلفوا في شأن قسمة الغنائم المعبر عنها في الآية بالأنفال حيث اراد الشبان الاستئثار بها دون الشيوخ بدعوى أن أثرهم في المعركة كان أكبر . ولم يرض لهم الشيوخ بذلك فرفع النزاع الى الرسول صلى الله عليه وسلم ونزلت الآية : يسألونك عن الأنفال الخ . . . فرد الله ملكيتها اليه والى رسوله حسماً للخلاف وقطعا لشجرته ، وأمر المتنازعين فيها بتقواه عز وجل ، واصلاح ذات بينهم ، وبطاعته وطاعة رسوله مذكراً إياهم بالإيمان الذي هو أصل كل خير ومفتاح كل سعادة . وبعد تسع وثلاثين من هذه الآية نزلت آية أربعين تبين قسمة ما اختلفوا فيه من الأنفال « واعلموا انما غنمتم من شيء فأن لله خمسه ، وللرسول ولذى القربى الآية . فجعلت الغنيمة

خمسة أقسام ، قسما لله وللرسول . . وأربعة أقسام للمجاهدين عموماً من كان له أثر في المعركة كبير او لم يكن له سوى وجوده فيها بنية الجهاد .

ما في الآية من الهداية القرآنية :

نختم درس هذه الآية الشريفة ببيان بعض ما اشتملت عليه من الهداية القرآنية وذلك (١) الجماعة المؤمنة اذا اختلفت في شيء ترد أمره الى الله ورسوله للحكم فيه بما هو الحق والخير قال تعالى في توجيه هذه الجماعة المؤمنة : وان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ، ولهذا ردوا امر خلافهم الى الرسول وحكم الله فيه بما هو الحق والخير لهم . (٢) الميل الى الدنيا والرغبة فيها طبع هذا الإنسان ، وعليه فانه اذا لم يجد من التربية الالهية والتوجيه النبوي ما يقوم به طبعه ، ويخفف من حدته ، ويقلل من تأثيره على سلوكه ، أودى به طبعه وأهلكه ، والعياذ بالله تعالى . فلولا عناية الله بأهل بدر ، وما اولاهم من تربية وتوجيه لهلكوا بخلافهم او لأفضى بهم الى مشارف الهلاك على الأقل . (٣) الجماعة المسلمة المهيئة لقيادة البشر لا ينبغي لها ان تتورط في حب المال وجمعه ، ولا الانغماس في الترف والشهوات ، فإن ذلك يقعد بها قطعا عن بلوغها اهدافها وغاياتها في اصلاح الخلق . (٤) تقوى الله عز وجل خير ما يوصف من دواء لعلاج النفوس وتطهير القلوب ولذا لما بدا من أهل بدر ما قد يرى أنه ناجم عن مرض الشهوة في حب المال والرغبة فيه ، أمرهم الله بالتقوى ، وحثهم على الطاعة لله والرسول صلى الله عليه وسلم . (٥) الجماعة المسلمة لا بد لها من قيادة عليا تجمعها اليها عند كل خلاف ، او تصادم في أى امر من الأمور الدنيوية والدينية على حد سواء . (٦) المبادرة الى القضاء على كل سبب للفرقة او الخلاف بين الجماعة المؤمنة ابعاداً لها من ورطة العداوات والبغضاء . (٧) إعداد افراد الجماعة المؤمنة بطاعة الله والرسول لأن يكونوا اسرع إجابة لنداء الواجب ، وأكثر تلبية لصوت الحق كلما قال هلم لجهاد ونصرة .

٤ دفع ايهام الاضطراب

عن آيات الكتاب

(لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى المدرس بالجامعة)

سورة المائدة

قوله تعالى : (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم)الاية ، هذه الاية الكريمة تدل بعمومها على اباحة ذبائح اهل الكتاب مطلقاولو سموا عليها غير الله او سكتوا ولم يسموا الله ولا غيره لان الكل داخل فى طعامهم وقد قال ابن عباس وابو امامة ومجاهد وسعيد بن جبيروعكرمةوعطاءوالحسن ومكحول وابراهيم النخعى والسدى ومقاتل بن حيان ان المراد بطعامهم ذبائحهم كما نقله عنهم ابن كثير ونقله البخارى عن ابن عباس ودخول ذبائحهم فى طعامهم اجمع عليه المسلمون مع انه جاءت آيات أخرتدل على أن ما سمى عليه غير اللهلا يجوز اكله وعلى ان ما لم يذكر اسم الله عليه لا يجوز اكله ايضا . اما التى دلت على منع اكل ما ذكر عليه اسم غير الله فكقوله تعالى (وما اهل به لغير الله) فى سورة البقرة وقوله : (وما أهل لغير الله به) فى المائدة والنحل وقوله فى الانعام : (او فسقا أهل لغير الله به) والمراد بالاهلال رفع الصوت باسم غير الله عندالذبح. وأما التى دلت على منع أكل ما لم يذكر اسم الله عليه فكقوله :(ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) الاية وقوله تعالى (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين .. وما لكم ان لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) فانه يفهم عدم الاكل مما لم يذكر اسم الله عيه والجواب عن هذا مشتمل على مبحثين :

الاول : فى وجه الجمع بين عموم آية (وطعام الذين أوتوا الكتاب) مع عموم الايات المحرمة لما أهل به لغير الله فيما اذا سمى الكتابى على ذبيحته غير الله بان اهل بها للصليب او عيسى او نحو ذلك .

المبحث الثانى : فى وجه الجمع بين اية (وطعام الذين اوتواالكتاب) ايضا مع قوله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) فيما اذالم يسم الكتابى الله ولا غيره على ذبيحته . أما المبحث الاول ، فحاصله ان بين

قوله تعالى : (وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم) أيضا مع قوله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) فيما اذا لم يسم الكتابى الله ولا غيره على ذبيحته • أما المبحث الاول، فحاصله ان بين قوله تعالى : (وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم) وبين قوله) (وما أهل لغير الله به) عموما وخصوصا من وجه تنفرد اية وطعام الذين اوتوا الكتاب في الخبز والجبن من طعامهم مثلا وتنفرد اية وما أهل لغير الله به في ذبح الوثنى لوثنه ويجتمعان فى ذبيحة الكتابى التى اهل بها لغير الله كالصليب او عيسى فعموم قوله وما أهل لغير الله به يقتضى تحريمها وعموم وطعام الذين اوتوا الكتاب يقتضى حليتها وقد تقرر فى علم الاصول ان الاعمين من وجه يتعارضان فى الصورة التى يجتمعان فيها فيجب الترجيح بينهماوالراجح منهما يقدم ويخصص به عموم الاخر كما قدمنا فى سورة النساء فىالجمع بين قوله تعالى وان تجمعوا بين الاختين مع قوله تعالى او ما ملكت ايمانهم وكما اشار له صاحب مراقى السعود بقوله :

وان يك العموم من وجه ظهر
فالحكم بالترجيح حتما معتبر

فاذا حققت ذلك فاعلم ان العلماء اختلفوا فى هذين العمومين ايهما ارجح فالجمهور على ترجيح الايات المحرمة وهو مذهب الشافعى ورواية عن مالك ورواه اسماعيل بن سعيد عن الامام احمد ذكره صاحب المغنى وهو قول ابن عمر وربيعة كما نقله عنهما البغوى فى تفسيره وذكره النووى فى شرح المهذب عن على وعائشة ورجح بعضهم عموم اية التحليل بان الله احل ذبائحهم وهو اعلم بما يقولون كما احتج بهالشعبى وعطاء على اباحة ما اهلوا به لغير الله قال مقيده عفا الله عنه : الذى يظهر والله تعالى اعلم ان عموم ايات المنع ارجح واحق بالاعتبار من طرق متعددة : منها قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقوله صلى الله عليه وسلم : والاثم ما حاك فى النفس الحديث وقوله (ص) فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه • ومنهاأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح كما تقرر فى الاصول وينبنى على ذلك ان النهى اذا تعارض مع الاباحة كما هنا فالنهى اولى بالتقديموالاعتبار لان ترك مباح اهون من ارتكاب حرام بل صرح جماهير من الاصوليين بان النص الدال على الاباحة فى المرتبة الثالثة من النص الدالعلى نهىالتحريم لان نهى التحريممقدم على الامر الدال على الوجوب لما ذكرنا من تقديم درء المفاسد على جلب المصالح والدال على الامر مقدم على الدال على الاباحة للاحتياط فى البراءة من عهدة الطلب وقد اشار الى هذا صاحب مراقى

السعود في مبحث الترجيح باعتبار المدلول بقوله :

وناقل ومثبت والآمر
بعد النواهي ثم هذا الاخر
على اباحة الخ ..

فان معنى قوله والامر بعد النواهي ان ما دل على الامر بعد ما دل على النهي فالدال على النهي هو المقدم وقوله ثم هذا الاخر على اباحة يعني ان النص الدال على الامر مقدم على الاباحة كما ذكرنا فتحصل ان الاول النهي فالامر فالاباحة فظهر تقديم النهي عما اهل به لغير الله على اباحة طعام اهل الكتاب . واعلم ان العلماء اختلفوا فيما حرم على أهل الكتاب كشحم الجوف من البقر والغنم المحرم على اليهود هل يباح للمسلم مما ذبحه اليهودي فالجمهور على اباحة ذلك للمسلم لان الذكاة لا تتجزأ وكرهه مالك ومنعه بعض اصحابه كابن القاسم واشهب واحتج عليهم الجمهور بحجج لا ينهض الاحتجاج بها عليهم فيما يظهر وايضاح ذلك ان اصحاب مالك احتجوا بقوله تعالى : وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم قالوا المحرم عليهم ليس من طعامهم حتى يدخل فيما احلته الآية فاحتج عليهم الجمهور بما ثبت في صحيح البخاري من تقرير النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مغفل رضى الله عنه على اخذه جرابا من شحم اليهود يوم خيبر وبما رواه الامام احمد بن حنبل عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم اضافه يهودي على خبز شعير واهاله سنخة اى ودك متغير الريح وبقصة الشاة المسمومة التي سمتها اليهودية له صلى الله عليه وسلم ونهش من ذراعها ومات منها بشر بن البراء بن معرور وهي مشهورة صحيحة قالوا انه صلى الله عليه وسلم عزم على اكلها هو ومن معه ولم يسألهم هل نزعوا منها ما يعتقدون تحريمه من شحمها او لا وقد تقرر في الاصول ان ترك الاستفصال بمنزلة العموم في الاقوال كما اشار له في مراقي السعود بقوله :

ونزلن ترك الاستفصال
منزلة العموم في المقال

والذي يظهر لمقيده عفا الله عنه أن هذه الادلة ليس فيها حجة على اصحاب مالك أما حديث عبد الله بن مغفل وحديث انس رضى الله عنهما فليس في واحد منهما النص على خصوص الشحم المحرم عليهم ومطلق الشحم ليس فيها حجة على اصحاب مالك اما حديث عبد الله بن مغفل وحديث انس رضى الله عنهما فليس في واحد منهما النص على خصوص الشحم المحرم ليس حراما عليهم بدليل قوله تعالى : الا ما حملت ظهورهما او ما اختلط بعظم فما في الحديثين اعم من محل النزاع والدليل على الاعم ليس دليلا على الاخص لان وجود الاعم لا يقتضى وجود الاخص باجماع

العقلاء ومثل رد هذا الاحتجاج بما ذكرنا هو القادح فى الدليل المعروف عند الأصوليين بالقول بالموجب واشار له صاحب مراقى السعود بقوله :

والقول بالموجب قدحه جلا
وهو تسليم الدليل مسجلا

من مانع ان الدليل استلزما
لما من الصور فيه اختصما

اما القول بالموجب عند البيانيين فهو من أقسام البديع المعنوى وهو ضربان معروفان فى علم البلاغة وقصدنا هنا القول بالموجب بالاصطلاح الاصولى لا البيانى واما تركه صلى الله عيهوسلم الاستفصال فى شاة اليهودية فلا يخفى انه لا دليل فيه لانه صلى الله عليه وسلم ينظر بعينه ولا يخفى عليه شحم الجوف ولا شحم الحوايا ولا الشحم المختلط بعظم كما هو ضرورى فلا حاجة الى السؤال عن محسوس حاضر واجرى الاقوال على الاصول فى مثل الشحم المذكور الكراهة التنزيهية لعدم دليل جازم على الحل أوالتحريم لان ما يعتقد الشخص انه حرام عليه ليس من طعامه والذكاةلا يظهر تجزؤها فحكم المسألة مشتبه ومن ترك الشبهات استبرأ لدينه وعرضه وأما المبحث الثانى : وهو الجمع بين قوله وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم مع قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه فيما اذا لم يذكر الكتابى على ذبيحته اسم الله ولا اسم غيره فحاصله ان فى قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وجهين من التفسير احدهما واليه ذهب الشافعى وذكر ابن كثير فى تفسيره لها انه قوى ان المراد بما لم يذكر اسم الله عليه هو ما أهل به لغير الله وعلى هذا التفسير فمبحث هذه الاية هو المبحث الاول بعينه لا شىء آخر .

الوجه الثانى – انها على ظاهرها وعليه فبين الايتين ايضا عموم وخصوص من وجه تتفرد آية وطعام الذين اوتوا الكتاب فيما ذبحه الكتابى وذكر عليه اسم الله فهو حلال بلا نزاع وتنفرد آية ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه فيما ذبحه وثنى أو مسلم لم يذكر اسم الله عليه فما ذبحه الوثنى حرام بلا نزاع وما ذبحه المسلم من غير تسمية يأتى حكمه ان شاء الله ويجتمعان فيما ذبحه كتابى ولم يسم الله عليه فيتعارضان فيه فيدل عموم وطعام الذين اوتوا الكتاب على الاباحة ويدل عموم ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه على التحريمفيصار الى الترجيح كما قدمنا واختلف فىهذين العمومين ايضا ايهما ارجح فذهب الجمهور الى ترجيح عموم وطعام الذين اوتوا الكتاب الاية وقال بعضهم بترجيح عموم ولا تأكلوا مما لميذكر اسم الله عليه قال النووى فى شرح المهذب ذبيحة أهل الكتاب حلالسواء

ذكروا اسم الله عليها ام لا لظاهر القرآن العزيز هذا مذهبنا ومذهب الجمهور وحكاه ابن المنذر عن على والنخعي وحماد بن سليمان وابى حنيفة واحمد واسحاق وغيرهم فان ذبحوا على صنم او غيره لم يحل انتهى محل الغرض منه بلفظه ٠وحكى النووى القول الاخر عن على ايضا وابى ثور وعائشة وابن عمر ٠ قال مقيده عفا الله عنه ٠ الذى يظهروالله تعالى اعلم ان لعموم كل من الايتين مرجحا وان مرجح آية التحليل اقوى بالاعتبار ، اما آية التحليل فيرجح عمومها بامرين :

الاول – انها اقل تخصيصا وآية التحريم اكثر تخصيصا لان الشافعى ومن وافقه خصصوها بما ذبح لغير الله وخصصها الجمهور بما تركت فيه التسمية عمدا قائلين أن تركها نسيانا لا اثر له وآية التحليل ليس فيها من التخصيص غير صورةالنزاع الا تخصيص واحد وهو ما قدمنا من انها مخصوصة بما لم يذكر عليهاسم غير الله على القول الصحيح وقدتقرر فى الاصول ان الاقل تخصيصا مقدم على الاكثر تخصيصا كما ان ما لم يدخله التخصيص اصلا مقدم على ما دخله وعلى هذا جمهورالاصوليين وخالف فيه السبكى والصفى الهندى وبين صاحب نشر البنود فى شرح مراقى السعود فى مبحث الترجيح باعتبار حال المروى فى شرح قوله :

تقديم ما خص على ما لم يخص
وعكسه كل أتى عليه نص

ان الاقل تخصيصا مقدم علىالاكثر تخصيصا وانما لم يدخله التخصيص مقدم على ما دخله عند جماهير الاصوليين وانه لم يخالف فيه الا السبكى وصفى الدين الهندى ٠

والثانى – ما نقله ابن جريرونقله عنه ابن كثير عن عكرمة والحسن البصرى ومكحول ان آية وطعام الذين اوتوا الكتاب ناسخة لاية ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وقال ابن جرير وابن كثير ان مرادهم بالنسخ التخصيص ولكنا قدمنا انالتخصيص بعد العمل بالعام نسخ لانالتخصيص بيان والبيان لا يجوز تأخيره عنوقت العمل ٠

ويدل لهذا ان آية ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه من سورة الانعام وهى مكية بالاجماع وآية وطعام الذين اوتوا الكتاب من المائدة وهى من اخر ما نزل من القرآن بالمدينة واما آية التحريم فيرجح عمومها بما قدمنا من مرجحات قوله تعالى : وما أهل لغير الله به لان كلتاهما دلت على نهى يظهر تعارضه مع اباحة وحاصل هذه المسألة ان ذبيحة الكتابى لها خمس حالات لا سادسة لها ٠

الاولى – أن يعلم انه سمى الله عليها وفى هذه تؤكل بلا نزاع ولا عبرة بخلاف الشيعة فى ذلك لانهم لا يعتد بهم فى الاجماع ٠

الثانية – ان يعلم انه اهل بها لغير الله ففيها خلاف وقد قدمنا ان التحقيق أنها لا تؤكل لقوله تعالى وما أهل لغير الله به ٠

الثالثة – ان يعلم انه جمع بين اسم الله واسم غيره وظاهرالنصوص انها لا تؤكل ايضا لدخولها فيما اهل لغير الله به ٠

الرابعة – ان يعلم انه سكت ولم يسم الله ولا غيره فالجمهور على الاباحة وهو الحق والبعض على التحريم كما تقدم ٠

الخامسة – ان يجهل الامر لكونه ذبح حالة انفراده فتوكل على ما عليه جمهور العلماء وهو الحق ان لم يعرف الكتابي بأكل الميتة كالذى يسل عنق الدجاجة بيده فان عرف بأكل الميتة لم يؤكل ماغاب عليه عند بعض العلماء وهو مذهب مالك ويجوز أكله عند البعض بل قال ابن العربي المالكى اذا عايناه يسل عنق الدجاجة بيده فلنا الاكل منها لانها من طعامه والله اباح لنا طعامه واستبعده ابن عبدالسلام قال مقيده عفا الله عنه : هو جدير بالاستبعاد فكما ان نساءهم يجوز نكاحهن ولا تجوز مجامعتهن فى الحيض فكذلك طعامهم يجوز لنا من غير اباحة الميتة لان غاية الامر ان ذكاة الكتابي تحل مذكاة كذكاة المسلم وما وعدنا به من ذكر حكم ما ذبحه المسلم ولم يسم الله عليه فحاصله ان فيه ثلاثة اقوال . ارجحها

وهو مذهب الجمهور انه ان ترك التسمية عمدا لم توكل لعموم قوله تعالى : ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وان تركها نسيانا اكلت لانه لو تذكر لسمى الله ٠ قال ابن جرير من حرم ذبيحة الناسى فقد خرج من قول الحجة وخالف الخبر الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن كثير ان ابن جرير يعنى بذلك ما رواه البيهقى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم المسلم يكفيه اسمه ان نسى ان يسمى حين يذبح فليذكر اسم الله وليأكله ثم قال ابن كثير ان رفع هذا الحديث خطأ أخطأ فيه بن عبيد الله الجزرى والصواب وقفه على ابن عباس كمارواه بذلك سعيد بن منصور وعبدالله بن الزبير الحميدى ومماستدل بهالبعض على اكل ذبيحة الناسى للتسمية دلالة الكتاب والسنة والاجماع على الغدر بالنسيان ومما استدل به البعض لذلك حديث رواه الحافظ ابو احمدبن عدى عن ابى هريرة قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله رأيت الرجل منا يذبح وينسى ان يسمى فقال النبى صلىالله عليه وسلم اسم الله على كل مسلم ذكر ابن كثير هذا الحديث وضعفه بان فى اسناده مروان بن سالم أبا عبد الله الشامى وهو ضعيف ٠

القول الثانى – ان ذبيحة المسلم تؤكل ولو ترك التسمية عمدا وهو

مذهب الشافعي رحمه الله كما تقدم لانه يرى انه ما لم يذكر اسم الله عليه يراد به ما أهل به لغير الله لا شيء آخر وقد ادعى بعضهم انعقاد الاجماع قبل الشافعي على أن متروك التسمية عمدا لا يؤكل ولذلك قال ابو يوسف وغيره لو حكم حاكم بجواز بيعه لم ينفذ لمخالفته الاجماع واستغرب ابن كثير حكاية الاجماع على ذلك قائلا ان الخلاف فيه قبل الشافعي معروف •

القول الثالث ان المسلم اذا لم يسم على ذبيحته لا تؤكل مطلقا تركها عمدا او نسيانا وهو مذهب داود الظاهري وقال ابن كثير ثم نقل ابن جرير وغيره عن الشعبي ومحمد بن سيرين انهما كرها متروك التسمية نسيانا والسلف يطلقون الكراهة على التحريم كثيرا ثم ذكر ابن كثير ان ابن جرير لا يعتبر مخالفة الواحد او الاثنين للجمهور فيعده اجماعا مع مخالفة الواحد او الاثنين ولذلك حكى الاجماع على اكل متروك التسمية نسيانا مع انه نقل خلاف ذلك عن الشعبي وابن سيرين •

مسائل مهمة تتعلق بهذه المباحث :

المسألة الاولى - اعلم ان كثيرا من العلماء من المالكية والشافعية وغيرهم يفرقون بين ما ذبحه اهل الكتاب لصنم وبين ما ذبحوه لعيسى او جبريل أو لكنائسهم قائلين أن الاول مما اهل به لغير الله دون الثاني فمكروه عندهم كراهة تنزيه مستدلين بقوله تعالى : وما ذبح على النصب •
والذى يظهر لمقيده عفا الله عنه ان هذا الفرق باطل بشهادة القرآن لان الذبح على وجه القربة عبادة بالاجماع وقد قال تعالى : فصل لربك وانحر •وقال تعالى : قل ان صلاتى ونسكي ومحياى ومماتي لله الآية فمن صرف شيئا من ذلك لغير الله فقد جعله شريكا مع الله فى هذه العبادة التى هي الذبح سواء كان نبيا او ملكا او بناء او شجرا او حجرا او غير ذلك لا فرق فى ذلك بين صالح وطالح كما نص عليه تعالى بقوله : ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ثم بين ان فاعل ذلك كافر بقوله تعالى : ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون•
وقال تعالى ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوءة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله الاية وقال تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لانعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله الاية
فان قيل قد رخص فى كل ماذبحوه لكنائسهم أبو الدرداء وابو أمامة الباهلي والعرباض بن سارية والقاسم بن مخيمرة وحمزة ابن حبيب وأبو

سلمة الخولاني وعمر بن الاسـود ومكحول والليث بن سعد وغيرهم ، فالجواب : ان هذا قول جماعـة من العلماء من الصحابة ومن بعدهم وقد خالفهم فيه غيرهم وممن خالفهم ام المؤمنين عائشة رضى الله عنهـا والامام الشافعي رحمه الله والله تعالى يقول : (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله) الآية فنرد هذا النزاع الى الله فنجده حرم ما أهل به لغير الله وقوله لغير الله يدخل فيه الملك والنبى كما يدخل فيه الصنـم والنصب والشيطان وقد وافقونا فى منع مـا ذبحوه باسم الصنم وقد دل الدليل على انه لا فرق فى ذلك بين النـبى والملك وبين الصنم والنصب فلزمهم القول بالمنع وأما استدلالهم بقولـه وما ذبح على النصب فلا دليل فيـه لان قوله تعالى وما ذبح على النصـب ليس بمخصص لقوله وما أهل لغـير الله به لانه ذكر فيه بعض مـا دل عليه عموم وما أهل لغير الله به .

وقد تقرر فى علم الاصول ان ذكـر بعض افراد العام بحكم العام لايخصص على الصحيح وهو مذهب الجمهور خلافا لابى ثور محتجا بانه لا فائدة لذكره الا التخصيص واجيب من قبل الجمهور بان مفهوم اللقب ليس بحجة وفائـدة ذكر البعض نفى احتمال اخراجه من العام ، فاذا حققت ذلك فاعلم ان ذكر البعض لا يخصص العام سواء ذكرا فى نص واحد كقوله تعالى حافظـوا على الصلوات والصلاة الوسطى او ذكر كل واحد منهما على حدة كحديـث الترمذى وغيره . أيما اهاب دبـغ فقد طهر مع حديث مسلم أنه صلى الله عليه وسلم مر بشاة ميتة فقال هـلا أخذتم اهابها الحديث فذكر الصـلاة الوسطى فى الاول لا يدل على عـدم المحافظة على غيرها من الصلـوات وذكر اهاب الشاة فى الاخير لا يدل على عدم الانتفاع باهاب غير الشـاة لان ذكر البعض لا يخصص العـام وكذلك رجوع ضمير البعض لايخصص أيضا على الصحيح كقوله تعـالى : (وبعولتهن أحق بردهن فى ذلـك) فان الضمير راجع الى قوله والمطلقات يتربصن وهو لخصوص الرجعيـات من المطلقات مع أن تربص ثلاثة قروء عام للمطلقات من رجعيات وبوائن والى هذا أشار فى مراقى السعود مبينـا معه أيضا ان سبب الواقعة لايخصصها وان مذهب الراوى لا يخصص مرويـه على الصحيح فيها ايضا بقوله :

ودع ضمير البعض والاسبابا
وذكر ما وافـه من مفـرد
ومذهب الراوى على المعتمـد

وروى عن الشافعى وأكثر الحنفية التخصيص بضمير البعض وعليـه فتربص البوائن ثلاثة قروء مأخوذ من دليل اخر أما عدم التخصيص بذكر البعض فلم يخالف فيه الا أبو ثـور وتقدم رد مذهبه ولو سلمنا ان الاية

معارضة بقوله تعالى وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم فانا نجد النبى صلى الله عليه وسلم أمر بترك مثل هذا الذى تعارضت فيه النصوص بقوله : دع ما يريبك الى ما لا يريبك.

المسألة الثانية : اختلف العلماء فى ذكاة نصارى العرب كبنى تغلب وتنوخ وبهراء وجذام ولخم وعاملة ونحوهم فالجمهور على ان ذبائحهم لا تؤكل قاله ابن كثير وهو مذهب الشافعى ونقله النووى فى شرح المهذب عن على وعطاء وسعيدبن جبير ونقل النووى ايضا اباحة ذكاتهم عن ابن عباس والنخعى والشعبى وعطاء الخراسانى والزهرى والحكم وحماد وابى حنيفة واسحاق بن راهوية وابى ثور وصحح هذا القول ابن قدامة فى المغنى محتجا بعموم قوله : وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وحجة القول الاول ما روى عن عمر رضى الله عنه قال :

ما نصارى العرب بأهل كتاب لا تحل لناذبائحهم وما روى عن على رضى اله عنه لا تحل ذبائح نصارى بنى تغلب لانهم دخلوا فى النصرانية بعد التبديل ولا يعلم هل دخلوا فى دين من بدل منهم او فى دين من لم يبدل فصاروا كالمجوس لما أشكل أمرهم فى الكتاب لم تؤكل ذبائحهم ذكر هذا صاحب المهذب وسكت عليه النووى فى الشرح قائلا انه حجة الشافعية فى منع ذبائحهم ويفهم منه عدم اباحة اكل ذكاة اليهود والنصارى اليوم لتبديلهم لا سيما فيمن عرفوا منهم بأكل الميتة كالنصارى .

المسألة الثالثة : ذبائح المجوس لا تحل للمسلمين قال النووى فى شرح المهذب هى حرام عندنا وقال به جمهور العلماء ونقله ابن المنذر عن اكثر العلماء قال وممن قال به سعيد بن المسيب وعطاء بن أبى رباح وسعيد ابن جبير ومجاهد وعبد الرحمن بن أبى ليلى والنخعى وعبيد الله بن يزيد ومرة الهمدانيوالزهرى ومالك والثورى وابو حنيفة واحمد واسحاق وقال ابن كثير فى تفسير قوله . وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم : وأما المجوس فانهم وان اخذت منهم الجزية تبعا والحاقا لاهل الكتاب فانهم لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم خلافا لابى ثور ابراهيم بن خالد الكلبى احد الفقهاء من اصحاب الشافعى وأحمد ابن حنبل ولما قال ذلك واشتهر عنه أنكر عليه الفقهاء حتى قال عنه الامام أحمد أبو ثور كاسمه يعنى فى هذه المسألة وكأنه تمسك بعموم حديث روى مرسلا عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال سنوابهم سنة أهل الكتاب ولكن لم يثبت بهذا اللفظ وانما الذى فى صحيح البخارى عن عبد الرحمن بن عوف ان رسولالله صلى الله عليه وسلم اخذ الجزية من مجوس هجر ولو سلم صحة هذا

الحديث فعمومه مخصوص بمفهوم هذه الاية (وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم) فدل بمفهومه مفهوم المخالفة على أن طعام من عداهم من أهل الاديان لا يحل انتهى كلام ابن كثير بلفظه واعترض عليه فى الحاشية الشيخ السيد محمد رشيد رضا بما نصه فيه ان هذا مفهوم لقب وهو ليس بحجة ، قال مقيده عفا الله عنه : الصواب مع الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى واعتراض الشيخ عليه سهو منه لان مفهوم قوله : الذين أوتوا الكتاب مفهوم علة لا مفهوم اللقب كما ظنه الشيخ لان مفهوم اللقب فى اصطلاح الاصوليين هو ما علق فيه الحكم باسم جامد سواء كان اسم جنس او اسم عين او اسم جمع وضابطه انه هو الذى ذكر ليمكن الاسناد اليه فقط لا لاشتماله على صفة تقتضى تخصيصه بالذكر دون غيره اما تعليق هذا الحكم الذى هو اباحة طعامهم بالوصف بايتاء الكتاب فهو تعليق الحكم بعلته لان الوصف بايتاء الكتاب صالح لان يكون مناط الحكم بحلية طعامهم وقد دل المسلك الثالث من مسالك العلة المعروف بالايماء والتنبيه على ان مناط حلية طعامهم هو ايتاؤهم الكتاب وذلك بعينه هو المناط لحلية نكاح نسائهم لان ترتيب الحكم بحلية طعامهم ونسائهم على ايتائهم الكتاب لو لم يكن لانه علته لما كان فى التخصيص بايتاء الكتاب فائدة ومعلوم ان ترتيب الحكم على وصف لو لم يكن علته لكان حشوا من غير فائدة يفهم منه انه علته بمسلك الايماء والتنبيه قال فى مراقى السعود فى تعداد صور الايماء :

كما اذا سمع وصفا فحكم
وذكره فى الحكم وصفا قد الم

ان لم يكن علته لم يفد
ومنعه مما يفيت استفد

ترتيبه الحكم عليه واتضح الخ .

ومحل الشاهد منه قوله استفد ترتيبه الحكم عليه وقوله وذكره فى الحكم وصفا ان لم يكن علته لم يفد ومما يوضح ما ذكرنا ان قوله الذين اوتوا الكتاب موصول وصلته جملة فعلية وقد تقرر عند علماء النحو فى المذهب الصحيح المشهور ان الصفة الصريحة كاسم الفاعل واسم المفعول الواقعة صلة أل بمثابة الفعل مع الموصول ولذا عمل الوصف المقترن بأل الموصولة فى الماضى لانه بمنزلة الفعل كما أشار له فى الخلاصة بقوله :

وان يكن صلة أل ففى المضى
وغيره اعماله قد ارتضى

فاذا حققت ذلك علمت ان الذين اوتوا الكتاب بمثابة ما لو قلت وطعام المؤتين الكتاب بصيغة اسم المفعول ولم يقل أحد أن مفهوم اسم المفعول مفهوم لقب لاشتماله على أمر هو المصدر يصلح ان يكون المتصف به مقصودا للمتكلم دون غيره كما

ذكروا فى مفهوم الصفة فظهر ان ايتاء الكتاب صفة خاصة بهم دون غيرهم وهى العلة فى اباحة طعامهم ونكاح نسائهم فادعاء انها مفهوم لقب سهو ظاهر وظهر ان التحقيق ان المفهوم فى قوله الذين اوتوا الكتاب مفهوم علة ومفهوم العلة قسم من أقسام مفهوم الصفة فالصفة اعم من العلة وايضاحه كما بينه القرافى ان الصفة قد تكون مكملة للعلة لا علة تامة كوجوب الزكاة فى السائمة فان علته ليست السوم فقط ولو كان كذلك لوجبت فى الوحوش لانها سائمة ولكن العلة ملك ما يحصل به الغنى وهى مع السوم اتم منها مع العلف وهذا عند من لا يرى الزكاة فى المعلوفة وظهر أن ما قاله الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى هو الصواب وقد تقرر فى علم الاصول ان المفهوم بنوعيه من مخصصات العموم اما تخصيص العام بمفهوم الموافقة بقسميه فلا خلاف فيه وممن حكى الاجماع عليه الامدى والسبكى فى شرح المختصر ودليل جوازه ان اعمال الدليلين اولى من الغاء احدهما ومثاله تخصيص حديث لى الواجد بحل عرضه وعقوبته أى يحل العرض بقوله مطلنى والعقوبة بالحبس فانه مخصص بمفهوم الموافقة الذى هو الفحوى فى قوله فلا تقل لهما أف لان فحواه تحريم اذاهما فلا يحبس الوالد بدين الولد وأما تخصيصه بمفهوم المخالفة ففيه خلاف والارجح منه هو ما مشى عليه الحافظ ابن كثير تغمده الله برحمته الواسعة وهو التخصيص به والدليل عليه ما قدمنا من ان اعمال الدليلين اولى من الغاء احدهما وقيل لا يجوز التخصيص به ونقله الباجى عن اكثر المالكية وحجة هذا القول ان دلالة العام على ما دل عليه المفهوم بالمنطوق وهو مقدم على المفهوم ويجاب بان المقدم عليه منطوق خاص لا ما هو من افراد العام فالمفهوم مقدم عليه لان اعمال الدليلين اولى من الغاء احدهما واعتمد التخصيص به صاحب مراقى السعود فى قوله فى مبحث الخاص فى الكلام على المخصصات المنفصلة :

واعتبر الاجماع جل الناس
وقسمى المفهوم كالقياس

ومثال التخصيص بمفهوم المخالفة تخصيص قوله صلى الله عليه وسلم فى اربعين شاة الذى يشمل عمومه السائمة لا زكاة فيها فيخصص بذلك عموم فى أربعين شاة شاة والعلم عند الله تعالى .

المسألة الرابعة : ما صاده الكتابى بالجوارح والسلاح حلال للمسلم لان العقر ذكاة الصيد وعلى هذا القول الائمة الثلاثة وبه قال عطاء والليث والاوزاعي وابن المنذر وداود وجمهور العلماء كما نقله عنهم النووى فى شرح المهذب وحجة الجمهور واضحة وهى قوله تعالى : وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وخالف مالك وابن القاسم ففرقا بين ذبح الكتابى

وصيده مستدلين بقوله تعالى . تناله ايديكم ورماحكم لانه خص الصيد بايدى المسلمين ورماحهم دون غير المسلمين قال مقيده عفا الله عنه : الذى يظهر لى والله اعلم أن هذا الاحتجاج لا ينهض على الجمهور وان الصواب مع الجمهور وقد وافق الجمهور من المالكية اشهب وابن هارون وابن يونس والباجي واللخمى ولمالك فى الموازية كراهته قال ابن بشير ويمكن حمل المدونة على الكراهة

المسالة الخامسة : ذبائح أهل الكتاب فى دار الحرب كذبائحهم فى دار الاسلام قال النووى وهذا لاخلاف فيه ونقل ابن المنذر الاجماع عليه ٠

قوله تعالى : فان جاءوك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم ٠٠ الآية هذه الاية الكريمة تدل على أن النبى صلى الله عليه وسلم اذا تحاكم اليه اهل الكتاب مخيربين الحكم بينهم والاعراض عنهم وقد جاءت آية اخرى تدل على خلاف ذلك وهى قوله تعالى : وان احكم بينهم بما انزل الله ٠٠الاية ٠

والجواب ان قوله تعالى وان أحكم بينهم ناسخ لقوله أو أعرض عنهم وهذا قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والسدى وزيد ابن اسلم وعطاء الخراسانى وغير واحد قاله ابن كثير ٠ وقيل معنى « وأن احكم » أى اذا حكمت بينهم فاحكم بما انزل الله لا باتباع الهوى ، وعليه فالاولى محكمة والعلم عند الله تعالى ٠

قوله تعالى : أو آخران من غيركم الاية : هذه الاية تدل على قبول شهادة الكفار على الوصية فى السفر وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف ذلك كقوله :

انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون وقوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون ، أى فالكفرون احرى برد شهادتهم وقوله واشهدوا ذوى عدل منكم ، وقوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ٠٠ الآية والجواب عن هذا على قول من لا يقبل شهادة الكافرين على الايصال فى السفر انه يقول ان قوله أو آخر ان من غيركم منسوخ بآيات اشتراط العدالة والذى يقول بقبول شهادتهما يقول هى محكمة مخصصة لعموم غيرها وهذا الخلاف معروف ووجه الجواب على كلا القولين ظاهر وأما على قول من قال ان معنى قوله ذوا عدل منكم أى من قبيلة الموصى وقوله او اخر ان من غيركم أى من غير قبيلة الموصى من سائر المسلمين ٠ فلا اشكال فى الاية ولكن جمهور العلماء على أن قوله من غيركم أى من غير المسلمين وان قوله منكم اى من المسلمين وعليه فالجواب ما تقدم والعلم عند الله تعالى ٠

قوله تعالى : (يوم يجمع الله

الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب) • هذه الاية يفهم منها ان الرسل لا يشهدون يوم القيامة ، على امهم وقد جاء فى آيات اخر ما يدل على أنهم يشهدون على امهم كقوله تعالى: فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقوله تعالى : ويوم نبعث فى كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء •

والجواب من ثلاثة اوجه ـ الاول ـ وهو اختيار ابن جرير وقال فيه ابن كثير لا شك أنه حسن ، ان المعنى لا علم لنا الا علم انت أعلم به منا فلا علم لنا بالنسبة الى علمك المحيط بكل شيء فنحن وان عرفنا من اجابنا فانما نعرف الظواهر ولا علم لنا بالبواطن وانت المطلع على السرائر وما تخفى الضمائر فعلمنا بالنسبة الى علمك كلا علم • الثانى ـ وبه قال مجاهد والسدى والحسن البصرى كما نقله عنهم ابن كثير وغيره انهم قالوا لا علم لنا لما اعتراهم من شدة هول يوم القيامة ثم زال ذلك عنهم فشهدوا على امهم ـ الثالث ـ وهو اضعفها ان معنى قوله ماذا أجبتم ماذا عملوا بعدكم وما احدثوا بعدكم ؟ قالوا لا علم لنا ذكر ابن كثير وغيره هذا القول ولا يخفى بعده عن ظاهر القرآن •

قوله تعالى : قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العلمين •

هذه الآية الكريمة تدل على ان اشد الناس عذابا يوم القيامة من كفر من اصحاب المائدة وقد جاء فى بعض الايات ما يوهم خلاف ذلك كقوله ان المنفقين فى الدرك الاسفل من النار وقوله ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب • والجواب ان آية ادخلوا ال فرعون واية ان المنفقين لا منافاة بينهما لان كلا من آل فرعون والمنافقين فى اسفل دركات النار فى أشد العذاب وليس فى الايتين ما يدل على ان بعضهم اشد عذابا من الاخر وأما قوله فانى اعذبه الاية فيجاب عنه من وجهين : الاول ـ وهو ما قاله ابن كثير ان المراد بالعالمين عالموا زمانهم وعليه فلا آشكال ونظيره قوله تعالى وانى فضلتكم على العالمين كما تقدم ـ الثانى ـ ما قاله البعض من أن المراد به العذاب الدنيوى الذى هو مسخهم خنازير ولكن يدل لانه عذاب الاخرة ما رواه ابن جرير عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما انه قال اشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة : المنافقون ومن كفر من اصحاب المائدة وال فرعون • وهذا الاشكال فى المائدة لا يتوجه الا على القول بنزول المائدة وان بعضهم كفر بعد نزولها اما على قول الحسن ومجاهد انهم خافوا من الوعيد فقالوا لا حاجة لنا فى نزولها فلم تنزل فلا اشكال لكن ظاهر قوله تعالى انى منزلها يخالف ذلك وعلى القول بنزولها لا يتوجه الاشكال الا اذا ثبت كفر بعضهم كما لا يخفى •

بين الحياة والموت

للشيخ محمد المجذوب

المدرس بكلية الشريعة

رباه . . حار الطبيب ... وانهار صبري العجيب (١)

ومل وقع أنيني ... حتى الفراش الكئيب

إذا تشكيت كربا ... ثارت هناك كروب

وهل يطيق قرارا ... من احتواه اللهيب !

فمعدتي في التهاب ... أكاد فيه أذوب

وفي الجوانح هول ... منه الوليد يشيب

يزلزل الظن منه ... وتستغيث الجنوب

وكلها في عراك ... حصاده التعذيب

والقلب من ذا وهذا ... في محنة لا تغيب

ولست أدرى ولا الطب ... ما العلاج المصيب

لكنني رغم ضري ... راض فلا أستريب

عسى يخفف فيه ... من عاتقي الذنوب

* * *

١ــ كان الشيخ الشاعر قد ادخل المستشفى العام بالمدينة محمولا وبعد ان اجرى الطبيب فحوصاته عليه قرر وجوب اجراء عمليةفى اسرع وقت .. وفى الدقائق التى سبقت ادخاله غرفة العمليات جادت قريحته بهذهالابيات الرائعة :

رتد من الله عليه بالشفاء الكامل تفضلا منهواحسانا وتحقيقا لوعده للمستغيثين .

والضرب إن جاء ممن تحب فهو الزبيب

يا علةً لم تذرني مذ ذرّ هذا المشيب

كم زاغ عنها خبير وضل فيها لبيب

فخاب كل علاج لأنهم لم يصيبوا

حتى أطلّ (ابنُ مُلاّ) فاستعلن المحجوب

قال : المرارة فيها حجارة و ندوب

وبالجراحة يُرجَى لك الشفاء القريب

وكل جهد سواها فضائع أو جديب

وصدّق الرسمُ ماقد جلاه ذاك الأريب

فحبذا مِبْضَعٌ فيه غوثيَ المطلوب

وهاك جسمِيْ فأعملْ به المُدَى يا طبيب

فإن توفّقْ فهذا ما تشتهيه القلوب

وإن قضى الله أمراً فليس منه هروب

وساعة ثم يأتي ما خبأته الغيوب

يُسارُ بي نصفَ مَيْتٍ حيثُ المصيرُ الرهيب

فليت شعري حياةٌ وراءها أم (شَعُوبُ)

وما يُقدّرْهُ ربي فهو الأثير الحبيب

ومن رجا رحمة الله مخلصاً لا يخيب

فيا ملاذَ البرايا إذا الرزايا تنوب

إليك أسلمتُ أمري وقد برتني الخطوب

ورقّ لي ورثى لي حتى الخليّ المريب

وقال كل محب هنيهة و يذوب

فما رأفْ بمن باتَ إلا لقاك لا يستطيب

واغفرْ فإن الخطايا ضاقتْ بهن الدروب
فإن يكن غيرُ أهل لعفوك (المجذوب)
فبحر فضلك وِرْدٌ لكل جانٍ يثوب
وهو الذي غمر الكون فيضه المسكوب
لو لاه ما كان للخلق في الوجود نصيب
ولم تُقدّرْ لحي على التراب دبيب
فكيف يُحرم منه هذا الكسير الغريب
ألم تقلْ (يا عبادي ادعوني فإني قريب!)
وقد دعوتك يا ربّ والبلاء عصيب
فإن تخيّبْ رجائي فأين أين المجيب!

أركان الداعية

ان تكوين الامم وتربية الشعوب وتحقيق الآمال تحتاج الى قوة نفسية عظيمة تتمثل فى عدة أمور :

ارادة قوية لا يتطرق اليها ضعف ، ووفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ، وتضحية عزيزة لا يحول دونها طمع أو بخل ، ومعرفة بالمبدأ وايمان به وتقدير له يعصم من الخطأ فيه والانحراف عنه والخديعة بغيره .

الشهيد حسن البنا

المدلسون ٤

بقلم الشيخ حماد الأنصاري المدرس بكلية الدعوة

٨٠ - « عبد الرزاق » بن همام الصنعاني الحافظ المشهور متفق على تخريج حديثه وقد نسبه بعضهم الى التدليس وقد جاء عنه انه تبرىء من التدليس . قال حججت فمكثت ثلاثة ايام لا يجيئني اصحاب الحديث فتعلقت بالكعبة فقلت يا رب مالي اكذاب انا أمدلس انا ابقية بن الوليد انا فرجعت الى البيت فجاءوني ويحتمل ان يكون نفي الاكثار من التدليس بقرينة ذكره بقية من الثانية .

قال ابن سعد مات سنة ٢١١هـ عن ٨٥ سنة .

٨١ - « ع » عبد العزيز بن عبدالله القرشي البصري ابو وهب الجدعاني روى عن سعيد بن ابي عروبة وخالد الحذاء وبهز بن حكيم وروى عنه الحسن بن مذري وغيره قال ابن حبان في الثقات يعتبر حديثه اذا بيّن السماع تكلم فيه ابن عدي قال عامة ما يرويه لا يتابع من الثالثة .

٨٢ - « ع » عبد العزيز بن عبدالله بن وهب الكلاعي ضعيف قال ابن حبان يعتبر حديثه اذا بين السماع من الطبقة الخامسة .

٨٣ - « عبد المجيد » بن عبد العزيز بن ابي رواد المكي صدوق نسب الى الارجاء وفي حفظه شيء ذكره في جامع التحصيل في المراسيل ونسبه الى التدليس العلائي وهو من الثالثة مات سنة ٢٠٦ هـ .

٨٤ – « عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي » فقيه الحجاز مشهور بالعلم والتثبت كثير الحديث وصفه النسائي وغيره بالتدليس وقال الدار قطني شر التدليس تدليس ابن جريج فانه قبيح التدليس ولا يدلس الا فيما سمعه من مجروح من الثالثة قال ابو نعيم توفي سنة ١٥٠ هـ .

٨٥ – « عبد الملك » بن عمير القبطي الكوفي تابعي مشهور بالتدليس وصفه بذلك الدارقطني وابن حبان وغيرهما من الثالثة مات سنة ١٣٦ هـ وقد جاوز المابة .

٨٦ – « عبد الوهاب » بن عطاء الخفاف بتشديد الفاء البصري صدوق معروف من طبقة ابي اسامة قال البخاري فيما نقله الخطيب كان يدلس عن ثور الحمصي واقوام احاديث مناكير . قال صالح جزره انكروا على الخفاف حديث ثور في فضل العباس ما انكروا عليه غيره اخرجه الترمذي بسند فيه الخفاف الى ابن عباس مرفوعا « اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة » الحديث قال ابن معين هذا حديث موضوع وقال لم يقل فيه عبد الوهاب حدثنا ثور من الثالثة قال ابن قانع مات سنة ٢٠٤ هـ .

٨٧ – « عبيدة » بضم العين المهملة ابن الاسود بن سعيد الهمداني اشار ابن حبان في الثقات الى انه كان يدلس من الطبقة الثالثة .

٨٨ – « عثمان » بن عبد الرحمن الطرائفي المؤدب قال الحافظ قال ابن حبان روى عن قوم ضعاف أشياء فدلسها عنهم . وقد تعقب الذهبي كلام ابن حبان هذا بقوله ان ابن حبان يقعقع كعادته حيث قال في عثمان الطرائفي يروي عن قوم ضعاف اشياء يدلسها عن الثقات حتى اذا سمعها المستمع لم يشك في وضعها فلما كثر ذلك في اخباره الزقت به تلك الموضوعات وحمل الناس عليه في الجرح فلا يجوز عندي الاحتجاج بروايته كلها بحال . وقال الذهبي نقله كلام ابن حبان هذا لم يرو ابن حبان في ترجمته شيئا ولو كان عنده شيء موضوع لأسرع باحضاره وما علقت احدا قال في عثمان الطرائفي انه يدلس عن الهلكى انما قالوا يأتي عنهم بمناكير . والكلام في الرجال لايجوز الالتام المعرفة

تام الورع . وكذا اسرف فيه محمد بن عبد الله بن نصير فقال كذاب وقال ابو عروبة هو في الجزريين كبقية في الشاميين . وقال اسحاق الكوسج وابن معين ثقة . وقال ابو حاتم يحول من الضعفاء للبخاري من الطبقة الخامسة توفي سنة ٢٠٣ ﻫ .

٨٩ — « عثمان » بن عمر الحنفي عن ابن جريج وعنه محمد بن حرب الشامي قال ابن حبان في ثقاته يعتبر حديثه اذا بيّن السماع من الثالثة توفي سنة ٢٠٩ ﻫ وقال خليفة بن خياط في تاريخه مات سنة ٢٠٧ ﻫ .

٩٠ — « عطية » بن سعد ابو الحسن العوفي الكوفي تابعي معروف ضعيف الحفظ مشهور بالتدليس القبيح ولا يحل كتب حديثه الاعلى جهة التعجب يدلس في الكلبى إبن سعيد فيظن الخدرى من الرابعة مات سنة ١١١ ﻫ .

٩١ — « عكرمة » بن خالد بن سعيد بن العاص المخزومي تابعي مشهور وصفه بالتدليس الحافظ الذهبي في ارجوزته حيث قال ثم ابو سعيد البقال . عكرمة الصغير يا هلال . وكذلك وصفه به ايضا العلائي في جامع التحصيل في المراسيل . وقال الذهبي في ميزانه مكى ثقة من مشيخة ابن جريج اخطأ ابن حزم في تضعيفه وذلك لأن ابا محمد فيما حكاه ابن القطان كان وقع اليه كتاب الحافظ زكريا الساجي في الرجال فاختصره ورتبه على الحروف فزلق هذا الرجل بعكرمة بن خالد بن سلمة المخزومي عن ابيه ولم يتفطن لذلك من الثانية توفي قبل العشرين ومابة بعد عطاء .

٩٢ — « عكرمة » بن عمار اليمامي من صغار التابعين وصفه الامام احمد وابو حاتم والدارقطني بالتدليس من الثالثة مات سنة ١٥٩ ﻫ وروايته عن يحيى بن ابي كثير عند البخارى معلقة .

٩٣ — « ع على » بن عمر بن مهدي الدارقطني الحافظ المشهور صاحب السنن قال ابو الفضل بن طاهر كان له مذهب خفي في التدليس يقول قرىءعلى ابى القاسم حدثكم فلان فيوهم انه سمع منه لكن لا يقول وانا

أسمع وقد تقدم تفصيل هذا النوع في أقسام التدليس من الطبقة الاولى توفي في ثامن ذى القعدة سنة ٣٨٥ ه .

٩٤ — « علي » بن غالب النهدي مصري وفي اللسان الفهري بدل النهدي بصري بدل مصري والاول هو الصواب كما في التقريب وغيره يروى عن واهب بن عبدالله المعافري ثم الكعبي ابن عبدالله المصري وعنه يحيى بن ايوب قال ابن حبان كان كثير التدليس ويأتي بمناكير فبطل الاحتجاج بروايته وتوقف فيه الامام احمد من الطبقة الخامسة .

٩٥ — « علي » بن غراب ابو يحيى الغزاوي الكوفي القاضي اختلف فيه وثقه ابن معين ووصفه الامام احمد والدارقطني بالتدليس وافرط ابن حبان في تضعيفه من الثالثة مات سنة ١٨٤ ه قاله مطين .

٩٦ — « ع عمر » بن علي بن احمد بن الليث البخاري الليثي ابو مسلم الحافظ المشهور كان واسع الرحلة كثير التصانيف في المتأخرين وصفه ابن منده بالتدليس وقال شيرويه كان يحفظ ويدلس من الثالثة توفي سنة ٤٦٨ ه .

٩٧ — « عمر » بن علي المقدمي بتشديد الدال المهملة المفتوحة نسبه. الى مقدم وزن محمد جده من اتباع التابعين ثقة مشهور وكان يدلس شديدا وصفه بذلك احمد بن حنبل وابن معين وعفان بن مسلم وابو حاتم وابن سعد والدارقطني . قال ابن سعد ثقة وكان يدلس تدليسا شديدا يقول حدثنا ثم يسكت ثم يقول هشام بن عروة او الاعمش او غيرهما . قال الحافظ وهذا ينبغي ان يسمى تدليس القطع من الرابعة توفي سنة١٩٠ ه وقيل بعدها .

٩٨ — « ع عمرو » بن حكام قال الحاكم كان يدلس عمن لم يسمع منه قال ابن المديني سمع في شبابه من شعبه فلما مات اخذ كتبه . قال ابو حاتم خرج الى خراسان ورجع فاخرج حديثا كثيرا عن شعبه فلم ينكر عليه الاحديث الزنجبيل قال عمرو بن حكام ثنا شعبه عن علي

ابن زيد عن ابى المتوكل عن ابى سعيد رضي الله عنه قال اهدى ملك الروم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدايا فكان فيها جرة زنجبيل فاطعم كل انسان قطعة واطعمني قطعة . قال الحافظ في لسانه هذا منكر من وجوه احدها انه لا يعرف ان ملك الروم اهدى شيئا للنبي صلى الله عليه وسلم . وثانيها ان هدية الزنجبيل من الروم الى الحجاز شيء ينكره العقل فهو نظير هدية التمر من الروم الى المدينة النبوية .وهو من الطبقة الخامسة ولم أجد له وفاة .

٩٩ — « عمرو » بن عبدالله ابو الحسن السبيعي الكوفي مشهور وهو تابعي ثقة وصفه النسائي وغيره بالتدليس . قلت واختلط بأخرة قال الذهبي في الميزان من أيمة التابعين وأثباتهم الا انه شاخ ونسى ولم يختلط وقد سمع منه سفيان بن عينية وقد تغير قليلا .

وقال العراقي في التبصرة ثقة احتج به الشيخان وقال الخليلي سماع ابن عينية منه بعدما اختلط ولم يخرج له الشيخان من رواية ابن عينية عنه شيئا انما اخرج له من طريقه الترمذي وكذلك النسائي في عمل اليوم والليلة . من الثالثة . اختلف في وفاته قيل في سنة ١٢٦ ﻫ وقيل سنة ٨ وقيل سنة ١٢٩ ﻫ .

١٠٠ — « ع عمرو » بن شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو ابن العاص السهمي تابعي صغير مشهور يروى عن ابيه عن جده وطاوس والربيّع بنت معوذ وعنه عمرو بن دينار مختلف فيه والاكثر على انه صدوق في نفسه وحديثه عن غير ابيه عن جده قوي . قال ابن معين إذا حدث عن ابيه عن جده فهو كتاب فمن ههنا جاء ضعفه واذا حدث عن سعيد ابن المسيب وسليمان بن يسار وعروة فهو ثقة . وقال ابو زرعة روي عنه الثقات وانما انكروا عليه كثرة روايته عن ابيه عن جده وقالوا إنما سمع احاديث يسيرة واخذ صحيفة كانت عنده فرواها وعامة المناكير في حديثه من رواية الضعفاء عنه وهو ثقة في نفسه وانما تكلم فيه بسبب كتاب عنده .

وقال ابن ابي خيثمة سمعت هارون بن معروف يقول لم يسمع عمرو من أبيه شيئا إنما وجده في كتاب أبيه . وقال ابن عدي روى ائمة الناس وثقاتهم وجماعة من الضعفاء الا ان احاديثه عن ابيه عن جده مع احتمالهم اياه لم يدخلوها في صحاح ما خرّجوا وقالوا هي صحيفة . فعلى مقتضى قول هولاء يكون تدليسا لأنه ثبت سماعه من ابيه وقد حدث عنه بشيء كثير مما لم يسمعه منه مما اخذه عن الصحيفة بصيغة « عن » وهذا احد صور التدليس من الثانية توفي سنة ١١٨ هـ .

١٠١ — « عمرو » بن دينار المكي الثقة المشهور التابعي اشار الحاكم في علومه الى انه كان يدلس من الاولى توفي سنة ١١٦ هـ .

١٠٢ — « عيسى » بن موسى ابو احمد التيمي من اهل بخارى يعرف بغنجار لحمرة وجنتيه صدوق لكنه مشهور بالتدليس عن الثقات ما حمله عن الضعفاء والمجهولين .

ذكرته في القاب المحدثين من الرابعة توفي في آخر سنة ١٨٦ هـ .

« بـــاب الفاء »

١٠٣ — « ع الفضل » بن دكين بن زهير ابو نعيم الكوفي مشهور من كبار شيوخ البخارى وصفه الحافظ احمد بن صالح المصري بالتدليس من الاولى مات سنة ١١٩ هـ .

« بـــاب القاف »

١٠٤ « قتادة » بن دعامة بكسر الدال المهملة السدوسي البصري صاحب انس بن مالك رضي الله عنه كان حافظ عصره ثقة ثبت يقال ولد أكمه وهو مشهور بالتدليس وصفه به النسائي وغيره وقد تقدم ان رواية عنه متصلة مطلقا عنعن ام لم يعنعن من الطبقة الثالثة توفي سنة ١١٧ هـ .

« بـــاب الكاف فارغ »

« بـــاب الـــلام فارغ »

« بـــاب الميم »

١٠٥ — « مبارك » بن فضالة البصري مشهور بالتدليس وصفه به ابو زرعة وابوداود والدارقطني وقد اكثر عن الحسن البصري مات سنة ١٦٦ هـ. على الصحيح من الطبقة الثالثة .

١٠٦ — « محرز » بضم الميم وسكون المهملة وكسر الراء بعدها زاي ابن عبدالله ابو رجاء الجزري من اتباع التابعين وصفه ابن حبان بالتدليس في ثقاته من الثالثة .

١٠٧ — « مالك » بن انس الامام المشهور قال الحافظ ابن حجر يلزم من جعل التسوية تدليسا ان يذكره في المدلسين لأنه كان يروى عن ثور بن زيد حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما وكان يحذف عكرمة وقع ذلك في غيرما حديث في الموطأ يقول عن ثور عن ابن عباس رضي الله عنهما ولا يذكر عكرمة وكذا كان يسقط عاصم بن عبد الله من اسناد آخر ذكر ذلك الدارقطني . انتهى كلام الحافظ في رسالة التدليس .

قلت وانكر ابن عبدالله في مقدمة تمهيده ان يكون ما ذكر تدليسا بل هو ارسال والتحقيق انه متى قيل تدليس التسوية فلا بد وان يكون كل من الثقات الذين حذفت بينهم الوسائط في ذلك الاسناد قد اجتمع الشخص بشيخ شيخه في ذلك الحديث . واذا قيل تسوية بدون لفظ التدليس لم يحتج الى اجتماع احد منهم بمن فوقه كما فعل الامام مالك فانه لم يقع في التدليس اصلا ووقع في هذا النوع وهو التسوية واما تدليس التسوية فلم يقع فيه كما قاله السيوطي في تدريبه .

واما روايته عن ثور عن ابن عباس رضي الله عنهما فهذا لا يسمى تدليسا عند أهل التحقيق لأن ثور لم يلقه مالك بن انس امام دار الهجرة في وقته وانما روى عن عكرمة عنه فاسقط عكرمة لأنه غير حجة عنده فعلى هذا

يفارق المنقطع بأن شرط الساقط هنا ان يكون ضعيفاً فهو منقطع خاص من الطبقة الاولى ولد الامام سنة ٩٣ هـ وحملت به أمه ثلاث سنين وتوفي سنة ١٧٩ هـ ودفن بالبقيع .

١٠٨ – « مالك » بن سليمان الهروي قاضي هراة ضعفه النسائي هكذا قال الحافظ في كتاب التدليس . وفي الميزان قال العقيلي فيه نظر وضعفه الدارقطني ايضا ووصفه ابن حبان بالتدليس من الخامسة .

١٠٩ – « محمد » بن اسحاق بن يسار المطلب المدني صاحب المغازي صدوق مشهور بالتدليس عن الضعفاء والمجاهيل وعن شر منهم وصفه بذلك الامام احمد والدارقطني وغيرهما من الرابعة توفي سنة ١٥١ هـ .

١١٠ – «محمد » بن الحسين البخاري يروى عن وكيع وغنجار وعنه ولداه عمر وابراهيم يعتبر حديثه اذا بيّن السماع قال ابن حبان ومقتضى هذا أنه كان مدلسا من الثالثة .

١١١ – « محمد » بن حماد الطهراني بكسر الطاء المهملة يروى عن عبد الرزاق اشار ابو محمد بن حزم الظاهري الى أنه دلس حديثا من الثانية توفي سنة ١٥١ هـ .

١١٢ – « محمد » بن خازم بمعجمتين الكوفي ابو معاوية الضرير مشهور بكنيته معروف بسعة الحفظ اثبت اصحاب الأعمش فيه وصفه الدارقطني واحمد بن ابي طاهر من الثانية مات سنة ١٩٥ هـ

١١٣ – « محمد » بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري الامام صاحب الصحيح وصفه بالتدليس ابو عبدالله بن منده في كلام له اعنى في جزء له في شروط الأيمة في القراءة والسماع والمناولة والاجازة قال فيه ما نصه اخرج البخاري « قال فلان » وهو تدليس ولم يوافق ابن منده على ذلك احد.

قال الحافظ والذي يظهر انه يقول فيما لم يسمع « قال » وفيما سمع لكن لا يكون على شرطه او موقوفا قال لي او قال لنا يعني ان البخاري لا

يقول ذلك الا فيما حمله مذاكرة وهو محتمل لكنه ليس يطرد لأنه وجد كثير مما قال فيه « قال لنا » في الصحيح قد اخرجه في تصانيف اخرى بصيغة « حدثنا وقد عرف ذلك بالاستقراء من صنيعه . »

قال ابو الحسن بن القطان واما البخاري فذلك باطل عنه ومن الادلة على بطلان كلام ابن منده هذا في الامام البخاري انه قد ضم معه الامام مسلما في ذلك ولم يقل مسلم في صحيحه بعد المقدمة عن احد من شيوخه « قال فلان » وانما روى عنهم بالتصريح فهذا يدلك قطعا على توهين كلام ابن منده بل على بطلانه من الطبقة الاولى قضى نحبه سنة ٢٥٦ هـ ليلة عيد الفطر وكان مولده سنة ١٩٤ هـ

١١٤ ــ « محمد » بن صدقة الفدكي ابو عبدالله سمع مالك بن أنس وعنه ابراهيم بن المنذر الحزامي ذكره ابن الاثير في اللباب وقال انه كان مدلسا ووصفه بذلك قبله ابن حبان والدارقطني من الثالثة .

١١٥ ــ « محمد » بن عجلان المدني تابعي صغير مشهور من شيوخ الامام مالك بن أنس وصفه ابن حبان بالتدليس وذكر محمد بن ابي حاتم حديثه عن الاعرج عن ابي هريرة « المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير » فقال انما سمعه من ربيعة بن عثمان عن الاعرج . قال العلائي في جامع التحصيل في المراسيل قلت رواه عبدالله بن ادريس عن ربيعة بن عثمان عن محمد بن يحيى بن حبان عن الاعرج من الطبقة الثالثة وهذا ممن حمل به ثلاث سنين وتوفي سنة ١٤٨ هـ .

١١٦ ــ « محمد » بن عيسى بن نجيح ابو جعفر بن الطباع ثقة مشهور قال صاحبه أبو داود كان مدلسا وكذا وصفه الدارقطني من الثالثة مات سنة ٢٢٤ هـ .

١١٧ ــ « محمد » بن عيسى بن القاسم بن سميع ذكر ابن حبان انه روى حديث مقتل عثمان رضي الله عنه عن ابن ابي ذئب قال ولم

يسمعه منه وإنما سمعه من إسماعيل بن يحيى أحد الضعفاء عنه وكذلك قال صالح بن محمد وغيره قال الحافظ دمشقي فيه ضعف وصفه ابن حبان بالتدليس من الرابعة مات سنة ٢٠٤ ﻫ

١١٨ – « محمد » بن عبد الرحمن الطفاوي من أتباع التابعين وصفه الامام احمد والدارقطني بالتدليس من الثالثة قال ابن قانع مات سنة ١٨٩ ﻫ .

١١٩ – « محمد » بن عبد الملك الواسطي الكبير ابو اسماعيل روى عن اسماعيل بن ابي خالد وطبقته وعنه وهب بن بقية وصفه ابن حبان بالتدليس وكذا اطلقه عليه الذهبي في تذهيب التهذيب من الطبقة الثالثة مات بعد المائة .

١٢٠ – « محمد » بن كثير الصنعاني قال العقيلي في ترجمة عمر ابن الاموي احد الضعفاء روى الثوري عن ابي حزام عن سهل حديث « ازهد في الدنيا » قال هذا لا اصل له عن الثوري وقد تابعه عليه محمد بن كثير الصنعاني عن الثوري ولعله اخذه عنه ودلسه لان المشهور به خالد قال البخاري لين جدا من الخامسة مات سنة ٢١٦ ﻫ .

١٢١ – « محمد » بن محمد بن سليمان الباغندي الحافظ المعمرة قال البرهان الحلبي فيما نقله عن الاسماعيلي وغيره انه مدلس . وقال زميله الحافظ بن حجر مشهور بالتدليس مع الصدق والامانة قال ابن المظفر لا ينكر منه الا التدليس وهو اول من احدث التدليس ببغداد ومن دلس من أهلها إنما تبعه في ذلك كما تقدم في المقدمة من الثالثة .

١٢٢ – « محمد » بن عمران بن موسى المرزباني الكاتب الاخباري كان يطلق التحديث والاخبار في الاجازة ولا يبين ذكر ذلك الخطيب وغيره من الطبقة الاولى .

١٢٣ – « محمد » بن مسلم بن تدرس ابو الزبير المكي من التابعين مشهور بالتدليس قال سعيد بن ابي مريم حدثنا الليث بن سعد قال

جئت ابا الزبير فدفع اليّ كتابين فانقلبت بهما ثم قلت في نفسي لو أني عاودته فسألته اسمع هذا كله من جابر قال فسألته فقال منه ما سمعت ومنه ما حدثت عنه فقلت له اعلم لي ما سمعته منه فاعلم لي على هذا الذي عندي . ولهذا توقف جماعة من الأيمة عن الاحتجاج بما لم يروه الليث عن ابي الزبير عن جابر بلفظ « عن » وفي صحيح مسلم عدة احاديث مما قال فيها ابو الزبير عن جابر وليست من طريق الليث وكأن مسلماً رحمه الله إطلع على أنها مما رواه الليث عنه ولم يروها من طريقه والله أعلم من الثالثة قال ابن المديني مات سنة ١٢٨ ﻫ .

١٢٤ — « محمد » بن مسلم بن عبيدالله بن شهاب الزهري الفقيه المدني نزيل الشام مشهور بالامامة والجلالة من التابعين وصفه الشافعي والدارقطني وغير واحد بالتدليس ولكن قال البرهان في التبيين في أسماء المدلسين قد قبل الأيمة قوله « عن » من الطبقة الثالثة قال ابراهيم بن سعد مات الزهري سنة ١٢٤ ﻫ .

١٢٥ — « محمد » بن مصطفى قال ابو حاتم بن حبان سمعت الحسن بن جوصا يقول سمعت ابا زرعة الدمشقي يقول كان صفوان بن صالح ومحمد بن مصطفى يسويان الحديث كبقية بن الوليد ذكره في آخر مقدمة الضعفاء وقد سبق الكلام على صفوان بن صالح في باب الصاد المهملة مـــن الثالثة .

١٢٦ — « محمد » بن خنيس العابد قال ابن حبان يعتبر حديثه اذا بيّن السماع في روايته من الطبقة الاولى تأخر الى ما بعد العشرين ومائتين .

١٢٧ — « محمد » بن يوسف بن مسدى بضم الميم على وزن اسم الفاعل من الرباعي الحافظ الاندلسي نزيل مكة في المائة السابعة قال الحافظ كان يدلس الاجازة وله معجم مشهور من الطبقة الاولى توفي سنة ٦٦٣ ﻫ .

١٢٨ — « مخرمة » بن بكير بن عبدالله بن الاشج قال ابن المديني سمع من ابيه قليلا وقيل لم يسمع شيئا وقد حدث عنه بالكثير وقال ابو

داود لم يسمع منه الا حديث الوتر وصفه الحافظ بالتدليس وقال الامام مالك بن انس حلف لي مخرمة أنه سمع من ابيه وقال موسى بن سلمة قلت لمخرمة بن بكير سمعت من ابيك فقال لي لم أدري ابي وهذه كتبه من الطبقة الاولى مات سنة ١٥٩ هـ .

١٢٩ — « مرورن » بن معاوية الفزاري من اتباع التابعين كان مشهورا بالتدليس وكان يدلس الشيوخ أيضا قال ابن معين ما رءيت احيل للتدليس منه وكذا وصفه الدارقطني به من الثالثة توفي فجأة سنة ١٩٣ هـ .

١٣٠ — « مسلم » بن الحجاج القشيري النيسابوري الامام المشهور صاحب الصحيح قال ابن منده إنه كان يقول فيما لم يسمعه من مشايخه « قال لنا فلان » وهو تدليس وقد رد الحافظ العراقي والحافظ ابن حجر هذا القول من ابن منده وهو كما قالا وقد تقدم بطلانه عند الكلام على الامام البخاري من الاولى توفي لخمس بقين من رجب سنة ٢٦١ وله سبع وخمسون سنة .

١٣١ — « مصعب » بن سعيد ابو خيثمة المصيصي اصله من خراسان روى عن ابن خيثمة الجعفي وابن المبارك وغيرهما وعنه الحسن بن سفيان وابو حاتم الرازي وجماعة قال ابن عدي كان يصحف وقال ابن حبان في ثقاته كان يدلس وتوفي آخر عمره من الثالثة .

١٣٢ — « المغيرة » بن مقسم بكسر الميم الاولى الضبي الكوفي صاحب ابراهيم النخعي ثقة مشهور وصفه النسائي بالتدليس وحكاه العجلي عن ابن فضيل وقال ابو داود كان لا يدلس وكأنه اراد ما حكاه العجلي انه كان يرسل عن ابراهيم فاذا وقف اخبرهم ممن سمعه وقال احمد بن حنبل وعامة حديثه عن ابراهيم مدخول انما سمعه من حماد ومن يزيد بن الوليد والحارث العكلي وجعل احمد يضعفه عن ابراهيم من الثالثة قال الامام احمد توفي سنة ١٣٣ .

١٣٣ — «مقاتل» بن حيان النبطي ابو بسطام مولى لبكر بن وائل لا يصح له عن صحابي لُقي انما تلك اخبار مدلسة كان يسكن مرو مدة

وبلخ زمانا وله بمرو خطه وكان ممن عنى بعلم القرءان وواظب على الورع في السر والاعلان وهم اخوة اربعة مقاتل هذا والحسن ويزيد ومصعب بنو حيان من الطبقة الاولى ومات بكابل عاصمة افغانستان وكان قد هرب من ابي مسلم اليها هكذا قال ابن حبان في مشاهير علماء الامصار . قال الحافظ مات قبل الخمسين وماية بأرض الهند .

١٣٤ — « مكحول » الشامي الفقيه المشهور تابعي يقال انه لم يسمع من الصحابةالا عن نفر قليل ووصفه بالتدليس ابن حبان وكذلك اطلق عليه الذهبي انه كان يدلس وقال الحافظ ولم أر هذا للمتقدمين الا في قول ابن حبان من الثالثة توفي سنة ١١٣ ه .

١٣٥ — « موسى » بن عقبة المدني تابعي صغير ثقة متفق عليه وصفه الدارقطني واشار الى ذلك الاسماعيلي قال العلائي في جامع التحصيل وهذا بعيد يعني قول الاسماعيلي يقال لم يسمع من الزهري شيئا لأن البخاري لا يكتفي بمجرد إمكان اللقاء ثم قال ولم أر من ذكر موسى بن عقبة بالتدليس غير الاسماعيلي وهذا يدل على ان العلائي لم يقف على قول الدارقطني الذي ذكره الحافظ قال البرهان في التبيين قد نظم الامام ابو محمود تلميذ الحافظ الذهبي في المدلسين وقال ثم ابن عقبة عن الزهري روى . وقال في البخاري سوى . وقيل لم يسمعه منه فاعلم . والحمد لله بـــه فلنختم .

ثم قال البرهان وانا استبعد ان يكون ابن عقبة لم يسمع من الزهري وكلاهما مدني وقد رءى ابن عقبة جماعة من الصحابة وسمع من ام خالد امة بنت خالد بن سعيد بن العاص الصحابية وقد توفي الزهري باطراف الشام بقرية يقال لها شغب بفتح اوله وسكون ثانيه قرية خلف وادي القرى كانت للزهري وبها قبره . وابدا بالفتح والقصر واد قرب ايلة من ساحل البحر وقيل بوادي القرى مات سنة ١٢٤ وهو ابن اثنتين وسبعين سنة وابن عقبة توفي سنة ١٤١ ه كذا أرخه غير واحد وقيل سنة ثلاثين وفي ثقات ابن حبان القول الاول وقيل سنة ١٣٥ ه وقد نقل الذهبي في تذهيبه والظاهر

انه في التهذيب للحافظ المزي عن ابن معين انه قال كتاب موسى بن عقبة عن الزهري من اصح هذه الكتب ثم قال البرهان رءيت في الاستيعاب ما قد يشهد لقول الاسماعيلي وذلك لأنه ذكر ابو عمر في استيعابه في ترجمة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها ما نصه فلم يقم موسى المعنى وجاء فيه بالمقاربة وليس موسى بن عقبة في ابن شهاب بحجة إذا خالفه غيره ومما يرد ويزيق ما قيل في ابن عقبة ما في كتاب المحدث الفاصل لمحمد بن خالد الرامهرمزي حدثنا محمد بن مكرم ثنا احمد بن محمد المقدمي ثنا الفروي قال سمعت الامام مالك بن أنس يقول دخلت انا وموسى بن عقبة ومشيخة كثيرة على ابن شهاب فسألنا شاب منهم عن حديث فقال تركتم العلم حتى اذا كنتم كالشن وقد وهى طلبتموه لاجئتم والله بخير أبدا من الطبقة الاولى وقد تقدم انه مات سنة ١٤١ ه .

١٣٦ — « ميمون » بن ابي شبيب متكلم فيه قال البرهان لم أر احدا من الحفاظ وصفه بالتدليس غير أني رءيت بخط بعض فضلاء الحنفية الفقهاء حاشية في اوائل صحيح مسلم قال قيل ميمون بن ابي شبيب يدلس وقد روى عن المغيرة بالعنعنة فلا تقبل روايته قلنا مسلم إنما رواه عنه استشهادا بعد ان رواه من حديث ابن ابي ليلى عن سمرة . وما ادري من اين اخذ هذا ثم مر بي نقل ذلك عن اثنين من الحفاظ وما ادري أين مر بي .

ويعني البرهان بقوله في اوائل صحيح مسلم ما رواه مسلم في مقدمة صحيحه حيث قال عن حبيب بن ابي ثابت عن ميمون بن ابي شبيب عن المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال من حدث عني بحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين » ذكر هذا الحديث استشهادا بعد ان رواه عن عفان بن مسلم ثنا شعبة عن الحكم عن عبد الرحمن ابن ابي ليلى عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من روى عني حديثا وهو يدري انه كذب فهو احد الكاذبين » .

قال الحافظ في تقريبه ميمون صدوق كثير الارسال وقال في الاصل

قال ابو داود لم يدرك عائشة رضي الله عنها وقال ابن خراش لم يسمع من علي رضي الله عنه وصحح له الترمذي روايته عن ابي ذر من الاولى قتل في الجماجم .

١٣٧ — « ميمون » بن موسى المرئي نسبة الى امرئي القيس بطن من مضر صاحب الحسن البصري قال الامام احمد بن حنبل والنسائي والدارقطني كان يدلس من الطبقة الثالثة لم اجد له وفاة .

« بـــاب النون فارغ »

« بـــاب الهاء »

١٣٨ — « هشام » بن حسان البصري وصفه بالتدليس علي ابن المديني وابو حاتم قال جرير بن حازم قاعدت الحسن سبع سنين ما رءيت هشاما عنده قيل له قد حدث عن الحسن بأشياء فممن تراه اخذها قال من حوشب اراه . وقال ابن المديني كان اصحابنا يثبتون حديثه ويحيى ابن سعيد يضعف حديثه عن عطاء وكان الناس يرون انه ارسل حديث الحسن عن حوشب قال يحيى بن آدم حدثنا ابو شهاب قال لي شعبة عليك بحجاج ومحمد بن إسحاق فانهما حافظان واكتم على عند البصريين في خالد وهشام . وقال الذهبي وهذا قول مطروح وليس شعبة بمعصوم من الخطأ في اجتهاده وهذه زلة من عالم فإن خالدا الحذاء وهشام بن حسان ثقتان ثبتان والاخران فالجمهور على أنه لا يحتج بهما .فهذا هدبة بن خالد يقول عنك يا شعبة انك ترى الارجاء نسأل الله التوبة من الطبقة الثالثة مات سنة ١٤٨ ه .

« هشام » بن عروة بن الزبير بن العوام تابعي صغير مشهور ذكره بالتدليس ابو الحسن القطان وانكره الذهبي وابن القطان فإن الحكاية المشهورة عنه انه قدم العراق ثلاث مرات ففي الاولى حدث عن ابيه فصرح بسماعه وفي الثانية حدث بالكثير فلم يصرح . القصة

وهذه الحكاية تقتضي انه حدث عنه بما لم يسمعه منه وهذا هو

التدليس وقال ابن المديني سمعت يحيى بن سعيد يقول كان هشام بن عروة يحدث عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها قالت (ماخير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما وما ضرب بيده شيئا) . الحديث فلما سالته قال اخبرني أبي عن عائشة قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين لم اسمع من أبي الا هذا والباقي لم اسمعه انما هو عن الزهري . هكذا رواه الحاكم في علومه . وقال العلائي وفي جعل هشام بمجرد هذا مدلسا نظر وقال ولم أر من وصفه بالتدليس من الطبقة الاولى توفي سنة ١٤٥ وقيل سنة ٦ .

« هشيم » بن بشير الواسطي من اتباع التابعين مشهور بالتدليس مع ثقته وصفه النسائي وغيره به . ومن عجائبه في التدليس أن اصحابه قالوا له نريد ان لا تدلس لنا شيئا فواعدهم فلما اصبح املى عليهم مجلسا يقول في أول كل حديث منه حدثنا فلان وفلان عن فلان فلما فرغ قال هل دلست لكم اليوم شيئا قالوا لا قال فإن كل شيء حدثتكم عن الاول سمعته وكل شيء حدثتكم عن الثاني فلم اسمعه منه قال الحافظ فهذا ينبغي ان يسمى بتدليس العطف من الثالثة .

« الهيثم » بن عدي الطائي اتهمه البخاري بالكذب وتركه النسائي وغيره وقال احمد كان صاحب اخبار وتدليس من الطبقة الخامسة .

« بـــاب الواو »

« الوليد » بن مسلم الدمشقي معروف موصوف بالتدليس الشديد مع الصدق ويعاني التسوية التي تقدمت صفتها وحكمها .

واما الوليد بن مسلم ابو بشر العنبري فتابعي ثقة بصري . فالدمشقي من الطبقة الرابعة قال دحيم مات سنة ١٩٥ هـ .

« بـــاب لا »

« لاحق » بن حميد ابو مجلز بكسر الميم البصري التابعي المشهور صاحب انس مشهور بكنيته اشار ابن ابي خيثمة عن ابن معين الى انه

كان يدلس وجزم بذلك الدارقطني من الاولى قال خليفة في تاريخه توفي سنة ١٠٦ هـ .

« بــاب الياء »

« يحيى » بن ابي حية ابو جناب الكلبي ضعفوه قال ابو زرعة وابو نعيم وابن نمير ويعقوب بن سفيان والدارقطني وغير واحد كان مدلسا من الخامسة قال ابن سعد مات سنة ١٤٧ هـ .

« يحيى » بن سعيد بن قهد بالقاف في اوله بن قيس الانصاري المدني تابعي صغير مشهور وصفه بالتدليس علي بن المديني فيما ذكره عبد الغني بن سعيد الازدي وكذا وصفه به الدارقطني ونقله الذهبي في الميزان عن عبد الغني في ترجمته محمد بن عمرو بن علقمة من الاولى قال القطان توفي سنة ١٤٣ هـ .

« يحيى » بن ابي كثير اليمامي من صغار التابعين حافظ مشهور كثير الارسال ويقال لم يصح له سماع من صحابي وصفه النسائي بالتدليس من الثانية قال الفلاس توفي سنة ١٢٩ هـ .

« يزيد » بن ابي زياد الكوفي من اتباع التابعين تغير في آخر عمره وضعف بسبب ذلك وصفه الدارقطني والحاكم وغيرهما بالتدليس من الثالثة .

« يزيد » بن عبد الرحمن ابو خالد الدالاني مشهور بكنيته وهو من أتباع التابعين وثقه ابن معين وغيره ووصفه حسين الكلابيسي بالتدليس من الثالثة توفي سنة ١٠٠ هـ .

« يزيد » بن عبد الرحمن بن ابي مالك الهمذاني الدمشقي وصفه ابو مسهر بالتدليس من الثالثة توفي سنة ١٣٠ هـ .

« يزيد » بن هارون الواسطي احد الاعلام من اتباع التابعين قال ما دلست قط الا في حديث واحد عن عون فما بورك لي فيه من الاولى قال يعقوب بن شبية توفي سنة ٢٠٦ هـ .

حكم العمل بالحديث الضعيف

بقلم الشيخ علي مشرف المدرس بالمعهد الثانوي

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، (رواه أحمد واصحاب السنن الستة وغيرهم) وقال صلى الله عليه وسلم : من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين ، رواه مسلم .

عندما يسمع المؤمن مثل هذين الحديثين ترتعد فرائصه خشية أن يكون أحد هذين الرجلين :

أولهما : الكاذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وثانيهما : الناقل للحديث المكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأما تعمد الكذب على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فلا يقع فيه المؤمن الصادق في إيمانه والذي ليس له هوىً يقوده إلى القول عليه ما لم يقله خصوصاً إذا سمع مثل هذا الوعيد الشديد أما الناقلون للحديث المكذوب على رسول الله — فما أكثرهم ويا للاسف — ويا ليت هذا مقتصر على طلاب العلم الصغار ولكن لا تكاد تسمع عالماً يتكلم في مسألة علمية ولا واعظاً يعظ ولا كاتباً يكتب إلا ويتحدث بالمكذوب أو بالضعيف دون أن يبين درجته — بل لا يكتفي بقوله يروي وإنما يقول قال رسول الله جازماً أنه قال ، وهذا داء مستفحل في كثير من علماء المسلمين وخصوصاً المتأخرين منهم ، وهذا منشوؤه إما التكاسل عن البحث في سند الحديث والكشف عن صحته . أو التعصب الاعمى لمذهب معين فهم سمعوا الناس

قالوا شيئاً فقالوه دون أن يبحثوا في ما قيل لهم هل هو ثابت أم لا ؟

وإذا ناقشت أحدهم في حديث ما قال هذا في فضائل الاعمال ثم احتج عليك بقول بعض الأيمة ـ إذا جاء الحلال والحرام شددنا في الاسانيد وإذا جاء الترغيب والترهيب تساهلنا في الاسانيد ، دون أن يعرف مدلول هذه العبارة من هؤلاء الإيمة وهذه العبارة هي : منسوبة إلى الامام أحمد بن حنبل وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الله ابن المبارك ، ولو عرف هؤلاء مدلول هذه العبارة لما سولت لهم أنفسهم أن يحتجوا بهذا في إثبات حجتهم في العمل بالحديث الذي لاتقوم به حجة حتى ولو في فضائل الاعمال ، دون أن يدققوا النظر في معنى الضعيف عند هؤلاء الايمة والذي قالوا بالتساهل فيه في فضائل الاعمال إذا شئت أن تعرف مدلول هذه العبارة عندهم فإليك أقوال بعض المحققين من العلماء . في مدلولها لدى أولئك الأيمة قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الفتاوي (ج ١٨ ص ٦٥) قول أحمد إذا جاء الحلال والحرام شددنا في الاسانيد وإذا جاء الترغيب والترهيب تساهلنا في الاسانيد وكذلك ما عليه العلماء بالعمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال ليس معناه إثبات الاستحباب بالحديث الذي لا يحتج به ، فإن الاستحباب حكم شرعي فلا يثبت إلا بدليل شرعي ، ومن أخبر عن الله أنه يحب عملاً من الاعمال من غير دليل شرعي فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله كما لو أثبت الإيجاب أو التحريم ،

وقال ابن القيم في إعلام الموقعين (ج ١ ص ٣١) ليس المراد بالضعيف عند أحمد الباطل ولا المنكر ولا ما في روايته متهم لا يسوغ الذهاب إليه والعمل به ، بل الحديث الضعيف عنده قسم من الصحيح وقسم من أقسام الحسن ولم يكن يقسم الحديث الى صحيح وحسن وضعيف بل إلى صحيح وضعيف ، وللضعيف عنده مراتب ، وقال العجاج في التعليق على هذه العبارة ـ وفي بعض الضعيف عند أحمد الحسن في اصطلاح من جاء بعده ، وقال طاهر الجزائري في كتابه توجيه النظر إلى أصول الأثر ، ص ٢٩٢

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب منهاج السنة النبوية ـ إن قولنا

إن الحديث الضعيف خير من الراي ليس المراد به الضعيف المتروك لكن المراد به الحسن كحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وحديث إبراهيم الهجري ممن يحسن الترمذي حديثه أو يصححه وكان الحديث في إصطلاح من قبل الترمذي إما صحيح وإما ضعيف ، والضعيف نوعان ضعيف متروك وضعيف ليس بمتروك فتكلم أئمة الحديث بذلك الاصطلاح فجاء من لا يعرف إصطلاح الترمذي فسمع قول بعض أئمة الحديث الضعيف أحب إلى من القياس فظن أنه يحتج بالحديث الذي يضعفه مثل الترمذي ، وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على أختصار علوم الحديث لابن كثير (ص ٩٢)

وأما ما قاله أحمد بن حنبل وعبد الرحمن بن مهدي وعبدالله بن المبارك — إذا روينا في الحلال والحرام شددنا وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا ، فإنما يريدون به فيما أرجح والله أعلم أن التساهل إنما هو في الاخذ بالحديث الحسن الذي لم يصل إلى درجة الصحة فإن الاصطلاح في التفرقة بين الصحيح والحسن لم يكن في عصرهم متقرراً واضحاً بل كان أكثر المتقدمين لا يصف الحديث الا بالصحة أو الضعف فقطوقال الدكتور صبحي الصالح في كتابه علوم الحديث ومصطلحه ص (٢١٠) يتناقل الناس هذه العبارة « يجوز العمل بالضعيف في فضائل الاعمال » فيسوغون بها جميع ما يتساهلون في روايته من الاحاديث التي لم تصح عندهم ويدخلون في الدين كثيراً من التعاليم التي لا تستند إلى أصل ثابت معروف وإن هذه العبارة ليست على مر العصور أكثر من صدى لعبارة أخرى مماثلة لها منسوبة إلى ثلاثة من كبار أئمة الحديث وذكرهم مع قولهم السابق ، ثم قال — على أن عبارة هؤلاء الأئمة لم تفهم على وجهها الصحيح فغرضهم من التشديد ليس مقابلة أحدهما بالآخر كتقابل الصحيح بالضعيف في نظرنا نحن وإنما كانوا إذا رووا في الحلال والحرام يشددون فلا يحتجون إلا بأعلى درجات الحديث وهو المتفق في عصرهم على تسميته بالصحيح فإن رووا في الفضائل ونحوها مما لا يحتمل الحل والحرمة لم يجدوا ضرروة للتشدد وقصر

مروياتهم على الصحيح بل جنحوا إلى ما هو دونه في الدرجة وهو الحسن الذي لم تكن تسميته قد استقرت في عصرهم وإنما كان يعتبر قسماً من الضعيف في إصطلاح المتقدمين وإن كان في نظرهم أعلى درجة مما اصطلح بعدهم على وصفه بالضعيف ، ولو أن الناس فهموا أن تساهل هؤلاء الأئمة في الفضائل إنما يعني أخذهم بالحديث الحسن الذي لم تبلغ درجته الصحة ، لما طوعت لهم أنفسهم أن يتناقلوا تلك العبارة السابقة يجوز العمل بالضعيف في فضائل الاعمال . فمما لا ريب فيه في نظر الدين أن الرواية الضعيفة لا يمكن أن تكون مصدراً لحكم شرعي ولا لفضيلة خلقية لأن الظن لايغني من الحق شيئاً ، والفضائل كالاحكام من دعائم الدين الاساسية ولا يجوز أن يكون بناء هذه الدعائم واهياً على شفا جرف هار ، لذلك لا نسلم برواية الضعيف في فضائل الأعمال ولو توافرت له جميع الشروط التي لاحظها المتساهلون في هذا المجال وذكر الشروط — ثم قال : لا نسلم برواية الضعيف رغم هذه الشروط لأن لنا مندوحة عنه مما ثبت لدينا من الاحاديث الصحاح والحسان وهي كثيرة جداً في الاحكام الشرعية والفضائل الخلقية — ولأننا رغم توافر هذه الشروط لا نؤنس من أنفسنا الاعتقاد بثبوت الضعيف ولولا ذلك لما سميناه ضعيفاً وإنما يساورنا دائماً الشك في أمره ولا ينفع في الدين إلا اليقين ، انتهى كلامه . هذه أقوال بعض العلماء في مدلول كلمة أولئك الأئمة ،

ولقد شنع الامام مسلم في مقدمة صحيحه على رواة الاحاديث الضعيفة فقال : اعلم وفقك الله تعالى إنه يجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الرواية وسقيمها وثقات الناقلين لها من المتهمين أن لا يروى منها إلا ما عرف صحة مخارجه والستارة في ناقليه وأن ينفي منها ما كان عن أهل التهم والمعاندين من أهل البدع والدليل على أن الذي قلنا من هذا هو اللازم دون ما خالفه قول الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا— الآية وقوله — ممن ترضون من الشهداء ، وقوله سبحانه — وأشهدوا ذوي عدل منكم ، فدل بما ذكرنا من هذه الآى أن خبر الفاسق ساقط غير مقبول —

وقد أطال الامام مسلم في التشنيع على رواة الاحاديث الضعيفة والمنكرة في مقدمة صحيحة من أراد ذلك فليرجع إليه فإنه مفيد ،

وقد نقل القاسمي في كتابه قواعد التحديث ص ١١٣ الذين قالوا لا يعمل بالحديث الضعيف لا في الاحكام ولا في الفضائل . قال حكاه ابن سيد الناس في عيون الاثر عن يحيى بن معين ونسبه في فتح الغيث لابي بكر بن العربي ثم قال والظاهر أن مذهب البخاري ومسلم ذلك أيضا . يدل عليه شرط البخاري في صحيحه وتشنيع الامام مسلم على رواة الضعيف كما أسلفناه — وعدم إخراجهما في صحيحهما شيئاً منه وهذا مذهب ابن حزم رحمه الله أيضا حيث قال في الملل والنحل ص ٨٣ م ٢ مانقله أهل المشرق والمغرب أو كافة عن كافة أو ثقة عن ثقة حتى يبلغ الى النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن في الطريق رجلاً مجروحاً بكذب أو غفلة أو مجهول الحال . فهذا يقول به بعض المسلمين ولا يحل عندنا القول به ولا تصديقه ولا الأخذ بشيء منه انتهى . وقال الشيخ محمد ناصر الدين الالباني في كتابه صحيح الجامع الصغير . ج١ ص ٤٥ قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في شرح الترمذي (ق ١١٢ — ٢) «وظاهر ما ذكره مسلم في مقدمة كتابه ، يعني الصحيح يقتضي أنه لا تروى أحاديث الترغيب والترهيب إلا عمن تروى عنه الاحكام » قال الشيخ ناصر . قلت : وهذا الذي أدين الله به وأدعوا الناس إليه ، أن الحديث الضعيف لا يعمل به مطلقاً لا في الفضائل والمستحبات ولا في غيرهما ذلك لأن الحديث الضعيف إنما يفيد الظن المرجوح بلا خلاف أعرفه بين العلماء وإذا كان كذلك فكيف يقال يجوز العمل به ، والله عز وجل قد ذمه في غير ما آية من كتابه — فقال تعالى (إن الظن لا يغني من الحق شيئاً) وقوله (إن يتبعون إلا الظن) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث — متفق عليه . ثم قال واعلم أنه ليس لدى المخالفين لهذا القول الذي اخترته أي دليل من كتاب ولاسنة — وقد أطال البحث في هذه المسألة في كتابه المشار اليه ، وقال في كتابه صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ص ٧ قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم اتقوا الحديث عني إلا مـا علمتم ، فإذا نهي عن رواية الحديث الضعيف فبالأحرى العمل بـه ، والحديث رواه ت ، حم وغيرهما صحيح.

هذه بعض أقوال العلماء في عدم العمل بالحديث الضعيف مطلقا لا في الفضائل ولا في غيرها فعلى المؤمن إذا أراد أن يستدل بحديث في مسألة من المسائل أن يصحح ما سيبني عليـه مسألته يقول الاستاذ سعيد حوى في كتابه المسمى الرسول صلى الله عليه وسلم ص ٤٧ ج ١ الملاحظة الأولى أن معرفة صحة الحديث وتأكيد ثبوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبغي أن يسبق دراسة المضمون لأن كثيراً من الكلام دس عليه وقد قـام العلماء بتمحيص الصحيح من كل ما روى عنه صلى الله عليه وسلم فلا بد من الرجوع إلى ما أثبتوه أولاً ليكون تحليل المضمون قائماً على أساس سليم ، وينبغي أن يتوفر هذا في كل دراسة لها علاقة برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى

إن على المؤمن أن يتحرى صحة الحديث وثبوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم هو المصدر الثاني من مصادر الاسلام فيجب أن يستدل بما ثبت منه سواء كان في فضائل الاعمال أو في غيرها والفضائل كالاحكام من دعائم الدين وهي من الاحكام الخمسة المعروفة في أصول الفقه ، ولان البدع والخرافات وغيرها لم يأت غالبها إلا عن طريق الاحاديث الواهيـة أو الموضوعة أو الضعيفة ولو تتبعت ذلك لوجدت أن كل مخرف أو مبتدع إنما يستند إلى حديث موضوع أو ضعيف أو حكاية عن بعض الناس أو روءى منامية .

نسأل الله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه إنه على كل شيء قدير وصلى الله على نبينا محمداً وعلى آله وصحبه وسلـم .

كتاب اسرار الباطنية لمحمد بن مالك

(٤)

باب ذكر علي بن فضل بن احمدالجدني لعنه الله :

كان من خبره انه لما افتــــرق هووالمنصور بغلافقة وخرج الى اليمن ايضا وفيها جعفر بن ابراهيم المناخي وخرج الى جعفر من (ابين وفيها رجــل من الاصابح يقال له محمد بن ابى العلاءفخرج القرمطى الى جيشان ثـم خرج الى (سروبافع) فتفرسهم فعلم انهماسرع الناس الى اجابته فطلـع رأس جبل وبنى فيه مسجدا واخذ بالنسك والعبادة فكان نهـــاره صائما وليله قائما فأنسوا اليه وأحبوه وافتتنوا بهثم انهم قلدوه أمرهم وجعلوا حكمهم اليه فسألوه ان ينزل من ذلك الجبل وبسكن بينهم فقال لاافعل هذا ولست أسكن بين قوم جهال ضلال الا ان يعطونى العهود والمواثيق ان لايشربوا الخمر ففعلوا له ذلك وانهم ينكرون المنكر وينكرون اهل المعاصى باجمعهم فلم يزل يخدعهم بعبادتهحتى بلغ ارادته وأمرهم ببناء حصن في ناحية (سروبافع) فأطاعوه وسمعوا لأمره ثم انه انهبهم اطراف بلدان ابن ابي العلاء واراهم ان ذلك جهاد لأهل المعاصي حتى يدخلوا في دين الله طوعاً او كرها وأمرهم ان يتخطفوا بلاد ابن ابي العلاء فاشتد بأسهم فكانوا لا يلقون جمعا الا هزموا وظفروا عليهم وذلك لما سبق من علم الله من فتنة المسلمين على يديه لعنه الله فلما شاع ذكره وسمع به جعفر ابن ابراهيم كاتبه وفرح به وذلك لشحناء بينه وبين ابن ابي العلاء لقرب القرمطي اليه فكاتبه جعفر على مطابقته على حرب ابن ابي العلاء ووجه من عنده عسكرا الى القرمطي وتعاقدا ان يكون جميع ما يفتح من بلدان ابن ابي العلاء بينهما نصفين فخرج القرمطي لحرب ابن ابي العلاء بقبائل يافع وعسكر جعفر فهزمهم ابن ابي العلاء وقتل منهم قتلا كثيرا وانهزم القرمطي الى (سبأ صهيب) فلما كان الليل جمع اصحابه وقال لهم اني ارى رأيا صائبا ان القوم قد امنوا منا وقد علمتم

ما فعلوه بنا وارى ان نهجم عليهم فانا نظفر بهم فأجابوه الى ذلك وهجم عليهم الى (حنفر) فقتل ابن ابي العلاء وعسكره واستباح ماكان له واخذ من خزائنه تسعين ملحما في كل واحد عشرة آلاف فلما رجع الى بلاد يافع عظم شأنه وشاع ذكره وأجابه قبائل مذحج بأسرها وزبيد ومالا يحصى عدده فلما بلغ ذلك جعفر اغتم غما شديدا وسفر اليه ينظر ما عنده فسأله ان يقسم ما اخذ من (حنفر) فجمع القرمطي القبائل والعساكر ولقي السفير في اعظم زي من العدة والعدد فلما عرفه السفير بما جاء به جمع العساكر وقال ان جعفر ارسل الي لما بيني وبينه من العهد بقسمة ماغنمت وقد احضرتكم شهودا على تسليمه اليه لأني لا رغبة لي في المال انما قمت لنصرة الاسلام فشكروه على ذلك ثم احضر المال فقسمه شطرين وسلم الى السفير وقال انصرف الى صاحبك ليلتك وقل له يستعد لحربي وكتب معه كتابا اليه يذكره فيه انه بلغني ما انت عليه من ظلم المسلمين واخذ اموال الناس (آنا قمت لاميت المظالم وارد الحق الى اهله فان اردت تمام ما بيني وبينك فرد الظلامات الى اهلها وادفع لأهل دلال دية ماقطعت من ايديهم وذلك ان جعفرا قطع أيدي ثلاثمائة رجل من أهل دلال على حجر بالمذيخرة (١) يقال ان اثر الدم على الحجر الى اليوم فلما بلغه كتابه علم انه منابذة الحرب فقطع مكاتبته فلما كان العام المقبل خرج القرمطي بالجمع الكثير فدخل المعافر فأمر جعفر بلزوم نقيل بردان عند التعكر (٢) وخرج في لقائه اكثر من الف فارس فانهزم القرمطي موليا الى بلاد يافع فجمع جموعا كثيرة ورجع لهزم جموع جعفر الى المذيخرة فتتبعه القرمطي فدخل وانهزم جعفر الى تهامة فأقام القرمطي في مذيخرة فاستنجد جعفر بصاحب تهامة فأنجده بعسكر عظيم فطلع حتى صار في موضع يقال له الراهدة بناحية (عبهة) فلما سمع به القرمطي خرج اليه في جنح الليل فظفر به وقتل جعفرا في الحوالة بنحلة .

١- المذيخرة : ناحية في قضاء العـــدين

٢- التعكر : حصن من أشهر حصون اليمن بجوار مدينة الجند .

قال محمد بن مالك الحمادي رحمه الله تعالى وكان هذا جعفر بن ابراهيم ظلوما غشوما سفاكا للدماء وانه قال في شعر له طويل قدر مائتي بيت في حرب كانت بينه وبين ابي جعفر الحوالي في شيء من شعره :

اذا ما تجعظروا بطشنا بقدرة ونفعل ما شئنا وما نتجعظر
فما قبلنا ولا بعد بعدنا لمفتخر فخرا اذا عد مفخر
سوى الطيبين الطاهرين الذين هم من الرجس والعاهات والسوء طهر
سلالة اسماعيل ذي الوعد والوفا ودعوة ابراهيم والبيت يعمر
محمد الهادي النبي وصنوه علي وسبطاه شبيرو (١) شبر
ونسلهم الهادين بالحق والتقي بطاعتهم رب السماوات يأمر
ومولاتي الزهراء التي عدل مريم وصهر الرسول مولاي حيدر
رويدك عني بالملامة انني بها وبهم أزهو وأعلو وأفخر
الا كل مجد ما خلا مجد أحمد وعترته من دون مجدي يقصر
وكل امرء والى سوى آل أحمد فذاك الذي الدنيا مع الدين يخسر
بهم زادني الرحمن عزا ومفخرا فأحمده حمدا كثيرا وأشكر
أنا ابن ابي اسحاق منصور حُمَّير وفارسها والشعشعان المظفر
فلولاي لم يخلق سرير ممهد ولولاي لم ينصب على الارض منبر
أنا قمر الدنيا وعمي سراجها وجدي الذي كانت به الارض تعمر
هم انزلوني منزل العز حيث لا يراني الا دوني الطرف يحسر
أصول ولا يعدى علي واعتدي وأخمد نيران الحروب وأسعر
وطعمي للاعداء مر وعلقم وطعمي لأهل السلم شرب معنبر
ألم تر ان البغي مهلك اهله وان الذي يبغي عليه سينصر

رجع الحديث الى علي بن فضل القرمطي لعنه الله انه لما قتل جعفرا اظهر كفره وادعى النبوة وأحل البنات والأخوات وفي ذلك يقول الشاعر على منبر الجامع في الجند :

١ـ هما اسمان لابني هارون عليه السلام ،ويقال ان النبى صلى الله عليه وسلم سمى بهما سبطية ٠

خذي الدف يا هذه والعبي (١)	وغــني هزاريك ثم اطربــي
تــولى نبي بــني هاشــم	وهــذا نبي بــني يعــرب
لكــل نبي مضــى شرعــة	وهــذي شرائــع هــذا النبي
فقد حط عنا فروض الصــلاة	وحــط الصيــام ولم يتعــب
اذا الناس صلوا فــلا تنهضي	وان صومــوا فكلي واشــربي
ولا تطلبي السعي عند الصفــا	ولا زورة القــــبر في يثــرب
ولا تمنعي نفســك المعرسـين	من اقــربي ومــن اجنبــي
فكيف تحلي لهــذا الغريب	وصــرت محرمــة لــلاب
اليس الغــراس لمــن ربــه	وسقــاه في الــزمن المجــدب
ومــا الخمر الا كمــاء السماء	حلالا فقــدست مــن مذهب

والشعر طويل وكله تحليل محرمات الشريعة والاستهانة بها ثم خرج يريد الحوالي وخرج قبل ذلك الى بلاد (يحصب « ٢ ») فدخل (منكث « ٣ ») فأحرقها ثم خرج يريد الحوالي صاحب صنعاء فلما بلغ بلد (عنس) وكان للحوالي مأمور في هران (٤) فأرسل اليه القرمطي يدخل فيها هم عليه فأجابه الى ذلك فنزل اليه ودخل في ملته وقرمطته وكان معه خمسمائة فارس رجع منهم الى صنعاء الى الحوالي مائة وخمسون وخرج القرمطي يريد صنعاء فلما سمع به الحوالي وبالجموع التي معه وعلم أنه لا طاقة له به خرج من صنعاء هاربا الى الجوف فدخل القرمطي صنعاء فأقام فيها الفحشاء وأمر الناس بحلق رؤوسهم ثم التقى هو وصاحب مسور الحسن بن منصور الى شبام فأقاما ، هنالك اياما وعلي بن فضل يكبر المنصور ويقول انما أنا سيف من اسيافك والمنصور يهابه ويخافه على نفسه لما يرى من شهامته واقدامه فعزم على الخروج الى مخاليف (البياض) فنهاه المنصور وقال له قد ملكنا اليمن بأسره ولم يبق الا الأقل فعليك بالتأني والوقوف في صنعاء سنة وأنا

١- فى نسخة اليافعى (واضربى) •ق •(٢) يحصب : مخلاف كبير من مخالف اليمن يضم كثيرا من القبائل اليمانية ومنه بلاد (تريم)و (عنس)و (صنعاء) و (همــــدان) •
(٣) بليدة فى بلاد عنس (٤) حصن من حصون ذمار فى اليمن •

في (شبام) فيصلح كل واحد ما استفتح ثم بعد ذلك يكون لنا نظر فانك ان خرجت من صنعاء خالف اهلها وفسد علينا ما ملكناه فلم يقبل منه وقال لا بد من الخروج واستفتح تهامة فخرج الى مخاليف البياض وهي بلاد وعرة فلما توسط بينهم ومعه قدر ثلاثين الفا احاطوا به وقطعوا عليه الطرق ولم يقدر على التخلص فلما سمع المنصور خاف عليه وأغار اليه واستنقذه فرجع الى شـبام وعـاد الى صنعاء وخرج الى جبـال حضور ثم الى احـراز ثم الى ملحـان ونزل المهجم وقتل صاحبها وهو ابراهيم بن علي رجل من عك (٢) واستفتح الكدرى (٣) ورجع الى ملحان (٤) وسرى بالليل الى زبيد وفيها المظفر بن حاج ومعه ستماية فارس وهجم عليهم في اربعين الفا فأحاط بعسكره فقتل المظفر بن حاج وكان المنصور مأموراً لصاحب بغداد وسبى القرمطي من زبيد أربعة آلاف عذراء ثم خرج منها الى الملاحيط وأمر صائحه وعسكره يا جند الله يا جند الله فلما اجتمعوا اليه قال قد علمتم أنا مجاهدون وقد اخذتم من نساء الحصيب ما قد علمتم من نساء الحصيب تفتن الرجال فيشغلنكم عن الجهاد فليذبح كل رجل منكم ما في يده فسميت الملاحيط المشاحيط لذلك ثم رجع الى مذيخرة دار مملكته وامر بقطع الحج وقال : حجوا الى الحرف واعتمروا الى الثاني موضعان معروفان هنالك .

فلما اصبحت اليمن بيده وقتل الاضداد مثل المناخي وجعفر بن الكرندي والرؤساء وطرد بني (زياد) وكانوا رؤساء مخلاف جعفر ولم يبق له ضد يناوئه عطل المنصور وخلع عبيد بن ميمون الذي كان يدعوا اليه فيكتب اليه المنصور يعاتبه ويذكره ما كان من احسان القداح وقيامه بأمرهما وما أخذ عليهما من العهد لابنه فام يلتفت الى قوله وكتب اليه انما هذه الدنيا شأن من ظفر بها افترسها ولى بأبي سعيد الجنابي أسوة لأنه خلع ميمونا وابنه ودعا الى نفسه وانا ادعو الى نفسي فاما نزلت على حكمي ودخلت في

٢ـ عك : قبيلة فى تهامة اليمن ٣ـ الكدرى: مدينة قديمة فى تهامة اليمن وقـد اندثرت
٤ـ ملحان : جبل من جبال السراة فى اليمن .

طاعتي والا خرجت اليك وقد كان (١) سعيد الجنابي دخل مكة في ذي الحجة سنة سبع عشرة وثلثمائة وقتل فيها ثلاثة عشر الفا وقطع الركن يوم النحر وهو القائل لعنه الله :

فلو كان هذا البيت لله ربنا ... لصب علينا النار من فوقنا صبا
لانا حججنا حجة جاهلية ... مجللة لم تبق شرقا ولا غربا
وانا تركنا بين زمزم والصفا ... كتائب لا تبغي سوى ربها ربا
ولكن رب العرش جل جلاله ... لم يتخذ بيتا ولم يتخذ حجبا

في شعر طويل (٢) . وقد كان الخليفة ببغداد كتب اليه يذكر له ما فعل ويتوعده على ما استحل فأجابه ابو سعيد (٣) القرمطي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ، من أبي الحسن (١) الجنابي الداعي الى تقوى الله القائم بأمر الله الآخذ بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قائد الأرجاس المسمى بولد العباس .

اما بعد عرفك الله مراشد الامور وجنبك التمسك بحبل الغرور — فأنه وصل كتابك بوعيدك وتهديدك وذكرك ما وضعته من نظم كلامك ونمت به من فخامة اعظامك من التعلق بالاباطيل والاصغاء الى فحش الاقاويل من الذين يصدون عن السبيل فبشرهم بعذاب اليم على حين زوال دولتك ونفاذ منتهى طلبتك وتمكن أولياء الله من رقبتك وهجومهم على معاقل اوطانك صغرا وسبيهم حرمك قسرا وقتل جموعك صبرا أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون وجند الله هم الغالبون هذا وقد خرج عليك الامام المنتظر كالاسد الغضنفر في سرابيل الظفر متقلدا سيف الغضب مستغنيا عن نصر

١ـ هكذا الاصل والصحيح (وقد كان ابوطاهر أخو سعيد) ·ز· (٢) ومن قوله :

أنا بالله وبالله أنا ... يخلق الخلق وأفنيهم انا

٣ـ هكذا فى الاصل وقد سبق انه قتل سنة ٣٠١ فالصواب (فأجابه ابو طاهر سليمان بن ابى سعيد) ·

العرب لا يأخذه في الله لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم قد اكتنفه العز من حواليه وسارت الهيبة بين يديه وضربت الدولة عليه سرادقا والقت عليه قناعها بوائقها وانقشعت طخاء الظلمة ودجنة الضلالة وغاضت بحار الجهالة ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون .

تا لله غرتك نفسك واطمعتك فيما لست نائله وسولت لك ما لست واصله فكتبت الي بما اجمعت عليه اذهان كتابك ذكرتني بالعيوب الشنيعة وقذفتني بالمقالب السمجة تالله لتسألن عما كنتم تعملون فأما ما ذكرت من قبل الحجيج واخراب الامصار واحراق المساجد فوالله ما فعلت ذلك الا بعد وضوح الحجة كايضاح الشمس وادعي طوائف منهم انهم أبرار ومعاينتي منهم اخلاق الفجار فحكمت عليهم بحكم الله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون .

خبرني ايها المحتج لهم والمناظر عنهم في اية آية من كتاب الله أو أي خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اباحة شرب الخمور وضرب الطنبور وعزف القيان ومعانقة الغلمان وقد جمعوا الاموال من ظهور الايتام واحتووها من وجوه الحرام .

وأما ما ذكرت من احراق مساجد الابرار فأي مساجد أحق بالخراب من مساجد اذا توسطتها سمعت فيها الكذب على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم بأسانيد عن مشايخ فجرة بما اجمعوا عليه من ضلالة وابتدعوا من الجهالة .

وأما تخويفك لي بالله وأمرك بمراقبته فالعجب من بهتك وصلابة حدقتك أترى أني اجهل منك وصرفك أموال المسلمين للصفاعنة والضراطين ومنعها عن مستحقيها . يدعي على المنابر للصبيان ويخطب للخصيان آلله اذن لكم أم على الله تفترون .

وأما ما ذكرت اني تسميت بسمة عدوان فليس بأعظم من تسميك بالمغيث بالله أمير المؤمنين أي جيش صدمك فاقتدرت عليه أم أي عدو

ساقك فابتدرت اليه لأنت أمير الفاسقين اولى بك من أمير المؤمنين وأنك لتقلد بعض خدمك شيئا من أمرك فيكتبه الشريف والرئيس بالسيد والمولى فأي الامرين أقرب للتقوى او ما علمت أنه من انقاد له نفر من عشيرته وعصابة من بني عمه واسرته فقد سادهم وعلا فيهم وبعد فما لك للوعيد والابراق والتهديد اعزم على ما أنت عليه عازم واقدم على ما أنت عليه قادم والله من ورائي ظهير وهو نعم المولى ونعم النصير والحمد لله وصلى الله على خير بريته وآله وعترته » .

قال محمد بن مالك الحمادي رحمه الله تعالى يرجع الحديث الى قصة صاحب مسور وعلي بن فضيل لعنهما الله تعالى .

وذلك ان صاحب مسور لما علم ان علي بن فضل غير تاركه لما ذكر في كتابه عمد الى جبل مسور فحصنه وأعد فيه جميع ما يحتاج اليه للحصار وقال لاصحابه اني لأخاف هذا الطاغية ولقد تبين لي في وجهه الشر حيث واجهته في « شبام » فلم يلبث علي بن فضل ان خرج لحرب المنصور واختار لحربه عشرة آلاف مقاتل من يافع ومذحج وزبيد وعنس وقبائل العرب فدخل قرية « شبام » وخرج المنصور بلقائه الف مقاتل الى موضع يقال له المصانع من بلد حُمَيْر فضبطوا ذلك الجبل فزحف اليهم فاقتتلوا من أول النهار الى الليل فخرج علي بن فضل على طريق العضد ودخل « لاعة » مصعدا الى جبل الجميمة مقاتلا للمنصور فضرب فيها مضاربه ورجع الى اصحاب حضور المصانع (١) فلزموا بيت ريبته وضبطوا الجبل فأقسم ان لا يبرح حتى يستنزل المنصور فحاصره ثمانية أشهر وقيل ان المنصور حمل من سوق طمام خمسمائة حمل ملح قبل وصول علي بن فضل وعق له في الجبل عقا واسعا في موضع كثير التراب وأوقدوا فوقه الحطب أياما حتى استملح الجبل فصار ملحا كله ثم نقله الى الخزائن ثم ان علي

١- حضور المصانع : جبل عظيم فى اليمن وهو غير جبل شعيب .

ابن فضل ملّ المقام فلما علم منه المنصور ذلك دس عليه في أمر الصلح فقال لست ابرح وقد علم اهل اليمن قصدي لمحاصرته الا ان يرسل الي بعض ولده فيكون ذلك لي مخرجا عند الناس ويعلمون انه قد دخل في طاعتي فأرسل اليه ولده ودفعه بالتي هي احسن فرجع الى « مذيخرة » فأقام عنده ولد المنصور سنة ثم رده الى ابيه وبره وطوقه بطوق من ذهب ثم اقام بمذيخرة يحل الحرمات ويرتكب الفواحش وامر الناس باستحلال البنات والاخوات وكان يجمع اهل مذهبه في دار واسعة يجمع فيها الرجال والنساء بالليل ويأمر باطفاء السرج وأخذ كل واحد من وقعت يده عليه وروى ان عجوزا محدوبة الظهر وقعت مع رجل منهم فلما تبين بها خلاها فتعلقت بثيابه وقالت « دوبد من ذى حكم الامير (١) » فجرت مثلا .

ويقال ان ايامه لعنه الله كانت سبع عشرة سنة ومات مسموما سنة ثلاث وثلثمائة .

وكان سبب موته لعنه الله ان رجلا من اهل بغداد يقال انه شريف وصل الى الامير اسعد بن أبي (٢) يعفر الحوالي وكان في ذلك الوقت هاربا من القرمطي في الجوف من بلد همدان مستجيرا ببني الدعام وان ذلك البغدادي وهب نفسه لله وللاسلام وقال للامير تعاهدني واعاهدك اني اذا قتلت هذا القرمطي كنت معك شريكا فيما يصل اليك فعاهده على ذلك وكان طبيبا حاذقا فخرج الى مذيخرة فكان مع كبار اهل دولة القرمطي يفتح لهم العروق ويسقيهم الدواء ويعطيهم المعجونات حتى وصفوه

١- وفي نسخة البهاء الجندى مؤرخ اليمن(دوبد من ذى حكم به الامير) ثم قال :(دو) بمعنى (لا) فى بعض لغات اليمن و (ذى) بمعنى(الذى) وقال البهاء الجندى سالت جمعا منهم عن جمع النساء مع الرجال هكذا فانكروه اه لكن غريب منه ان ينظروا منهم الاعتراف بمثل هذه الشناعة البالغة وهى معروفة فى فروعهم الى اليوم .ز.

٢- هكذا فى الاصل والصواب حذف (ابى) قال الجندى قال الطبيب لاسعد الامير : « أن فنا عدت تقاسمنى ما يصير اليك من الملك »لكن قتل ولم يعد . ز.

للقرمطي بالحذق بالطب وفتح العروق وقالوا ان مثلك لا يستغني ان يكون في حضرة مثله ثم انه احتاج الى اخراج الدم فأمره ان يفصده فعمد الى السم فجعله على شعر رأسه فدخل على القرمطي فسلم عليهفأمره أن ينزع ثيابه ويلبس غيرها ثم أخرج المبضع ثم مصه وعلي بن فضل ينظر اليه ثم مسحه برأسه فتعلق به من السم حاجته ثم فصده وخرج من ساعته فركب دابته وخرج هاربا فاما أحس عدو الله بالموت أمر بقتل الطبيب فلم يوجد فلحقوا به دون « نقيل صيد » (١) بازاء قينان (٢) فقتلوه هناك رحمه الله تعالى ومات القرمطي لا رحمه الله .

وولي الأمر من بعده ولده الفأفأ وشاع موته في الناس ووصل الى الحوالي جماعة من رؤساء الناس بنو المحابي والانبوع وغيرهم فزحف بالعسكر الغليظ لحرب القرامطة فدخل الدعكر (٣) ثم تقدم الى جبل التومار فحاصر القرامطة وسلط الله سبحانه وتعالى عليهم سيف النقمة لا يخرج لهم جمع الا هزموا أو قتلوا وأيد الله سبحانه وتعالى المسلمين بنصره .

قال الله تعالى : (انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) فأقام يحاصر القرامطة سنة ويقال أن من شدة عزمه وحزمه وتقصيه أنه ما حل عدته ولا سلاحه بل يصلي وعليه عدته وسلاحه حتى فتح الله عليه وقتل القرامطة وأحيا الاسلام .

ليس كولاة الامر من أهل زماننا الذين غرقوا في الملذات واتبعوا الشهوات ولم يرغبوا في المكارم والنجدات وعظوا فلم يتعظوا وناموا فلم يستيقظوا ونظروا ما حل بغيرهم فلم يعتبروا . وقد قيل في المثل السائر :

واذا رأيت اخـــوك يحلق رأســـه أوشكت بعد أخيك تصبح اصلعا

ومن عجز عن رعاية رعيته وجار عليها في حكمه وقضيته ، دل

١ـ النقيل فى لغة اليمن العقبة وهى الاكمةالمرتفعة .

٢ـ بوادى السحول المعروف بقينان وقـــدزاره الجندى سنة ٦٩٦ ،ز .

٣ـ وفى بعض الكتب (التعكر) ،ز.

على زوال مملكته وتعجيل منيته ، وقد قال الاول :

ومن رعى غنما في أرض مسبعــة   ونام عنها تولى رعيهـا الأسـد

واذا فرط الراعي في أمر رعيته . وطاوع نفسه الدنيه . وذهب عنه الانفة والحمية فقد عظمت علية البلية . وقال الافوه الاودى :

لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم   ولا سـراة اذا جهالهـم سادوا
تهدي الأمور بأهل الرأي ما ضحلت   فـان تولت فبالاشـرار ينقادوا

رجع الحديث الى محاصرة الأمير الحوالي فروي أنه نصب المنجنيقات فهدم المذيخرة بعد سنة ودخل على القرامطة فقتلهم وأخذ من الغنائم مالا يحصى وسبى بنات القرمطي وكن ثلاثا فصار اثنتين في رعين وواحدة وهبها الأمير لابن أخيه قحطان واباد الله القرامطة على يدالأمير الحوالي بمنه وسعادته وجعل لا يسمع بأحد منهم الا قتله ورجع الى صنعاء وقد أطفأ جمرة الشك وملك جميع البلاد وزالت الفتنة وأراح الله من القرامطة وطهر منهم البلاد وأمن منهم العباد وسار الأمير في الناس بأحسن سيرة وعدل في الرعية ورد بني المحابي الى مخلاف جعفر وجرت المكاتبة بين الأمير الحوالي والأمير ابراهيم بن زياد (١) والناصر أحمد بن يحيى الامام الهادي صاحب صعده (٢) وتعاقدوا على المعاضدة والمناصرة وقتل القرامطة حيث ما وجدوا . وذكروا أنه كان يوجد عنوان كنتم بركة في بركة ونعمة مشتركة والأرض فيما بيننا قد حصلت في شبكة وكان الخارج اذا خرج من بلد أحدكم لذنب أذنبه كاتب فيه وسأل الصفح عنه وصفت لهم المعيشة واستقامت لهم الدولة ولزم كل واحد منهم بلده ولم يطمع واحد على صاحبه والف الله بين قلوب المسلمين ولم يبق من القرامطة الا شرذمة قليلة من اولاد المنصور في ناحية مسوروأبادهم الله تعالى على يد الدعام بن ابراهيم والناصر بن يحيى وانا اذكر ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى .

١ـ احد ملوك بنى زياد فى زبيد ٢ ـ احدائمة الزيدية فى اليمن وهو الذى خرج من المدينة المنورة الى اليمن وسيرته معروفة .

أضواء على المذاهب الهدامة

الشيوعية

بقلم الشيخ عبد القادر شيبة الحمد

المدرس بكلية الشريعة

اطلق العرب على المذهب الاقتصادى الذى تسير عليه روسيا ومن نحا نحوها (الشيوعية) وهى فى أصل اللسان العربى من قولهم سهم شائع اذا كان غير مقسوم • وهذه المادة استعملت فى اللسان العربى فى عدة أحوال كذلك وكلها تدور على الذيوع والانتشار فمن ذلك قول العرب « الشاع » للمنتشر من بول الناقة •

(تاريخ)

مزدك :

عرف العالم القديم الشيوعية فى صور شتى ومن ذلك ما أثر عن «مزدك » الفارسى الذى ظهر فى عهد الملك « قباد » ملك فارس ، وكان هذا الملك ضعيفا مهينا فسدت فى عهده الرعية فزعم مزدك انه نبى ، وأخذ ينهى الناس عن المباغضة والمخالفة والقتال وأعلن أن سبب هذه الفتن هى النساء والاموال لذا رأى ان تباح النساء لكل راغب وان تباح الاموال لكل طالب حتى يشترك فيها الناس اشتراكهم فى الماء والهواء •

وقد انتشر مذهبه فى عامة بلاد فارس ودخل فيه « قباد » نفسه • وقام الفقراء بتقتيل الاغنياء ، وصار الجماعة منهم يدخلون على الرجل فيقتلونه ويثبون على أمواله ونسائه فغضب لذلك بعض عظماء فارس وبخاصة انو شروان بن الملك قباد

وزعيم آخر يقال له ــ ساجــور ــ وتآمروا على مزدك وقتلوه وخلعوا قباد وعينوا أخاه ــ جاماسب ــ ملكا عليهم وحاولوا القضاء على فتنة المزدكيــة ، غير أن قباد استطاع ان يعــود الى الملك وان يحبس أخاه ٠

فقوى بذلك شر المزدكية من جديد واستمرت الى ان قتل قباد وتــولى بعده ابنه انو شروان الذى ولد فى عهده رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أستقل بالملك وجلس عــلى السرير وقال لخواصه :

ــ انى عاهدت الله اذا صــار الى الملك الا أبقى على أحد من المزدكيــة الذين أفسدوا أموال الناس ونساءهم ٠

وكان عند سريره رجل مزدكى فقال لانو شروان :

ــ أتقتل الناس جميعا ؟

فنظر اليه انو شروان وقال له :

ــ أتذكر يا ابن الخبيثة يــوم طلبت من أبى ان يأذن لك فى المبيت عند أمى فاذن لك ، ولمــا ذهبت الى حجرتها لحقت بك وقبلت رجلــك التى أثر نتن جوربها فى أنفى وتضرعت اليك حتى وهبتها لى ورجعت ؟

فأقر الرجل امام الحاشية بمــا قال الملك ، فأمر بقتله فضربت عنقــه وأحرقت جثته ، ثم أمر أنو شروان باستئصال شأفه المزدكيــة وقضى عليهم ٠

(كــارل ماركس)

كما عرفت الشيوعية فى العصــر الحديث فى صور متقاربة بزعامــة رجال تكاد تتشابه ظروف حياتهــم مع حياة مزدك الفارسى وأشهــر هؤلاء الزعماء « كارل ماركس » ٠

حيـــاته :

وقد ولد كارل ماركس عام ١٨١٨ من ابوين يهوديين غير أن أباه لــم يستقر على دين آبائه اليهود ، فقــد تنصر وترك دين اليهودية ٠ أمــا كارل ماركس فقد ظهر فى أول شبابه حريصا على الدين فقد أثر عنه انــه كان يقول آنذاك :

(الدين أساس الحياة الانسانية ، وهو يلقننا الحكمة والخير) ٠

نفسيتــه :

بيد ان خبيثة ماركس كانت تعلن عن نفسها فى كثير من الاحيان ٠ وقد كان هذا الاعلان يبدو تناقضــه فى كثير من الاحوال ، ويعلل ذلــك «اوتورهل» الماركسى اذ يقول :

ــ (انه كان نموذجيا فيما كــان يعانيه من اختلال نشاطه الــروحى وكان على الدوام متقلبا حقودا لا يزال فى تصرفه عرضة لتأثير سوء الهضم والانتفاخ وهياج الصفراء وكــان موسوسا يغلو كجميع الموسوسيــن فى الشعور بمتاعبه الجسدية) ٠

وقد عثر على رسالة كتبها والــد ماركس يصف فيها حال ولده بأنــه يقضى جل لياليه مرهقا جسده وعقله فى دراسة لا لذة فيها معرضا عـن جميع الملهيات فى طلب المشكـلات الغامضة ليهدم غدا ما بناه اليوم ٠

وقد كان ماركس يهمل دروسـه وينقطع عن معهده الاسابيع المتواصلة متابعا لما شذ من الاراء التى يبنيهـا اليوم ويهدمها غدا او باحثا عن اللذة الجنسية والمتاع الجسدى ٠ وقـد شغف اولا بدراسة القانون ثم تركه، وشغف بدراسة الفلسفة ثم تركها ، واشتغل بدراسة المذاهب الاقتصادية وحصل على شهادة الدكتوراه بالمراسلة من جامعة جينا الالمانية عام ١٨٤١ م

وكان ماركس أيام حياته الدراسية عالة على أبيه ــ هرشل ــ فلما مـات ابوه صار عالة على امه وأخته حـتى عجزتا عن مواصلة الانفاق عليـه ، فصار يلجأ الى الاستدانة من أقربائـه واصدقائه وبخاصـة من ــ انجلز ــ قرينه فى الدعوة الى الشيوعية ٠

وكان أصدقاؤه اذا ضاقوا مـن طلباته حاولوا ان يكلفوه ببعض الاعمال التى قد تدر عليه بعض الرزق ولكنه كان يبوء بالفشل فى كل عمل يسند اليـه ٠

وكان ماركس قد تعرف على فتـاة بارعة الجمال اثناء دراسته للحقوق فى جامعة بون تدعى ــ جينى ــ ولم يكن احد قد اشتم منه رائحة نزعته الشيوعية الى ذلك الحين ٠ وكـان عمره لا يتجاوز العشرين ٠ وقد وقعت الفتاة فى قلبه وهام بها ، ولم يكن فى اول امره ذلك يفـكر فى الزواج منها نظرا لانها من طبقة فوق طبقـة اهله ، والتقاليد تقف حجر عثرة فى سبيله غير أن الفتاة بادلتـه الحب ورغبت فى الزواج منه ولم تعبـأ بالفوارق الطبقية التى توجد بينهما ٠

وقد بذل ماركس وجينى كل مـا يستطيعان لتحقيق حلمهما فى الاقتران الرسمى وتمكين عواطفهما المشبوبـة من الحصول على ثمرة طويلة ، حـتى تمكنا من ذلك اذ أعلنت الفتاة فى عزم واصرار انها لن تتخلى عن ماركس مهما كانت الفوارق الطبقية بينهما ، وانها راضية به على أى حال ٠

وعلى الرغم من تحقيق هذا الحلـم فقد بدأ ماركس يشعر بالحقد الثائر نحو نظام الطبقات الذى كاد يحـول بينه وبين حبيبته جينى ، وقد بدأت مشكلة المعاش ــ له ولزوجته ــ تتعقد امام ماركس فقد زادت نفقاته ولـم يتحسن انتاجه ولا سيما بعـد أن صار ذا اولاد ٠

وقد صورت زوجته جينى ماصارت اليه هى وزوجها من البؤس فى كتاب الى صديق لها تطلب منه ان يمـد لها يد المساعدة قالت فيه :

(ائذن لى ان اصف لك يوما من ايام هذه الحياة ، وسترى ان غيرنا لم يقاس ما قاسينا . فأنا مريضة سقيمة ومع ان ثديي وظهري بهما اوجاع وآلام بالغة فانني مضطرة الى أن أرضع طفلى الرابع الحديث الولادة لانني لا استطيع ان ادفع أجرةمرضعة، ولكن كان طفلى يرضع الحزن والالم والوجع فيتلوى من المرض ليلا ونهارا.

ومع هذا الفقر والحاجة فقد دخلت علينا صاحبة المنزل وطلبت منا أجرة البيت كما طالبت بما علينا لها من القروض ، ولما كنا عاجزين عن الدفع فقد حجزت على كل ما نملك فى البيت حتى فراش الطفل وباعته بما لها علينا من الدين ، ثم طردتنا الى الشارع والمطر ينهمر بغزارة ، والبرد قارس لا يرحم ، وبذل زوجي ماركس كل ما فى وسعه من جهد فلم نجد من يقبل ايواءنا) .

كما كتبت جينى مرة اخرى تصف احدى ليالى البؤس التى مرت بها وبماركس فتقول :

ـ (أحست ابنتنا بنزلة شعبية ، وصارعت الموت ثلاثة ايام ثم ماتت وأخذنا نبكى عليها ولم يكن لدينا ما نجهزها ونكفنها به ، وأبقينا الجثة حتى نجد ما نستعين به على دفنها ، ومضيت الى جار فرنسى مهاجر فأعطانى جنيهين ! ..

واأسفاه ! .. وفدت ابنتنا الى الدنيا فلم تجد مهدا وعندما غادرت الدنيا لم تجد كفنا) .

من هذه الصور نستطيع أن نعرف الدوافع التى حدت بماركس أن يكون داعيا لمصارعة الطبقات ثائرا عنيدا فى الدعوة الى الشيوعية ، عبدا ضارعا امام محراب المادية .. ينفث سمومه فى نواح متعددة من أوربا ولا سيما فى انجلترا حتى مات عام ١٨٨٣ م .

ولما قامت الثورة الروسية ضد القياصرة من اسرة ـ رومانوف ـ بعد الحرب العالمية الاولى وتسلم قيادة الثورة ـ لينين ـ أحد الماركسيين ـ ظهرت الشيوعية الرسمية لاول مرة فى العصر الحديث .

(المذهب الماركسى)

روحه وصورته :

للمذهب الماركسى روح وصورة ،

اما روحه : فهى فلسفته فى الكون وأنه لا أثر فيه لغير المادة فلا ايمان الا بالمادية .

واما صورته : فهى المخططات الرئيسية التى لا بد منهالقيام المجتمع الشيوعى .

المـادية :

اعلن ماركس بانه لا يؤمن بغير المادة . وأن كل شىء فى الوجود ان

هو الا أثر من آثار المادية والماهية في نظر كارل ماركس تعني عدم الايمان بالغيب كما تعني الكفر بالله فاطر السموات والارض ، وانكار جميع المظاهر الدينية والمذاهب الروحية ، والمنازع الاخلاقية ، والتقاليد ونظام الزواج والاسرة ، وكذلك انكار العواطف والتأثرات النفسية والوجدانية ، والعلوم والمعارف والآداب فهذه كلها في نظرم من تضليلات اصحاب الثروة (الرأسماليين) لاستغلال الفقراء والمساكين • وليس هناك الا المادة فهي التي تكون وقائع التاريخ وما المظاهر الكونية كلها الا مادة بحتة •

الدين :

يزعم ماركس ان الدين وسيلة من وسائل الاستغلال • اخترعه أصحاب الثروة والمسيطرون على مصادر الانتاج ليخدروا به الشعب حتى يسهل استغلالهم وتتيسر سرقتهم وقد اضطرب ماركس في شأن الدين اضطرابا عنيفا فمرة يقول فيه : انه (افيون الشعب) الذي يخدرها عن رؤية الحقائق المادية • ومرة يزعم أنه انعكاس القوى الظاهرية التي تسيطر على معيشة الانسان اليومية على معنى أن الانسان يرى في المناظر الطبيعية قوة جبارة لا مناص له من الخضوع لها • فتراه يعبد منها ما لا يدركه • وطورا يصفه بأنه تزلف من واضعيه الى ارباب السلطان واصحاب رؤوس الاموال • وحينا يقول : •

(انه الغذاء الخادع للضعفاء لانه يدعوهم الى احتمال المظالم في الوقت الذي لا يتمكن من ازالتها) • واحيانا يقول : هو خمرة الشعوب يروضها على الفقر والمسكنة ويلهيها بمايغريها من نعيم الآخرة عن نعيم الدنيا ليستأثر به سادة المجتمع ويغتصبوا منه علانية او يسرقوا منه خلسة ما يطيب لهم ان يغتصبوه او يسرقوه) •

وموقف ماركس المضطرب في الدين قرينة لاضطرابه النفسي •وعجز ظاهر عن مقارعة الشرائع وقد فاق ماركس الدهريين في انكار ما وراء المادة اذ قالوا : (ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر) •

فان ماركس حاول ان يفسر المظاهر الدينية **بهذه الاراء المضطربة** •

فاين الرأسماليون الذين اتيوحيهم بالاسلام ؟ وهل علم ماركس والماركسيون بقصة الملأ من قريش حينما أرسلوا احد زعمائهم الى الرسول صلى الله عليه وسلم يقول له:

(ان كنت تريد المال جمعنا لك منه ما تريد حتى تصير أغنانا ، وان كنت تريد الملك ملكناك علينا ، وان كان بك شيء عالجناك) •

وحينما انتهى سفير قريش من هذا الخطاب يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

(انتهيت يا عم ؟ ثم يقرأ اول سورة صلت حتى يبلغ (فأن اعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) ٠

وحينئذ تتسرب أنوار الحقيقة الى قلب ذلك السفير ويخاف على نفسه فيضع يده على فم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول ناشدتك الرحم ان تكف ٠ ثم يأتي قومه وينصحهم طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول :

(ان لكلامه لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وان أعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق ، وانه ليس من كلام البشر) ٠

وهل علم ماركس والماركسيون قصة الملأ من قريش حينما اجتمعوا فى بيت ابى طالب يقولون له :

(اما ان تنهى محمدا عن تسغيه أحلامنا ، وتضليل معتقداتنا او تخلى بيننا وبينه) حتى يقول له عمه : يا ابن أخي لو أبقيت على نفسك فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله او اهلك دونه) ٠

وهل يظن ماركس والماركسيون أن الملأ من قوم فرعون هم الذين أوحوا الى رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام بالدين الفذى جاءهم به ودعاهم اليه فيقول فرعون : وما رب العالمين ؟ فيقول : « رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين» فيقول لمن حوله : ألا تستمعون ؟

حتى يقول موسى : « ربكم ورب آبائكم الاولين » فيقول فرعون : ان رسولكم الذى أرسل اليكم المجنون ٠ فيقول موسى « رب المشرق والمغرب ومابينهما ان كنتم تعقلون » حتى يقول فرعون: « لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين » فيقول موسى «أولو جئتك بشىء مبين » ٠

وهل يظن ماركس والماركسيون أن الملأ من قوم فرعون او من بنى اسرائيل هم الذين أوحوا الى موسى بتحريم المراباة وان يقاد للنفس بالنفس ، والعين بالعين ، والاذن بالاذن والسن بالسن ، وان الجروح قصاص ٠

وهل يظن ماركس ان اغنياء اليهود والرومان هم الذين اوحوا الى عيسى بن مريم حتى جاء بالانجيل وهو الذى أثر عنه انه يقول :

« ان دخل الى مجمعكم رجل واحد بخواتيم الذهب فى لباس بهى ودخل معه فقير بلباس وسخ فنظرتم الى اللابس اللباس البهى وقلتم له :

ـ اجلس انت هنا حسنا ٠

ـ قف انت هناك او اجلس تحت موطىء القدمين ٠

فهل لا ترتابون فى أنفسكم وتصيرون قضاة أفكار شريرة ؟)

وهل علم ماركس ان رجلا منفقراء المسلمين مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع بعض اصحابه رضى الله عنهم فقال ما تقولون فى هذا قالوا :

حرى به ان خطب الا يخطب ، وان قال الا يستمع وان شفع أن لا يشفع، ثم مر رجل من أغنياء المسلمين فقال ما تقولون فى هذا ؟ قالوا : حرى به ان خطب أن يخطب وان شفعأن يشفع وان قال أن يستمع ٠ فقال عليهالصلاة والسلام :

(هذا ـ يعنى الفقير ـخير من ملء الارض مثل هذا ـ يعنى الغنى ـ) ٠

ولا شك ان ماركس يجهل هذه الحقائق ولا يدرى عنها شيئا ولو ادعى معرفتها لكانت البلية اخطر والمصيبة اعظم :

فان كنت لا تدرى فتلك مصيبة
وان كنت تدرى فالمصيبة اعظم

الاخلاق والاداب :

يحارب الماركسيون جميع الاخلاق التى قد يتصف بها شعب منالشعوب او فرد من الافراد ، بدعوى ان هذه الاخلاق سواء كانت فردية او جماعية ما هى الا اثر من الاثار التى أوحى بها « الاقطاعيون » ٠ وان هيالاخداع وتضليل للعمال والفلاحين من قبل الملاك واصحاب الاموال ٠

والخلق الوحيد الذى آمن به الشيوعيون هو وجوب مخالفة سائر الأنظمة الاخلاقية ومحاربة عموم انواع آلاداب المرعية فى المجتمعات الانسانية وبخاصة ما كان منهانتيجة للاوامر الالهية ٠

وقد قادهم هذا الشذوذ الخلقى الى هتك الاسرة ومحاربة ناموس الزواج ورأوا أن هدم ذلك من أقوى دعائم الشيوعية فتساوى الزواج والزنى فى نظامهم ، وحسن فى اعينهم وقاع أمهاتهم واخوانهم وبناتهم وعماتهم وخالاتهم ٠ وانحطوا فى سلوكهم الاخلاقى عن كثير من الحيوانات العجماوات ٠

وقد اصبحت لفظة « الكرامة » عندهم لفظة مرذولة فالمحبوب لديهم أن يطوروا بالرفقاء الانذال ٠ واضحت كلمة « الشرف » من الالفاظ المدسوسة على الانسانية بواسطة اصحاب الاقطاع فيجب أن تداس بالآقدام « والأمانة » دسيسة خبيثة من دسائس المحافظة على رؤس الاموال٠

المعارف والعلوم :

ويرىّ الماركسيون ان المعارف والعلوم انما ترجع الى حاجة الانسان ـ الماديّة ـ الجسدية منكرين ان يكون لعقله او وجدانه تأثير فيها ٠

كما ينكرون اشد الانكار أن تأتى من طريق السماء • وانما تكون فقط وليدة حاجته المادية ومطالبه الحيوانية

أما العلوم والمعارف والنظريات التى لا تخضع لهذا التفسير الشيوعى فهى فى نظرهم :

تضليلا •• وتخيلات •• واوهام

(المخططات الرئيسية لقيام المجتمع الشيوعى) :

يرى ماركس أنه لا بد لقيام المجتمع الشيوعى – من خمسة اركان يبنى عليها وهى:

١– استيلاء الطبقة الكادحة من العمال والفلاحين على مقاليد الحكم فى أول الامر •

٢– تأميم وسائل الانتاج ومصادر الثروة •

٣– القضاء على رأس المال •

٤– القضاء على الطبقات •

٥– ثم القضاء على الحكومة •

(١– استيلاء الطبقة الكادحة على مقاليد الحكم)

يرى ماركس ان (الاجراء) ولا سيما الاجراء فى الصناعة قابلون « للثورة الاجتماعية » لانهم لا يملكون شيئا فى المصانع ولعلهم كذلك يحملون فى الغالب قلوبا مملوءة بالحقد والضغينة على اصحاب الاموال ،وهم الاداة السهلة اللينة التى تؤثر فيها مختلف الدعايات لذلك اعتبر ماركس أن اول المخططات الضرورية لقيام المجتمع الشيوعى هو قيام الطبقة الكادحة – البرولنيتاريا – من العمال الصناعيين والاجراء الزراعيين بالاستيلاء على مقاليد « الحكم » ومناصب الدولة حتى يهدم بهم الحكومات القائمة •

ونحن لا نرى عيبا فى هذه القاعدة من حيث ان تكون الحكومة من طبقة الفقراء فان الفقر والغنى فى نظرنا أعراض غير ذاتية بل تتغير وتتبدل ، اذ المال ظل زائل وعارية مستردة • والمرء عندنا باخلاقه وآدابه لا بأمواله وكثرة متاعه •

وما المال والاهلون الا ودائع
ولا بد يوما ان ترد الودائع

غير أننا لا نرى ان يكون المسيطرون على مقاليد « الحكم » ولا بد من طبقة الفقراء ، اذ الغالب عليهم الفوضى والجهل ولله در الشاعر اذ يقول :

لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم
ولاسراة اذا جهالهم سادوا

غير ان نظام الماركسيين ينص على:

(ان قيام حكومة العمال والفلاحين هو شىء « مؤقت » وأنه حركة انتقالية الى مرحلة الشيوعية الحقيقية التى لا تبقى فيها حكومة وانما ينطلق الشعب حرا بلا حكومة ولا سلطان)

بيد ان واقع الحياة الشيوعية لم ير هذه النظرية مطبقة فى أى قطر

من الاقطار التى بنيت بهذا النظام ٠ فجميع البلاد التى صالت الى الشيوعية قامت حكومتها من جنس الحكومات التى كانت فى تلك البلاد قبل الحكم الشيوعى ٠

ولم يقع ابدا ان صارت حكومة شيوعية من طبقة العمال والفلاحين

ففى روسيا مثلا كان الدور الذى قامت به الطبقة الكادحة هو اشعال نار الثورة ضد الحكم القيصرى والقضاء عليه ٠ ولما تم لرؤساء الحزب الشيوعى ما أرادوا من سقوط عرش آل رومانوف ـ قبض رؤساء الحزب الشيوعى على زمام الحكم وازاحوا العمال والفلاحين من الطريق وردوهم مدحورين الى المصانع والمزارع ليقاسوا تحت سخط الحزب الشيوعى اشد الوان المهانة والارهاق ٠

وقد قام العمال والفلاحون بعدة ثورات كانت تقابل بأنكى صنوف القمع والارهاب ٠ ولم تمنع وسائل التعذيب الاجرامية هؤلاء من أن يقوم الكثير منهم باحراق المحاصيل وتبديد الماشية والاموال حتى لا تقع فى يد هؤلاء الحكام المستبدين ٠

وقد حاول ـ ستالين ـ أن يقضى على ثورات الطبقة الكادحة بالوان شتى من انواع القتل والحبس والنفى فى مجاهل ـ سيبريا ـ والتهديد والوعيد فلم يفلح ٠

وفى منشور له فى هذا الصدد يقول :

(لكى يضمن الكولخوزيون ـ المزارعون ـ لانفسهم الحياة والعيشة يتطلب ذلك منهم ان يعملوا فى « الكولخوزات » ـ المزارع التعاونية ـ ويحافظوا عليها ، ولا ينسوا مسؤوليتهم تجاهها) ولما قال العمال لستالين :

ـ لقد وعدتمونا بأن تكون الحكومة من العمال والفلاحين فلم لا تنفذون وعودكم ؟

قال ستالين :

« لقد انتقلت السلطة وتركزت فى يد حزب واحد هو حزبنا ولن يشاركنا فى توجيه الدولة أى فئة اخرى ، وهذا ما يعنيه ـ بالدكتاتورية العمالية » ٠

وهكذا نرى المخطط الاول من المخططات التى رسمها ماركس للمجتمع الشيوعى لم تكن الا حبرا على ورق ـ كما يقولون ـ بل صار العمال والفلاحون فى المجتمع الشيوعى احط انواع العمال والفلاحين فى العالم ٠

(٢ـ تأميم وسائل الإنتاج ومصادر الثروة)

يرى الماركسيون ان السبب الرئيسى لتكوين الطبقات هو وسائل الانتاج ومصادر الثروة فلا بد للقضاء على « نظام الطبقات » من القيام :

اولا ـ بتأميم وسائل الانتاج ومصادر « الثروة » وجعلها بدل ان

تكون ملكا لبعض الافراد ان تصير ملكا لجميع الامة ٠

وهذا التأميم كذلك يعتبر خطوة اولى لخطوة تليها هي القضاء التام على رؤوس الاموال والملكيات الفردية مهما كان نوعها وهذه النظرية لا ترى أية حرمة لمن بيده شيء من مصادر الثروة ووسائل الانتاج ٠ كما لا ترى اية قيمة لما بذله الافراد في سبيل مشروع ولو في الاصل على الاقل للحصول على ما بأيديهم من أموال ٠

ولسنا نجادلهم بالادلة الدينية التي توجب مراعاة الحرم والمحافظة على حقوق ذوي الحقوق فان الدين في نظرهم هو « أفيون الشعوب » وانما نقول لهم :

لقد اممتم مصادر الثروة ووسائل الانتاج ، فماذا فعلتم بهذه الاموال المؤممة ، وكان المفروض بناء على دعواكم الاساسية ان تصير ملكا للمجموع يتساوون في الانتفاع بها٠ فهل صار في متناول كل فرد من افراد امتكم أن يحصل على شيء من هذه الاموال يسد بها عازته ويقضي منها وطره ٠ وحاجته ؟

والواقع ان الاموال المؤممة انما انتقلت من ملك اربابها ومكتسبيها الى خزينة الدولة ليتصرف فيها الحكام حسب اغراضهم واهوائهم وليبذلوا ما شاءوا في سبيل امتداد حكمهم وسلطانهم ولينغمسوا بها في الشهوات والملاذ الى حلوقهم وأذقانهم ٠ وقد كانت نتيجة هذا ـ التأميم ـ سلب أسباب الغنى من الاغنياء وادامة الفقر والمسكنة للمساكين والفقراء ٠

(٣ـ القضاء على رأس المال)

والمخطط الثالث من المخططات اللازمة لقيام المجتمع الشيوعي هو القضاء على « رأس المال » بدعوى ان رأس المال يشكل العمود الرئيسي للظلم الواقع على رأس « الطبقة الكادحة »٠

أما كيفية هذا الظلم فيقرر الماركسيون بأن قيمة كل شيء هو العمل الانساني الذي بذل فيه ، واذا لم يكن هناك استغلال وجب ان يأخذ العامل ثمرة العمل كلها ، الا أن صاحب رأس المال «يستغل» اضطرار العامل فلا يعطيه من قيمة عمله الا جزءا يسيرا قد لا يفي بكفايته ولا يقوم بحاجته الضرورية من القوت ثم يأخذ صاحب رأس المال الزيادة لنفسه ، ويصرفها في توسيع ثروته فيزداد امعانا في الظلم واغراقا في سرقة حقوق العامل ٠

وهذه الزيادة بين رأس المال الاصلي وقيمة الانتاج يسميها كارل ماركس « القيمة الفاضلة »٠

وهذه القيمة الفاضلة قد ذهب اكثرها الى صاحب رأس المال ، وقد كان من حق العامل ان يستولي على هذه القيمة الفاضلة كلها لانها في الواقع

عند ـ ماركس ـ قيمة عمله وثمرة كده

لذلك رأى ماركس من الضرورى القضاء على رأس المال حتى تتحطم السلاسل والاغلال التى يكبل بها الرأسماليون العمال والكادحين • ولا بد أن يسرى على الجميع بعد ذلك قانون قاطع هو :

«ان لكل حسب حاجته ، ومن كل حسب طاقته »ومعنى ذلك ان الدولة تكفل لكل انسان قدر ما يحتاجه فى معاشه من مطعم وملبس ومسكن ، وتكلفه فى نظير ذلك ان يبذل للدولة ما يطيقه من العمل!

هذا •• ودعوى الماركسيين أن رأس المال يشكل العمود الرئيسى للظلم الواقع على رأس الطبقة الكادحة هى دعوى فاسدة بل رأس المال قد يكون سببا فى كثير من الاحيان فى مد يد المساعدة والعون للطبقة الكادحة وتيسير اسباب المعايش لهم •

كما ان دعوى الماركسيين ان قيمة كل شىء هو العمل الانسانى الذى بذل فيه ، وان العدالة تقتضى ان يحصل العامل على جميع القيمة الفاضلة هى دعوى منافية للعدل والانصاف كذلك لما فيها من الغاء اعتبار الادوات والآلات التى بذلها صاحب رأس المال والتى يسرت للعامل هذا العمل ، كما أن أبسط قواعد الاقتصاد تبرهن على أن قيمة الشىء ليست العمل الانسانى الذى بذل فيه •

فالسلعة الواحدة قد يصنعها عامل فى يوم ويصنعها عامل آخر فى يومين. وقد يباع كتاب فى سنة ما بدينار واحد ولا يساوى فى سنة اخرى اكثر من ربع دينار ، وهذا الصنف من الشراب قد يرتفع سعره فى بلد وينخفض فى بلد اخر فى نفس الوقت مع ان العمل الانسانى الذى بذل فيه انما هو عمل واحد •

بل قيمة الشىء غالبا تخضع لنظام « العرض والطلب » •

كما ان القانون الذى قرروا أن يكون لكل حسب حاجته ومن كل حسب طاقته ، هو قانون خيالى ، لان حاجات الناس متفاوتة كتفاوت طبائعهم • أى ان هذا العامل قد يكفيه قليل من الخبز والادام لتوليد طاقة العمل فى بنيته ، وقد يزامله عامل آخر فى نفس العمل ولا يكفيه ضعفه من الخبز والادام لتوليد طاقة العمل لديه ، كما ان بعض العمال قد يستطيع مباشرة عمله فى الشتاء بلباس خفيف ولا يستطيع زميله فى العمل ان يباشر الا بلباس ثقيل قد يكلفه ضعف ما يحتاجه زميله السابق.

ومما يبين فساد هذه النظرية ومجافاتها لنظام الطبيعة والفطرة هو: عجز الشعوب التى سقطت فى براثن دعاة الشيوعية عن تطبيقها ، كما انهم صاووا المثل الاسوأ فى ظلم الطبقة الكادحة من الفلاحين والعمال•

فقد صار العامل فى روسيا ـ مثلا ـ يطلب منه ان يقدم أقصى ما يستطيع

تقديمه من طاقة فى مدة معينة ، ثم تبيع الحكومة مجهود هذا العامل بأكثر مما كلفته حاجته التى فرضت انها مساوية لمجهوده ٠

فمجهود العامل الذى يساوى الف ريال كان ينبغى ان يحصل فى نظيرة على قدر حاجته التى يرى نفسه محتاجة اليها وقد تصل الى الف ريال مثلا ٠

٠٠ غير ان الحكومة هى التى حددت حاجته بنفسها دون ان يحددها المحتاج نفسه ، فقد قدرت له ـ مثلا ـ ستمائة ريال ، فسرقت منه اذا اربعمائة ريال ٠

وبهذا يكون هؤلاء الماركسيون قد وقعوا فى انحس مما عابوه على أصحاب رؤوس الاموال ٠ على أن دعوة القضاء على رأس المال قد فشلت عند التطبيق لدى الشيوعيين، فقد اضطرت روسيا ـ مثلا ـ الى أن تبيح للفلاحين ان يتملكوا قطعا صغيرة من الاراضى يستثمرونها لاستهلاكهم بشرط أن لا يعاونهم فى استثمارها آخرون ، كما نصت على ذلك المادة (السابعة والتاسعة) من الدستور السوفيتى

كما أباحت الحكومة للفرد «تملك» اشياء أخرى كالماشية والبغال ـ وان كانت الحكومة قد فرضت على الملكيات الفردية الصغيرة ضرائب باهظة حتى تتلاشى وتموت ٠

(٣ ـ القضاء على الطبقات)

ذكرنا فى بحث تأميم وسائل الانتاج ومصادر الثروة ان الماركسيين يرون ان السبب الرئيسى لتكوين الطبقات وجود وسائل الانتاج ومصادر الثروة وانهم قرروا ان لا بد للقضاء على نظام الطبقات من القيام بتأميم وسائل الانتاج ومصادر الثروة وكأنهم بهذا يقررون ان القضاء على «الطبقات» لازمة من لوازم النظام الشيوعى بل هو أشد ضرورة من التأميم ٠ لذلك اذاعوا واشاعوا انهم يركبون كل صعب وذلول لتحقيق ذلك الامر الخطير ٠

تعريف الطبقة :

الطبقة فى نظر اكثر الباحثين هى الفئة من الناس التى تختلف فى مركزها الاجتماعى عن باقى الفئات التى تشكل معها مجتمعا ما ٠

فالعمال الزراعيون والصناعيون طبقة ، وصغار الملاك طبقة ، والمتوسطون فى الاملاك طبقة ، واصحاب الثراء الواسع والملك العريض والاقطاعيون طبقة ، والمهرة العسكريون طبقة والامراء والنبلاء طبقة ، ورجال الدين طبقة ٠

وقد يصير الانسان فى طبقة من هذه الطبقات بسبب النسب كما قد يصير اليها بسبب العلم ٠ ولا مانع ان ينتقل الانسان من طبقة الى طبقة اسفل ٠ على حد قول القائل :

تفس عصام سودت عصاما
وعرفته الكر والاحجاما
وصيرته بطلا مقداما

وقول القائل :

ابوك اب حر وأمك حرة
وقد يلد الحران غير نجيب

وهذا التعريف « للطبقة »لا يمنع وجود تعاون بين طبقة واخرى اذ هذا التفاوت الطبقي ضرورة من ضرورات العمران وسبب وجوده تفاوت الفطر . ولذلك يقال«الانسان مدنى بالطبع » قرر الله تعالى فى القرآن الكريم هذه الحقيقةاذ يقول :

« نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهمفوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون » .

تعريف الطبقة عند ماركس :

اما كارل ماركس فقد عرفالطبقة :

« أنها الطائفة التى تكون لها مصالح معارضة لمصالح طبقة اخرى »

وعلى هذا التعريف لا بد منفرض الشقاق والنزاع ودوام الصراع بين عموم الطبقات ولذلك زعمالماركسيون انه من الضرورى القضاء على نظام الطبقات وايجاد مجتمع ديمقراطى على مستوى واحد تنعدم فيه جميع الفروق الطبقية على أية حال .

وقد سعى الشيوعيون جهدهم وبذلوا كل ما يمكن بذله لتحقيق هذه الغاية فهل انعدم من المجتمع الشيوعى نظام الطبقات ؟!

وجود الطبقات فى المجتمع الشيوعى :

والواقع ان المجتمع الشيوعى يتمثل فيه ما يتمثل فى غيره من الطبقت فلا يزال فى روسيا ــ مثلاــ طبقة العمال والفلاحين ،وطبقة القادة العسكريين ، وطبقة رجال البوليس السرى ، والمخابرات ، وطبقة العلماء والرجال الاكاديمين،وطبقة المهندسين، وطبقة الفنانين والرقاصين ، وطبقة زعماء الحزب الشيوعى .

وقد وجدت هذه الطبقات فى المجتمع الشيوعى بحسب تفاوت الدخل الذى قدرته الحكومة لهؤلاء حسب ميزان الاحتياج الذى صنعوه. فقد جعل المعدل الوسط لحاجة العمال والفلاحين ما بين ٦٠٠ــ٧٠٠ روبل ، كما جعل المعدل الوسط للفنانين والرقاصين يتراوح ما بين ١٤٠٠ الى ٢٠٠٠روبل . وجعل المعدل الوسط للقادة العسكريين والعلماء والمهندسين يتراوح بين ٤٠٠٠ الى ٧٠٠٠ روبل .

وقد عمدت الحكومة بعد الحرب العالمية الثانية الىبناء منازل لاعضاء الاكاديمية ومنحت كل واحد منهم سيارة وسائقا خاصا وبهذا تكون الشيوعية الرسمية قد أوجدت نظاما طبقيا انحس مما عند غيرهم من نظام الطبقات ولا شك أن محاربة اساس

النظام الطبقى ما هـو الا وقوف فى وجه الطبيعة التى طبع الله النـاس عليها وحرب للفطرة التى فطر الله الناس عليها ٠

وقد سجلت حوادث التاريخ أن محارب الفطرة مدحور والمتصدى لقهر الطبيعة مقهور ٠

ولسنا بهذا نقرر ترفع وتعالى طبقة على طبقة او بغى فئة على فئة فنحن لا نرى فضل الرجل بمالهولا نرى فضله بوظيفته ولا نرى فضله بنسبه وانما الفضل عندنابالاعمالالصالحةوالاخلاق الفاضلة والمرء فى الواقع باصغريه قلبه ولسانه ٠

(٥ـ القضاء على الحكومة)

الدعامة الخامسة من دعائم النظام الشيوعى هى القضاء على الحكومة والدولة ٠ والشيوعيون يعتبرون ان القضاء على الحكومة هو النهايةالحتمية للنظام الشيوعى وفى ذلك يقول ماركس :

ـ (٠٠٠ وبعد ان تزول المنازعات بين الطبقات زوالا نهائيا خلال التطور وبعد أن يتركز الانتاج كله فى ايدى الافراد المتشاركين عندئذ تفقد السلطة العامة طابعها السياسى) ثم يقول ايضا :

ـ (٠٠٠ والدولة هى سلطة الطبقة المنظمة تزول بزوال الطبقة وعندئذ يكون عهد الشيوعية بكل ما تعنى الكلمة) ٠

وكأن ماركس يقول ان وجود الحكومة مهما كانت من العوامل التى تقيد الشعب وتحول دون صبغته بكامل حريته فلا بد من زوالالحكومة لينطلق الشعب فى طريق حريته الى أقصى الحدود ٠

وكأن ماركس يرى ان حقيقة الشيوعية لا يمكن ان تتكامل ما دام على رأس الشعب حكومة تدبره وفى ذلك يقول :

ـ (٠٠٠ الشيوعيةهى عهد تسوده الحرية وعصر يزدهر فيه الانسان اكمل ازدهار فهو يحتم مع زوال الطبقات زوال الحكومة) ٠

ونحن لا نستطيع ان نجزم هل كان ماركس جادا فيما يقول حينما يقرر هذه الحقيقة على انها من دعائم النظام الشيوعى ؟ وهل كان ماركس متمتعا بقواه العقلية حينما يخرج على الناس بمثل هذه النظرية التى لم يعرفها التاريخ البشرى فى مجتمع ما من المجتمعات المتمدنة او الهمجية على حد سواء ؟ وحتى لو فرضوجودها فى مجتمع بدائى همجى فهل يجيز العقل وجود مثلها فى مجتمع ذى حاجات متفاوتة بل والحاح فى طلب الكماليات ٠

وهل ظن ماركس ان فطر الناس المتباينة وطبائعهم المتنازعة سيئول بها الحال الى الزوال فيعيش الناس فى الارض يأكلون من نباتاتها المختلفة ولحوم حيواناتها المتغايرة الطبائع ،

ثم يصيرون فى نفس الوقت كملائكة السماء ؟!

ولا نذهب بعيدا لنراجع نحن أو غيرنا فى ذلك حوادث التاريخ وانما نلقى نظرة عابرة على واقع الحكومة فى « المجتمع الشيوعى » فالمعروف الذى لا يشك فيه من عنده ادنى اطلاع ان الحكومة فى بلاد الشيوعيين ومن ينحو نحوها تسير فى طريق « الدكتاتورية » الى حد لا نظير له فى المجتمعات الاخرى :

فمن مقررات ستالين :

(ان تقرير المصير لاى فرد او أمة او جماعة يجب الا يتضارب مع حق الحزب الذى يمثل الجماهير الكادحة فى ان يحكم حكما دكتاتوريا).

بين الشيوعية والاشتراكية

يستعمل الكثيرون الشيوعية والاشتراكية على معنى واحد غير أن بعض الناس يفرق بين الاشتراكية والشيوعية فى الجملة من وجوه :ـ

١ـ ان الاشتراكية هى الخطوة الاولى للشيوعية . .

٢ـ ان الاشتراكية لا تمانع فى قيام حكومة من طبقة العمال والفلاحين بخلاف الشيوعية الحقيقية فانها لاتجيز أى نوع من الحكومات .

٣ـ ان الشيوعية لا تبيح أى نوع من الملكيات بخلاف الاشتراكية فانها تجيز وجود بعض الملكيات الفردية فى حدود ضيقة وعلى قواعد تؤدى فى النهاية الى تلاشى هذه الملكيات .

الاسلام والاشتراكية :

هذا ولم يزعم زاعم ـ مهما كان ان الاسلام والشيوعية قد يلتقيان ، فلم نسمع الى الان صوتا واحدا يقول:

ـ (ان الاسلام لا يتنافى مع الشيوعية)

اذ اصل الشيوعية هو انكار الالوهية والدين وانما سمعنا ان بعض الناس ـ وقد يكونون من المتنسبين للاسلام او للعلم ـ يزعمون ان الاسلام لا يتنافى مع الاشتراكية وقد يتعامون عن ان الاشتراكية مذهب ، خاص ذاتية هذا المذهب تخالف ذاتية الاسلام فى روحه وصورته كما يتجاهلون ان الاسلام دين الله الحق قد اتى بجميع مايسعد الناس فى معاشهم ومعادهم .

وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يترك بابا من ابواب الخير الا دل الناس عليه ولا بابا من ابواب الشر الا حذر الناس عنه بيد انهم يقولون :

ان بعض نصوص القرآن كقوله تعالى « كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم » .

وكقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « الناس شركاء فى ثلاثة : فى الماء ، والنار والكلأ » . تدل على صحة المذهب الاشتراكى .

وهذا ان دل على شيء فانما يدل على جهل هؤلاء بحقيقة الاسلام عموما، وبمعنى هذه الآية وذلك الحديث خصوصا فالآية نزلت تشرح مصرف الفيء • وهو نوع خاص له طابع خاص من بين الاموال الاسلامية • واما الحديث فقد بين موضع الشركة وهو الماء والنار والكلأ •

ولفظ الحديث يدل بمفهومه على أن ما عدا هذه الاشياء الثلاثة من الاشياء التى يمكن أن يتملكها الانسان لا اشتراك فيها • ولو سلمنا جدلا انه قد يفهم من هذه الادلة الدلالة على صحة المذهب الاشتراكى – وان كانت لا تدل بظاهر الفاظها على ذلك كما أشرنا – فان صريح الكتاب وصحيح السنة يدل بمالا مجال للشك فيه على حفظ ممتلكات الناس واموالهم فليستمعوا الى قوله تعالى :

« ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون » •

والى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع :

« الا ان دمائكم وأموالكم واعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا • ثم يؤكد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فيقول : الا هل بلغت اللهم فاشهد » •

ولا يختلف اثنان من اهل العلم فى صحة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول « من غصب شبرا من أرض طوقه الله بسبع ارضين يوم القيامة » فهذا هو دين الاسلام •

«ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الاخرة من الخاسرين » •

مواصفات خيالية

جاء رجل الى نخاس فقال له : اطلب لى حمارا ليس بالصغير المحتقر ولا بالكبير المشتهر ، ان خلا الطريق تدفق وان كثر الزحام ترفق لا صادم السرارى ولا يدخلنى تحت السوارى، ان أقللت علفه صبر ، وان زدته شكر، وان ركبته استقام ، وان ركبه غيرى هام • فقال له النخاس : اصبر ، فان مسخ الله أحدهم حمارا شريته لك •

بين التفوق والنجاح

بقلم : الدكتور محمود بابللى

الفرق واضح بين التفوق والنجاح،لان التفوق أبعد غاية من النجاح ، ولان تأمين النجاح لا يعنى تحقيق التفوق ان لم يصل النجاح الى مرتبة عليا تقصر عنها همم المتقاعسين ٠

والنجاح أمر مرغوب فيه عند طلاب النجاح فى كل ما ينشدونه من أمورهم الحياتية ، وحدود النجاح قدتكون قريبة المنال من كل مجد ودؤوب ، غير أن التفوق لا يناله الامن اصاب حظا كبيرا من النجاح ٠

واذا ضربنا مثلا على الفارق بين التفوق والنجاح علامات المتخرجين من أحد المعاهد العليا نجد أن من يحصل على نسبة ٥٠٪ يعتبر ناجحا ٠

وقد يحصل المتفوق على نسبة اعلا اذ قد يقارب احيانا العلامة التامة ٠ فهل يصح التساوى بين الناجح فى أدنى مستوى النجاح وبين من قارب الغاية فى التفوق ؟

ان هذه المقدمة توضح ان النجاح أمر نسبى وان التفوق أمر نسبى ، وشتان ما بينهما وان مثلهما فى المدرسة او المعهد مثل قياسى يراد منه تقريب المفهوم لمعنى التفوق ومعنى النجاح ٠ فهنالك من يفرض نفسه فرضا بتفوقه فى ميدان اختصاصه وهنالك من يجر نفسه جرا ٠ ليدرك أدنى مستوى للنجاح ٠ وشتان بين الاثنين ٠

وشبابنا فى ميدان العلم والعمل ان لم يكن التفوق غايتهم فان واقعنا سوف لا يتغير كثيرا عما نحن عليه ، لانهم أمل المستقبل وبناته ، ولهم من مثلهم الاعلى – وهو الاسلام – خير حافز لان يدفع بهم الى أعلى المستويات فى كل منطلق وفى كل ميدان ٠

والامة هى مجموعة الافراد الذين تتألف منهم ، فان تحقق فى هؤلاء الافراد ما يرتفع بهم عن المستوى الادنى الى المستوى الاعلى ارتفعت الامة بهم وعرفها الجميع بأنها أمة مجدة عاملة ذات مستوى عال ومقام محترم ،

وتمكنت هذه الامة من فرض احترامها على الغير بما يتحلى به افرادها من صفات سامية وهمم عالية ومثل أعلى رفيع المنال بعيد الغاية .

والامة الاسلامية اليوم فى بداية يقظة وقد ادركت أنها متخلفة عن ركب الحضارة ، وأن منطلقها ان لم يكن بمثل القوة التى تدفع بالغير للتفوق فى ميادين العلم والعمل ، بقيت مستذلة مستضعفة ، لان العلم ـ بمفهومه الواسع ـ يحتاج الى شباب يؤمنون بضرورته ، ويعملون على تحقيقه لينتج أثره فيهم . ولن يتم لهم ذلك ان لم يكن التفوق مبتغاهم وهدفهم فى كل حقل وفى كل ميدان .

والتفوق يحتاج الى همم عالية وعزم شديد واقدام ودأب ، ويجب أن لا يكون التفوق مقصورا على فئة دون اخرى أو على ناحية دون ناحية ، لان أمور الحياة متشابكة ومتداخلة ، ولا بد من التفوق فى كل ميدان وفى كل منطلق حتى نتدارك ما فات ، ونلحق بالركب الحضارى ومن ثم نكون له هداة ومثلا أعلى .

وبداية المنطلق فى خط التفوق تبدأ فى كل طالب وعامل ، فان جعل هدفه قريب المنال تباطأت همته وقصرت خطواته وان جعله بعيد المنال وعزم على أن يناله اطرح الملاذ والشهوات جانبا وعمل بجد ودأب ، وباخلاص وعزم واذا به بعد فترة من الزمن يجد نفسه مقصرا ، وهو المجد ، ويجد نفسه أنه لا يزال جاهلا وهو الذى قطع شوطا كبيرا فى التعلم ، لان بعد الغاية يستتبع التعالى عن الدنايا والنظر الى ما سبق من جهد أنه قليل ولا بد من مضاعفته ، وهكذا تنطلق الامة بانطلاق افرادها فى كل ميدان اذا كانت غايتهم تحقيق المثل الاعلى وهو التفّوق والوصول الى أعلى مراتب النجاح فى شتى المنطلقات .

ولما كانت الامم هى الصورة الصادقة لواقع افرادها ، لذلك فان مثل الافراد ينطبق على الامم ، فان كانت الامة مقصرة فى ادراك ما تبتغيه يكون التقصير من هؤلاء الافراد ، لانهم لم يعملوا فى رفع مستوى أنفسهم فهبط مستوى أمتهم لهبوط مستواهم .

لذلك نجد أن بعض الامم اذ تحاول أن تدرك خطا من النجاح تدفع بافرادها الى أن يعملوا بوعى ودأب ، وبمقدار ما يتكون عندهم مثل هذا الوعى والدأب يتحقق للامة ادراك بعض مستويات النجاح . فما هو مقياس التفوق وما هو مقياس النجاح بين الامم ؟!

ان النجاح يمكن أن نعبر عنه بأنه ادراك أولى مستويات الحياة الحرة ، ومن هنا يخرج من نطاق البحث الامم المستذلة أو المستضعفة ، اذ أن حياة الامم رهن بحريتها وبمقدار

ما تحققه لابنائهامن مستويات النجاح، وهذا يعنى أن الامة لا بد لها أولا من الحرية لكى يعمل ابناؤها فى مصلحة أنفسهم ولا بد لها ثانيا من العمل لادراك بعض مستويات النجاح •

وهنالك من الامم – الحرة طبعا – من قطعت أشواطا بعيدة فى مستويات النجاح وبلغت درجة من التفوق لم تدانيها فيها أمة اخرى ، فمثل هذه الامة تبقى سيدة نفسها وسيدة كثير من الامم ما دامت – هذه الامم – فى حاجة اليها •

وليس النجاح الا مفتاحا للتفوق فيما اذا كان المثل الاعلى للامة أبعد شوطا من أن يتحقق بسهولة ، لان بعد الغاية يستتبع بعد الهمة • وعلو الهمة من الايمان ، وليس أتفه فى نظر (الهمام) من أن يجد نفسه قد حقق بغيته ، وانقطعت غايته ، لانه بذلك يقضى على قوة الاندفاع فيه ويخمد جذوة هذه القوة ويعود القهقرى فيهرم ويموت • وهذا المثل ينطبق على الامة ايضا فما هو نصيب أمتنا من التفوق أو قل من النجاح ؟•

ان هذا النصيب أمر موضع نظر • وليس أدل على ذلك من واقع التخلف الذى نعيشه بالنسبة للنهضة المعاصرة • ومقياس التفوق لا يقتصر على الحضارة المادية فقط ، لان مدلوله، يشمل مفاهيم الحياة بجميع مرافقها •

وأما منا الان منظمات عالمية منبثقة عن هيئة الامم المتحدة لها أوسع النشاطات فى المجالات التنظيمية والتوجيهية اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا وما الى ذلك من الشؤون الاخرى التى توليها عنايتها الخاصة •

وهذه المنظمات فيها ممثلون عن بعض الامم المنضمة الى هيئة الامم المتحدة وفيها عاملون مختصون متفرغون لادارة أمور هذه المنظمات •

واذا تعرفنا على عناصر هؤلاء العاملين المختصين فى هذه المنظمات نجد نسبة ضئيلة جدا تعمل فيها من ابناء أمتنا ونجد غالبية العاملين من العناصر الاخرى •

وقد قيل بأن نسبة العاملين من الصهاينة فى هذه المنظمات كبيرة جدا ، ومن هذه النسبة نستطيع ان نستنتج أثر هؤلاء فى هذه المنظمات وما يمكن ان يفعلوه او يقدموه لامتهم من خدمات ، وما يمكن ان يحصلوا عليه من عون او تأييد لدى الكثير من الامم (المتخلفة او النامية) التى يكثر فيها أمثال هؤلاء الخبراء ، وما لهم من أثر ونفوذ لدى الدول المتقدمة الاخرى •

فهل توصل هؤلاء الخبراء الى اشغال هذه المناصب الحساسة دون جدارة او تفوق ؟

ان الاصل فى تحقيق الهدف

صحة المنطلق ، ويعنى هذا القول أن وصول امثال هؤلاء الى مثل هذه المناصب قد تم فى بداية أمره نتيجة لما عندهم من كفاءات واختصاصات عالية ، ومن ثم قد يكون من المحتمل وقوع مساعدة أو مساندة هؤلاء المتفوقين الاوائل لبعض عناصرهم بغية تقريبهم وجلبهم الى هذه المنظمات مع العمل على استبعاد غيرهم ٠

وهذا أمر واقعى ومؤكد ٠ وهو فى مصلحة هؤلاء الصهاينة ، لانهم يهدفون من ورائه توسيع دائرة نفوذهم فى هذه المنظمات ،والوصول من وراء هذا النفوذ الى تحقيق أغراضهم عن طريقه ٠

واذا اردنا تقليص نفوذ هؤلاء الصهاينة من هذه المنظمات ، فهل من الممكن أن يكون مردود هذا التقليص فى مصلحة ابنائنا ، أو أنه بامكان ابنائنا اشغال مناصبهم ؟

ان الواقع يجعلنا نستبعد هذه الفرضية ، اذ أن امكانات ابنائنا العلمية لا تؤهلهم لان يملؤا فراغ هؤلاء ٠ ولا بد لاشغال هذه المناصب من عناصر علمية اخرى ٠ لذلك فسيتقدم اليها من تتحقق فيه الشروط المطلوبة من أية أمة من الامم الاخرى ٠

وبعض ابناء الامم الاخرى قد لايقل عداؤهم لامتنا عن عداء الصهاينة ، وقد تكون الصهيونية ذات نفوذ عليهم أيضا ، لان عناصر التفوق اليهودى فى عالم المادة بارزة فى كل نشاطات الامم ، لذلك فان المشكلة تبقى دون حل ٠

وان أقرب طريقة لكى تفرض نفسك على الغير وتفرض عليهم احترامك هو أن تكون كفوءا لهذه المناصب وأجدر بها من غيرك ٠ وأن يكون عندك من التفوق ما يساعدك على التقدم عن غيرك ٠ وازاحة كل من يحرص على منافستك على هذه المكانة ٠

وهذا أمر لا يتحقق ان لم يكن فى امتنا علماء كثيرون جدا ، وان يبرز فيهم نبغاء متفوقون تعترف لهم الامم الاخرى بهذا التفوق ،، وترى انها بحاجة لامثالهم حتى نتمكن من اشغال هذه المناصب الحساسة الخطيرة ٠

وهل يتحقق لنا ذلك ، ان كانت غاية شبابنا من الدراسة ان ينجحوا – جرا – أو أن يحصلوا على الشهادة المطلوبة فى أدنى الدرجات ، وان تنتهى دراستنا عند انتهاء تقديم الفحص الى هذه الشهادة ، وان نتوقف عن كل نشاط علمى بعد نيل هذه الشهادة وان لا يدفع بنا علو الهمة الى متابعة الدراسات العلمية والاسهام فيها بكل ما هو جديد ونافع ؟!

ان واقع امتنا – على ما فيه من مظاهر اليقظة – واقع مؤلم ٠ وقد

يدعو الى اليأس احيانا ، لان مظاهر الحضارة التى تغمر بلادنا لا تعنى أننا اربابها ، وانما نحن من المستهلكين لنتاج هذه الحضارة ٠

ولو انقطع عنا مورد هذا النتاج لعدنا الى تخلفنا السابق حتى فى مظاهر هذه الحضارة لاننا ما دمنا بعيدين عن الابداع وجاهلين مبادىء الايجاد والصنع ،فنحن عالة على غيرنا حتى ننتقل من هذه الحالة الى حالة تمكننا من الاعتماد على أنفسنا عند الملمات ٠

ولايضاح هذه الفكرة اورد مثلا عليها : حالة المانيا عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ، فان هذه البلاد قد تهدمت منشآتها ومصانعها وتضررت فى مواردها واقتصادياتها ، وحتى فى ابنائها الشيء الكبير فهل ماتت هذه الامة أم انها عادت الى الحياة أقوى مما كانت عليه من قبل ؟

ان واقع الامة الالمانية يؤكد انها استعادت مكانتها الاولى ، وانها تفوقت حتى على المتغلبين عليها فى شتى الميادين العلمية ــ الا فى النواحى الممنوعة عليها بحكم شروط المنتصر ٠

فلو أن هذه الامة كانت صفرا من ناحية الابداع الفنى والتطبيق العلمى وكان جل ابنائها منصرفين الى القيل والقال ، والى اضاعة الوقت والمال فى اللهو والعبث ، والى قتل حيوية شعبها فى التافه من الامور ، فهل كانت حققت منجزاتها العلمية الحالية ؟

وكذلك أمة اليابان التى تسابق دول العالم فى التقدم العلمى والصناعى ، باستثناء ما هو محظور عليها ، فهل تقهقرت لخسرانها الحرب العالمية الثانية وخضوعها للولايات المتحدة الامريكية ؟

ان واقع الامة اليابانية يؤكد أن مبدأ التفوق عندها هو الاصل حتى استطاعت ان تتغلب على الصعوبات العديدة التى اجتاحتها اثناء الحرب وبعدها بزمن قليل ٠

ولولا الجد والاخلاص فى العمل والوعى الصادق عند ابناء هاتين الامتين وتحقيق التفوق فى ميدان العلوم والفنون لما كانت توصلت هاتان الدولتان الى هذه المكانة العلمية الفريدة بين الامم ٠

ان التفوق ليس أمنية تبتغى فحسب وانما هو غاية تقصر عن تحقيقها بغاث الطير ، ولا بد لتحقيق هذا التفوق من نفوس كبار وعزائم جبارة وتعاون مثمر واخلاص صادق وتفان وبذل ، وايثار وتضحية ٠ وليست هذه كلمات مثالية يصعب تحقيقها ، وانما هى مفتاح النهضات عند كل أمة تبتغى الحياة لابنائها ، وعندما تحلت بها أمتنا فى غابر أيامها

حققت التفوق على من يعاصرها من الامم ، وحققت معنى ما جاء فى الاثر من قول الرسول صلى الله عليه وسلم ! أنتم بين الامم كالشامة البيضاء فى جلد البعير الاسود أو كالشامة السوداء فى جلد البعير الابيض ·

فهذا التمايز الواضح الصارخ لما ارادنا الرسول أن نكون عليه هو التفوق المقصود فى بحثنا هذا فى أن نكون متفوقين فى كل شىء وان نتميز عن غيرنا فى كل شىء · وان لا نكون عالة على غيرنا من الامم ولولا ذلك لما صح معنى هذا التمايز مطلقا ·

والتفوق فى شتى الميادين لا بد له من منطلق واولى منطلقاته هو العلم(★) والتزود منه بخير زاد ، لان العلم هو أساس كل نهضة وحضارة وصدق الله العظيم · «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ·

والعلم لا يأتى بمجرد التمنى والمزاعم ، وانما لا بد له من عمل ولا بد له من اخلاص ولا بد له من همة من تعب وسهر ولا بد له من اخلاق ولا بد له من سلطان يأطر الناس عليه أطرا ·

وان لم يتحقق فى امتنا مفهوم التفوق فستبقى دون غيرها من الامم وسيتغلب عليها من يسلك سنن الحياة، وسنكون مستذلين مستضعفين عاجزين عن أن نتبوأ المكانة اللائقة بنا كخير أمة اخرجت للناس ·

ولكل مجتهد نصيب ، ومن طلب العلا سهر الليالى ، ومن سار على الدرب وصل · والله الموفق والهادى الى الصراط المستقيم ·

(★) وردت فى هذا المقال بعض المصطلحات العامة الشائعة كـ « العلم » و « النهضة » و « الحضارة » ولا شك أن مدلول هذه المصطلحات فى الثقافة الغربية يختلف عنه فى ثقافتنا ، ولا شك — أيضا — أن كاتبنا يكتب بروح اسلامية ، ومن هنا فهو حينما يتحدث عن « العلم » و « النهضة »و« التخلف»و « الحضارة » ، فهو يقصد مضمونها الاسلامى البعيد عن كل شوائب المادية والانحراف ·وحبذا لو حدد علماؤنا وكتابنا مصطلحاتهم ، اذن لخرجنا من دائرة اللبس والتشابه · ودخلنا فى دائرة الوضوح والاحكام ·

المجلة

محب الدين الخطيب

لمحات من حياته وقبسات من أفكاره

بقلم الشيخ ممدوح فخرى
المدرس بكلية الدعوة واصول الدين

فى بقعة من أجمل بقاع القاهرة ، فى جزيرة الروضة السابحة فى النيل الهادىء ، كان يقيم ذلك الراحل العظيم محب الدين الخطيب الذى تناقلت الصحف نعيه فى الاسبوع الماضى ، أجل لقد مات محب الدين ذلك الكاتب الكبير والمفكر الجليل والعالم المحقق • والمسلم الغيور على عقيدته وتراثه وأمته • فرحمه الله وطيب ثراه وجعل الجنة متقلبه ومثواه •

فى تلك الجزيرة الجميلة وفى الاعوام الاخيرة من عمره المبارك الميمون كان لى شرف التعرف على ذلك المسلم العظيم الذى كنت قد قرأت له وعنه قبل لقائه فعظم فى عينى وسما فى نفسى ووجدت لدى الرغبة العظيمة فى التعرف عليه والالتقاء به • وكان ذلك اثناء دراستى فى الجامع الازهر حيث تشرفت بزيارته • فى مكتبته الكبيرة فى شارع الفتح فى الروضة فى ذلك الحى الهادىء الحالم ، وبين أكداس وتلال من الكتب وخلف نظارته الساقطة على أنفه وتحت طربوشه الاحمر وفى جلبابه الابيض كان يجلس محب الدين وعلى محياه معالم الثمانين التى قضاها فى جهاد دائم بقلمه ولسانه وقلبه ويده • وكانت زيارة مباركة تلك التى تلتها زيارات شبه دورية لسنوات أقمتها هناك • وكان على أثر ذلك ان توثقت به صلاتى وكثرت له زياراتى ، وعدت من ذلك كله بحصيلة مباركة من توجيهاته القيمة وارشاداته السديدة وتجاربه الكثيرة خلال عمره المديد

اضف الى ذلك مجموعة من الكتب النادرة التى وجدتها فى مكتبته الكبيرة التى كانت تعلوها طبقة سميكة من الغبار لانها لم تمسسها يد منذ سنين . لقد تعرفت على محب الدين رحمه الله فى الوقت الذى تنكر له فيه المجتمع الذى كان يعيش فيه وقد لا أكون مبالغا اذا قلت بأنى كنت الوحيد الذى كان يقصده فى أيامه الاخيرة ولكنى فى كل مرة كنت احرص على أن اصحب معى مجموعة جديدة من الشباب المسلم الذين كنت احرص على أن يتعرفوا به ويأخذوا عنه ، لقد كان يعيش أيامه الاخيرة رحمه الله فى غربةقاتلة ولم يكن يتصل بالمجتمع الذى يعيش فيه الا عن طريق بعض الصحف التى كان مشتركا فيها . وحتى أصحاب المكتبات لم يكونوا على صلة به وبمطبوعاته القيمة التى كان يصدرها ، وأذكر انى قدأحضرت كثيرا من مطبوعاته لبعض المشايخ والطلاب وأصحاب المكتبات التى كانوا يطلبونها منى لصلتى به .

وفى الاسطر التالية سأذكر لمحة عن حياته وصورا من الخواطر والذكريات عنه وفاء بحق ذلك الرجل الذى كان وفيا لدينه ووطنه وأمته .

لمحة عابرة عن حياته : ولد رحمه الله عام ١٣٠٥ فى دمشق الشام من اسرة عريقة أصيلة النسب هاشمية تعود اصولها الى على بن أبى طالب رضى الله عنه . وكان أبوه وجده عالمين جليلين وعنهما أخذ معلوماته الاولى ، وبدأ تعليمه الاولى فى دمشق وأتمه فى بيروت ، وأما شيخه الذى كان يجله كثيرا ويذكره بخير دائما فهو المرحوم الشيخ طاهر الجزائرى وكان يقول رحمه‌الله منه تعلمت عروبتى واسلامى ، وقد مدحه بقصيدة جميلة فى شبابه لا يتسع المجال لذكرها . ثم سافر رحمه الله الى استانبول والتحق هناك بكليتى الحقوق والاداب وفى تلك الاثناء التقى بمجموعة من المثقفين العرب الذين كانوا يدرسون فى استانبول ورأى منهم انهيارا فى شخصيتهم وذوبانا فى غيرهم وتزلفا الى غير العربية والعرب ، فأسس جمعية النهضة العربية ، لتذكر العرب بأصالتهم وبدورهم القيادى فى حياة البشرية .

وبعد اتمام دراسته هناك عاد الى دمشق ولكن لم يطب له المقام فيها من جراء مضايقات بعض الجهات المسؤولة فسافر الى بيروت ومنها الى استانبول ثم قصد اخيرا الى القاهرة ، وحينما تأزمت الاوضاع فى الجزيرة العربية وفى بلاد الشام وقامت الثورة العربية الكبرى التحق بها محب الدين وأشرف على تحرير جريدة القبلة التى كان يصدرها الشريف حسين ، ولكن سرعان ما تبين حقيقة الشريف حسين وأنه

لم يكن يريد ثورة اصلاحية مسلمة شاملة وانما قام بثورته للحفاظ على منصبه وطمعا فى منصب أعلى تخلى عنه ، وكان يقول : ان الشريف حسين وأولاده كانوا يعيشون بعقلية الاقطاعيين الذين يريدون الاوطان مزارع للملوك ٠

لقد قامت فى تلك الفترة فى البلاد العربية حركات وجمعيات كثيرة وساهم محب الدين رحمه الله فى نشاط الكثير منها ، ولكنه كان مخالفا لكثيرين من رواد تلك الحركات ، لقد وجد يومئذ نوعان من الحركات العربية ، نوع عنصرى قومى يريد تحطيم الاخوة الاسلامية وضرب الخلافة وتهديم الدولة العثمانية بسلاح النعرات القومية والعصبيات الوطنية ، وهذا النوع كان يلقى التأييد الكلى من المستعمرين ومن النصارى والملاحدة من المسلمين ونوع يؤمن بخصائص الامة العربية الاصيلة وجدارتها بحمل رسالة الاسلام وقيادة الامة الاسلامية وزيادتها بهذا الدين مع الابقاء على الخلافة الاسلامية والرابطة الايمانية فى نوع من الحكم الذاتى الذى يبرز خصائص كل قطر وكل أمة او الامة العربية بالذات ، ومن دعاة هذه الحركة كان محب الدين رحمه الله ٠ وقد دعا لفكرته هذه فى بلاد الشام الى أن دخلت القوات الفرنسية دمشق وغادرها فيصل ابن الشريف حسين قبل دخول تلك القوات فاضطر محب الدين أيضا الى مغادرتها متخفيا فى زى تاجر جمال عربى ، الى أن وصل الى القاهرة بجواز سفر مزور حصل عليه من يافا فى طريقه الى مصر ٠

وبعد ان ضرب محب الدين رحمه الله فى أرجاء الوطن الاسلامى الكبير من الاستانة الى اليمن الى العراق الى مصر فى مهمات عظيمة رأى اخيرا أن يستقر فى مصر ، ويجعل منها منطلقا لدعوته وميدانا لجهاده لما لمصر من المكانة والتأثير فى العالم الاسلامى كله ٠

وفى هذه المرحلة الجديدة مرحلة الاستقرار توضحت معالم شخصية محب الدين وتحددت مبادىء دعوته ، وبرزت آراؤه وأفكاره بشكل واضح ومركز واستمر يدعو لها بعزيمة لا تعرف الكلل وبهمة لا تعرف الملل الى أن وافاه الاجل وهو صابر محتسب ٠

بعد أن استقر محب الدين رحمه الله فى مصر عمل بعض الاعمال الفرعية ثم اسس المكتبة السلفية الكبرى ومطبعتها ، وجعلها كبرى وسائله فى جهاده الطويل المدى وكفاحه الطويل النفس وجعل ينشر فيها من كنوز التراث الاسلامى عشرات الكتب ، ويطبع فيها رسائل من تأليفه وتأليف كبار العلماء والمفكرين من اخوانه ، ثم اصدر منها مجلته الاولى (الزهراء) والتى استمرت عدة سنوات ، ثم أصدر مجلته الاسبوعية

(الفتح) التى تعتبر الى يومنا هـذا من أقوى المجلات الاسلامية الـتى ظهرت فى العالم العربى • لقـد استمرت مجلة الفتح تصدر خمسة وعشرين عاما فى مرحلة من أصعب المراحل التى مرت بها الامة الاسلامية فى تاريخها الحديث ، وقد تبنت الفتح فى تلك المرحلة العصيبة قضايا العالم الاسلامى واستقطبت حولها كتاب العالم الاسلامى كله ، وتصدت للدفاع عن حقائق الاسلام وحقوق المسلمين •

وقد بين رحمه الله الفكرةالداعية الى اصدار الفـتح فى احـدى افتتاحياتها فقال : ان الفتح انشئت لماشاة الحركة الاسلامية وتسجيل أطوارها ولسد الحاجة الى حاد يترنم بحقائق الاسلام مستهدفا تثقيف النشء الاسلامى وصبغه بصبغـة اسلامية أصيلة يظهر أثرها فىعقائد الشباب واخلاقهم وتصرفاتهم وحماية الميراث التاريخى الذى وصلت أمانته الى هذا الجيل من الاجيال الاسلامية التى تقدمته (العدد الاول من عـام ١٣٥٣) •

ومن هـذه الكلمة الجامعـة يبدو أن الفتح كانت مدرسة كبرى تعنى بتثقيف الجيل المسلم وتربيته ومعالجة قضايا واقعه على اختـلاف أنواعها • وفى مدة ربـع قرن من الزمان والفتح تفتح آفاقا جديدة أمام المسلمين من الوعى الاسلامىالصحيح والفكر السياسى النير والمعالجـة السليمة لقضايا العالم الاسلامى على ضوء هذا الدين الحنيف ، وبعد هذا الجهاد المرير مع مختلف اعداءالاسلام فى الحاضر والماضى عـلى صفحات الفتح اضطر محب الدين رحمه الله على ايقافها ، وحينما سئل عن سبب ذلك قال : أوقفتها حينما أصبـح حامل المصحف فى هذا البلد مجرما يفتش ويعاقب ، ولـكن اذا توقفت الفتح فان قلم محب الدين لم يتوقف وانما استمر فى طريقه الذى اختطه لنفسه من نصرة هذا الـدين حتى الرمق الاخير • فالى جانب التحقيق والتعليق وكتابة الرسائل والاشراف على ما يطبع فى مطبعته الكبيـرة تولى رئاسة تحرير مجلة الازهر لمدة ست سنوات من١٩٥٢ الى١٩٥٨/م وقبل ذلك كان قد اسس جمعية الشبان المسلمين بالتعاون مع عدد كريـم من شخصيات مصر وعلمائها وعـلى رأسهم العلامة المحقق أحمد تيمـور والشيخ الجليل محمد الخضرحسين شيخ الازهر الاسبق وغيرهما •

وعن غايته من تأسيس هـذه الجمعية يقول رحمه الله : كنت أنا واحمد تيمور باشا والسيد محمـد الخضر حسين حريصين عـلى أن تكون هذه المؤسسة الاولى للاسـلام فى مصر قائمة على تقـوى من الله واخلاص ، وكنا حريصـين على أن يتولى ادارتها رجال يعرفون كيـف يصمدون لتيار الالحاد الجارف بعد أن استولى المتابعون للاستعمار عـلى أدوات الثقافة والنشر فى العالـم

الاسلامي وفي مصر على الخصوص ·
ويقول أيضا : وكانت الجمعية حدثا كبيرا من أحداث الحركة الاسلامية لان دعاة الالحاد والتحلل كان قد استفحل أمرهم وظنوا أن قيادة الامة قد افلتت من أيدى ممثلي الاسلام وانتظمت الى أيديهم »· وهذهالجمعية وان انحرفت عن كثير من الغايات التي وجدت لاجلها فانها لا تزال قائمة الى يومنا هذا ولها مجلتها الناطقة باسمها ، ومن على منبرها وفي مواسمها الثقافية قد استمعنا لعدد كبير جدا من علماء مصر ومفكريها ·

وعلى أثر سوء تفاهم مع القائمين على الازهر استقال رحمه الله من رئاسة تحرير مجلة الازهر ، وكان ذلك اخر عمل رسمي له ، ثم انزوى في مكتبته ومطبعته وقطع تقريبا كل صلة له بذلك المجتمع وانكب على التأليف والتحقيق ،وحتى الاعمال التجارية الصرفة كانت شبه مقطوعة مع المكتبات المصرية وكان جل تعامله في آخر أمره مع المؤسسات والمكتبات السعودية ·واليوم الوحيد الذى كان يخرج فيه الى المجتمع من جزيرته الهادئة القصية هو يوم الجمعة بعد العصر حيث يذهب الى سوق الكتب المقامة على سور حديقة الازبكية في القاهرة ويشترى من هناك مجموعات كبيرة من الكتب المختلفة القديمة والحديثة وكان يحملها بيديه الكليلتين وعلى كاهله أعباء الثمانين ويتمايل في مشيته ويتعثر حتى يجد سيارة تقله الى بيته وقد ثابر على هذه العادة الكريمة الى ما قبيل وفاته رحمه الله وقد جمع من ذلك مكتبة ضخمة خاصة به فاقت على ما أعتقد كل مكتبة خاصة في مصر ما عدا مكتبة العقاد ، حيث بلغ تعداد كتبه الخاصة ما يزيد على عشرين الف كتاب وكانت فهارسها تبلغ خمسة وستينمصنفا· وكان رحمه الله قد جعلها قبل وفاته وقفا على أهل العلم من ذريته وقد بنى ولده قصى دارا جديدة في محلة الدقي في القاهرة وخصص الطابق الاول منها لتلك المكتبة ، كما قال ذلك هو رحمه الله ·

ولقد كان رحمه الله محتفظا بحيويته حتى اواخر ايام حياته وكان يعزو ذلك الى اعتداله في حياته كلها في مأكله ومشربه ومنكحه · وكان ذا صبر وجلد على العمل لا يعرف معهما السامة والملل · وكان منظما في شؤونه كلها عصاميا في تدبير أمره وتكوين ثروته وبناء حياته وشخصيته ·

ولقد ترك رحمه الله ثروة فكرية كبيرة تتمثل في مجموعة الكتب والرسائل والتعليقات ، والتحقيقات التي كتبها في مراحل عمره المختلفة وجميع كتاباته تتميز بالاسلوبالادبى الرفيع والبيان البديع والحرارة الصادقة في العاطفة والفكرة العلمية

المحققة · ومن أهم الاثار الفكرية التى خلفها رحمه الله هى ما يلى: كتاب توضيح الصحيح وهو شرح لصحيح البخارى بقلمه وقد رأيت منه مجلدات فى بداية طبعه له حيث كنت هناك ، ولا أدرى فى كم جزء تم الكتاب أو لم يتم ولكن الاستاذ انور الجندى قال فى كتابه مفكرون وادباء بأنه فى ثمانية اجزاء كبار وهو قطعا قد اطلع عليه بعدى · كتاب الحديقة وهو مختارات فى الادب الاسلامى فى مختلف العصور وفى مختلف الموضوعات وهو فى أربعة عشر جزءا· كتاب مع الرعيل الاول · كتاب اتجاه الموجات البشرية فى جزيرة العرب ـ كتاب البهائية ـ رسالة الجيل المثالى ـ حملة رسالة الاسلام الاولون ـ الغارة على العالم الاسلامى ـ ترجمة ـ تاريخ مدينة الزهراء ـ الازهر ماضيه وحاضره · الخطوط العريضة للديانة الاثنى عشرية الامامية · وله تعليقات قيمة على كتب عديدة منها تعليقاته الرائعة على كتاب العواصم من القواصم لابن العربى المالكى ، وهى أكبر وأهم من الكتاب · وكذلك تعليقاته على كتاب المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبى وتعليقاته على مختصر التحفة الاثنى عشرية للالوسى · وتعليقاته المفيدة على كتاب الاكليل للهمدانى· وقد طبع كتاب الادب المفرد للبخارى مع تخريج أحاديثه وكذلك طبع فتح البارى بشرح البخارى لابن حجر مع الاشارة الى الابواب التى تفرقت فيها الاحاديث بالتعاون مع محمد فؤاد عبد الباقى · وما نشر كتابا الاوكتب مقدمة علمية عن المؤلف وعن الكتاب ثم هناك مئات من المقالات التى كتبها فى موضوعات شتى خلال عمره المديد فى الزهراء والفتح والازهر وغيرها من الصحف والمجلات ·

وكان رحمه الله يجيد اللغات العربية والتركية والفارسية والفرنسية ·

تلك هى لمحة عن حياة ذلك الرجل الراحل العظيم اقتصرنا فيها على ما حضرنا وما أجدره رحمه الله أن يكتب عنه كتابة مستفيضة للوقوف على مراحل حياته والاستفادة من تجاربه وخبرته ·

وأريد الان فى الشطر الثانى من هذه الكلمة أن أقرب للقراء الكرام أبرز النواحى الفكرية من اتجاهات محب الدين ·

لقد كان يدعو باختصار شديد الى الاسلام الصحيح الذى جاء به محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه · وفى هذا المجال يقول رحمه الله : اننى من أنصار الاصلاح الاسلامى وكنت ولا أزال أفهم هذه الكلمة الاصطلاحية ان الاسلام هو الذى كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما فهمه منهم التابعون · فالاصلاح الاسلامى هو تجديد الاسلام من البدع الطارئة وتخليصه من الدخيل الذى يحسب الجاهلون أنه منه وما هو منه · ومن

الاصلاح الاسلامى بث روح النشاط بين المسلمين لاحياء مقاصد دينهم وتحقيق أغراضه وحسن التعبير عنه من الدعوة اليه وتأليف الكتب عن حقائقه وأحكامه وتاريخه • ومع هذه الدعوة الى الاسلام بجملته فقد كانت هناك نقاط هى أبرز من غيرها فى تفكيره وهو أشد اعتناء بها من غيرها وأهم هذه النواحى هى ما يلى :

السلفية الصافية : كان رحمه الله من أشد انصار السلفية النقيةفى العقيدة والعبادة وهذه سمة بارزة فى كل كتاباته ، وقد تحصلت لديه هذه الفكرة ونما عنده هذا الاتجاه لانه قرأ فى شبابه فى دمشق كثيرا من مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية المطبوع منها والمخطوط فى المكتبة الظاهرية وذلك بواسطة والده الذى كان يعمل فى تلك المكتبةوبواسطة شيخه المرحوم الشيخ طاهرالجزائرى وظل مقتنعا بهذا الاتجاه قوى الايمان به مدافعا عنه بقلمه ولسانه متصديا لكل من يتعرض له ، مروجا للكتب المهمة التى تدعو اليه وقد كان له فضل كبير فى تمنية هذا الاتجاه لدى ورعايته فى نفسى فجزاه الله عنى وعن المسلمين وعن الاسلام خيرا •

الوقوف فىوجه الباطنيةوالرافضة: من أهم المواضيع التى فازت بالكثير من اهتمام المرحوم موضوع الرافضة والباطنية ولقد كان شديد العناية بهذا الموضوع متتبعا لمراحل كيد الرافضة للاسلام واقفا على الاصول التى يقوم عليها باطنهم مدركاخطرهم العظيم على الاسلام فىالماضى والحاضر ودورهم الكبير فى تحريف العقيدة الاسلامية الصحيحة وتشويه التاريخ الاسلامى المشرق • وكانت لديه الاصول الخطية والمطبوعة من كتب الرفض والباطنية ، وكثيرا ما أطلعنا على مخازيهم من كتبهم •وفىاعتقادى أن محب الدين رحمه الله كان يسقط عن المسلمين فرض كفاية فى تصديه لحملات الباطنية على الاسلام وفى وقوفه على الدوافع الحقيقية لتلك الحملات واحاطته بمراحل سريان سرطان هذه الفرق الضالة وسمومها فى عقيدة المسلمين وتاريخهم • وكان يقول : ان الرفض والباطنية تعبير عن الحقد الدفين والمرير فى قلوب المجوس واليهود على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم أقاموا المسجد الاقصى على أنقاض هيكل سليمان ، وأخمدوا نار المجوس الى الابد ، وحينما جبنوا عن مجابهة الاسلام وجها لوجه دخلوا فىسراديب تحت الارض واعلنوا على الاسلام وحملته حربا ضروسا دامية ما زالت تتوقد نارها ويزداد اوراها على مدى هذه القرون المتطاولة من تاريخ الاسلام • وفى السنوات الاخيرة استطاع الرافضة فى ظروف أن يفتتحوا فى القاهرة دارا سموها دار التقريب ، وهى أجدر ان تسمى بدار التخريب لان غايتها الاولى والاخيرة هى تخريب عقائد المسلمين وتقريبهم

نحو ضلال الرافضة وتهديم الجامع الازهر كما صرح بذلك يوما ما رئيس تلك الدار - القحى - فى مجلس خاص نقله عنه احداصدقائنا الثقات

وقد استطاعت هذه الدار أن تشترى مجموعة من علماء السوء ارتضوا لانفسهم ان يكونوا اجراءلديها ومروجين لاباطيلها . وحينما توصل بعض هؤلاء الى مراكز عالية فى بعض المؤسسات العالمية الاسلامية حاولوا فرض تدريس مذهب الرافضةرسميا وسارع بعض المرتزقة من العلماء للتأليف فيه فعلا ، وحنئذ توجه نفر كريم من علماء الازهر الغيورين على رسالة الاسلام الى الاستاذ محب الدين رحمه الله وقالوا له :ان الكتابة فى موضوع الرفض ومحاولات فرضه للتدريس أصبحت فرض عين عليك وطلبوا منه أن يكتب فى ذلك فكتب يومئذ كتابه النفيس جدا وهو : الخطوط العريضة للديانة الاثنى عشرية - وأبان فيه الاسس التى يقوم عليها دين الرافضة من كتبهم ومراجعهم التى كانت بحوزته واتى بنقول مخزية لا مجال لرفضها لانها من أمهات كتبهم مع تحديد الكتاب والمجلد ورقم الصفحة اومكان الطبع وتاريخه واظهر فيه بكل جلاء كيف أن الرافضة فى حقيقة أمرهم يعبدون آل البيت وفى غيبة هؤلاء يعبدون مجتهديهم وكيف يحكمون بارتداد جميع الصحابة مما عدا خمسة فقط وكيف يجعلون من أصول دينهم التبرى من الشيخين أبى بكر وعمر رضى عنهما ، ويعتبرون لعنهما من القربات ويسمونهما بالجبت والطاغوت ، وبصنمى قريش ويجعلون لعنهما من جملة رواد ختم الصلاة ويسمون قاتل عمر(بابا شجاع الدين) ويحتفلون بيوم مصرع عمر رضى الله عنه . ويتهمونه رضى الله عنه فى عرضه . ويقولون بتحريف القرآن الكريم وبنقصه ولهم فى ذلك كتاب : فصل الخطاب فى تحريف كتاب رب الارباب ،وكيف يؤمنون بعقيدة الرجعة وهى القيامة الصغرى وكيف يطعنون فى عرض عائشة رضى الله عنها ، مع بيان الاصول اليهودية التى لا شك فيها لذلك الدين الزنيم . كل هذا وغيره قد كشف عنه محب الدين رحمه الله بأسلوب علمى محقق لا مجال للشك فيه ، وأذكر انه قد أعارنى يومئذ احدى نسختيه الوحيدتين اللتين لم يكن فى مصر غيرهما لان الكتاب طبع خارج مصر . ولقد كنت شديد الاشفاق عليه رحمه الله من كيد الباطنية وان تناله أيديهم بسوء وهى الايدى المجرمة القذرة التى نالت شخص الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعرضه واشخاص اصحابه الكرام وأعراضهم وعقيدة الاسلام وشريعته وتاريخه .

تحقيق حوادث التاريخ الاسلامى وتنقيته مما لحق به من الدس والافتراء :

لقد سألته مرة رحمه الله عن

أفضل كتاب في التاريخ الاسلامي فأجاب بأن التاريخ الاسلامي لم يكتب بعد وأفضل ما كتب فيه تاريخ : البداية والنهاية لابن كثير رحمه الله وكان يعتقد بأن تشويه تاريخ الاسلام والمسلمين كان مقصودا كتشويه عقائده وشرائعه . وكان يؤمن بأن ادراك الامة لامجاد ماضيها مفاخرةمن أعوانها على تقويم حاضرها . ولنفي الدسائس والافتراءات اللصيقةبتاريخ المسلمين وللاجلاء عن عظمة ذلك التاريخ وصانعيه كان يدعو الىدراسة التاريخ على طريقة المحدثين بالتثبت من الروايات التاريخية واسانيدها الصحيحة ، على ضوء ما هو مشهور ومعروف من سلوك صانعي التاريخ من الصحابة والتابعين ، ولا بد من تجريد التاريخ من الخبث الذى لحقه على ايدى اعداء الاسلام وعلى رأس هؤلاء الرافضة : وفي هذا المجال يقول رحمه الله :

والاسلام الذى لم تفتح الانسانية عينيها على أعلى منه رتبة وأعظم منه محامد يجتهد مؤرخوه في تشويه صفحاته والحط من قدر رجاله لان الذين دونوا تاريخ الاسلام كانوا أحد رجلين :رجل جاءبعد سقوط دولة فتقرب الى رجال الدولة الجديدة بتسويء محاسن الدولة القديمة ،، ورجل اتخذ من الشموس الاربعة : أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، مثلا أعلى ، فكل قمر من أقمار العرب مذموم عنده موصوفا بالضآلة والنقص لانه لا يراه الا على نور تلك الشموس التي لا تقاس مواهب غيرهم بهم . بل ان عثمان وتضحياته الملائكية محيت فضائلها من أدمغة المسلمين لسوء بيان المؤرخين ، ومعاوية الذى تتمنى أية أمة من عظام الامم أن يكون لها رجل يتصف بعشر مواهبه وفضائله صرنا نسمع ذمه من أقذر الناس وأحط السوقة والامين الذى كان كبار الصحابة يجاهدون تحت قيادته طائعين مختارين لصقت به أكاذيب تقرب الكثيرون بها الى الله جهلا وتعصبا ، أقول هذا وأنا علوي ، ولكني أخاف أن يقوض المسلمون صروح فضائلهم وأن يهدموا قلاعا هي من دواعي الفخر بينما ابناؤنا يتعلمون من الاوربيين وصنائعهم تمجيد رجال لو كشف الغطاء عن تاريخهم الحقيقي لشممنا نتنه . (مقدمة ديوان مجد الاسلام) .

ويبين أهمية تصحيح التاريخ فيقول : أنا مؤمن من صميم قلبي أن رسالة الاسلام جديرة بأن تستقبل من مظاهر العظمة في تهذيب الانسانية أبهر وأزهر مما كان لها في الماضي ولن تستوفي هذه الرسالة مهمتها الا بارجاع الانسانية كلها الى نظام الفطرة الطاهرة وذلك متوقفعلى شيء واحد هو أن يعرف العرب والمسلمون من هم وممن هم وما هي رسالتهم في الحياة . ولن يكون ذلك الا اذا بنوا مناهج تعليمهم واسس ثقافتهم ومعالم أدبهم على هذه

المعرفة والايمان بلوازمها وتعميم طريقهم نحو أهدافها • ورأس ذلك وعموده تصحيح تاريخ العروبة والاسلام وتجريده مما دس فيه • لقد كان محب الدين رحمه الله فخورا جدا بأمجاد الاسلام ومفاخر المسلمين وكان يحزن كثيرا لبقاء تلك الامجاد والمفاخر بعيدة عن أذهان الشباب المسلم خاصة والمسلمين عامة ، وله في مجال تخليد الامجاد الاسلامية واظهارها بثوبها القشيب اللائق عمل عظيم لا يجوز أن يذكر محب الدين الا ويذكر معه • هذا العمل العظيم هو ديوان مجد الاسلام للشاعر الكبير احمد محرم • وقصة هذا الديوان يلخصها محب الدين رحمه الله فى مقدمة الديوان بما مضمونه باختصار : لقد كان يقرأ فى المدارس العثمانية شيئا من اللغة الفارسية وآدابها من جملة مقرراتها ، وكان استاذ تلك اللغة يبالغ امامهم فى وصف (الشاهنامة) للفردوسى ، وبيانها المنظوم المعجز ويحدثهم عن صاحبها وكيف انه أحاط بتاريخ الفرس القديم ثم اتصل بأحد ملوكهم فأعطاه جناحا فى قصره وكلفه بأن ينظم أمجاد الفرس فأقام فى ذلك القصر ثلاثين عاما وهو ينظم الشعر الرائع فى أمجاد فارس حتى بلغت الشاهنامة وهى الديوان الذى وضعه لذلك (ستين ألف بيت) • كان يسمع ذلك محب الدين ويقول : اليس فى دنيا العروبة والاسلام من يقوم للعروبة والاسلام • بمثل هذا العمل الادبى الكبير ليتعرف شبابنا الى أكمل قومية برأها الله فى الدهر الاول وأعدها للقيام بأكمل رسالات الله • أيكون للمجوسية وظلمات الظلم كتاب يخلدها ولا يكون للفطرة السليمة الكاملة ورسالة الله العظمى من يدل عليها ويدفع الناس فى طريقهما « أليس من العار أن يكون للفرس الذين حفل تاريخهم زمن جاهليتهم بالشنائع ديوان مفاخر يغطى فيه البيان على العيوب ويلون ذا الوجهة منها بألوان زاهية ويسلط على ضئيل الخير منها شعاعا قويا مكبرا بأعظم المكبرات فتكون منذ ذلك (شاهنامة الفردوس) وأن يكون لليونان زمن وثنيتهم ، وأوهامهم لصبيانية ديوان مفاخر كالالياذة تتغنى بها الانسانية الى يوم الناس هذا والاسلام الذى لم تفتح الدنيا عينيها على أعلى منه رتبة وأعظم منه محامد يجتهد مؤرخوه فى تشويه صفحاته والحط من قدر رجاله » لقد بقيت هذه الفكرة تعمل عملها فى نفس محب الدين رحمه الله حتى التقى بالشاعر أحمد شوقى رحمه الله وتحدث معه عن الشاهنامة والالياذة واقترح على أمير الشعراء أن يكون اعظم احداث امارته فى الشعر اهداء مثل هذه الهدية الى العروبة والاسلام وأدبهما وعظمتهما من ماضيهما وحاضرهما ومستقبلهما (وهذا كلامه) واستمع شوقى الى هذا الحديث ولم يعد ولم يرفض ثم

زار شوقي وفد في منزله لتجديد الحديث معه فبقي عند موقفه من الصمت والابتسام ثم ظهر بعد ذلك كتيبه عن دول الاسلام وعظماء التاريخ ولعله كان من أثر ذلك الاقتراح ٠٠ ولكن المطلوب (كما يقول رحمه الله) كان أعظم من ذلك وقديما قيل: اذا عظم المطلوب قل المساعد ٠ ثم اتصل الاستاذ المرحوم بالشاعر الكبير أحمد محرم وقويت بينهما الصلة والمحبة فاقترح عليه ما اقترح على شوقي من تسجيل أمجاد الاسلام في ديوان من الشعر الرائع وقال له : لعل الله قد ادخر لك هذه المهمة واختارك لها لانك أقرب شعرائنا الى اخلاص القول والعمل واكثرهم توخيا لمرضاته فاستجاب احمد محرم رحمه الله لهذه الدعوة وكان من ذلك ديوان مجد الاسلام او الالياذة الاسلامية التي نظمها أحمد محرم رحمه الله ٠ وهو ديوان كبير يقع في ٤٥٠ صفحة نظم فيه الشاعر أهم أحداث السيرة النبوية والغزوات والوفود ، ويقول محب الدين رحمه الله في وصف هذا الديوان في مقدمته : ان أمجاد العروبة والاسلام أعظم من أن يحيط بها شاعر ولا سيما وأكثرنا لا يزالون متأثرين بما شوهت الشعوبية من تاريخنا ومع ذلك كان ديوان مجد الاسلام أعظم ما ظهر للناس حتى الان مجموعا في كتاب واحد من ومضات هذه الامجاد وستتمتع به نفوس محبي الادب الرفيع والنظم البليغ أزمانا وازمانا ٠

وأقول ان مما يؤسف له أن ديوان مجد الاسلام بقي طوال ثلاثين عاما مخطوطا ومحبوسا في الادراج والشاعر الكبير لا يجد من ينشره بتمامه رغم المحاولات الكثيرة مع المسؤولين الا ما كان من نشر محب الدين نفسه لفقرات منه في صحيفته الفتح وفي مجلة الازهر ، الى أن مات أحمد محرم رحمه الله قبل نشره وكادت تضيع اجزاء منه الى أن قامت مكتبة دار العروبة بنشره قبل حوالى ثمان سنوات تقريبا ٠ ان ديوان مجد الاسلام من أعظم الاعمال الادبية والشعرية في تاريخنا وهو عمل أدبي رفيع وشعر رائع بليغ ومع ذلك فاني أكاد أجزم بأن ثلاثة ارباع المثقفين في البلاد العربية لا يعرفون شيئا عن ديوان مجد الاسلام ولا عن الشاعر الكبير أحمد محرم الذى نظمه وكذلك لا يعرفون شيئا عن الديوان المستقل الذى نظمه أحمد محرم لسائر شعره ٠ لقد حرصت الجهات المعادية للاسلام في الاوساط الادبية والثقافية على اهمال الشعراء والادباء الاسلاميين وحاربت الاقلام المؤمنة واعطت مكان الصدارة فيها للادعياء من المارقين والملاحدة وذلك حرصا منها على تضليل الاجيال المسلمة وتسميم أفكار النشء وتشويهها ٠

ايمانه بامتزاج العروبة والاسلام :

يقول الاستاذ انور الجندى في كتابه أدباء ومفكرون : ولست أعرف كاتبا كان أوضح رأيا في ربط

الاسلام بالعروبة على النحو الـــذى يحقق فلسفة اليقظة وبناء النهضة كما يفعل السيد محب الدين الخطيب منذ سنوات طويلة فهو مؤمن بامتزاجهمـا واستحالة انفصامهما وهذه عبارتــه : ان العروبة ظئر الاسلام وان العروبة والاسلام كلاهما من كنوز الانسانيـة وينابيع سعادتها ، اذا عرف أهلهــا قيمتها واذا اتيحت لهما اسباب الظهور للناس على حقيقتهما. واذا ذلت العرب ذل الاسلام . ويقول : اننا عرب قبل أن نكون مسلمين . وهذا حق . ولكن لم نكن شيئا قبـــل الاسلام » . كان المرحوم قوى الايمان بخصائص الامة العربية واصالتها واستعدادهــا للخير وجدارتها بحمل رسالة اللــه وبطيب عنصرها ونقاء جوهرها، وصفاء فطرتها . ولقد أدرك محب الدين رحمه الله انهيار الخلافة الاسلاميـة وزوال الدولة العثمانية . وعاش فى مرحلة من أحرج مراحل التاريخ الاســلامى الحديث وهى مرحلة خضوع العالــم الاسلامى الضعيف للغـزو الصليبى القوى وحضر احتضار (الرجل المريض) كما كان يسمى الاعداء الدولة العثمانية فى أخريات آيامها وشهد النقلـــة الخطيرة فى حياة المسلمين فى تاريخهم الحديث من معالم الحياة الاسلاميـــة وتقاليدها الاصيلة الى الطراز الجديد من الحياة القائمة على أسس الحضـارة الغربية الغازية والقائمة على الالحـاد والاباحية مع الانسلاخ التام من كـل القيم والمثل والاخلاق وشهد افــلاس العنصر الـــتركى وعجزه عــن المضى فى تحمل أعباء الرسالة الاسلامية ، وشهد دعاة القومية الطورانية مـــن ملاحدة الترك يتسلقون الى مراكــز السلطة فى الدولة العثمانية وينهون الخلافة ويحاولون فرض القوميـــة التركية على الشعوب الاخرى الخاضعة للدولة العثمانية فى حركة عنصريـــة تحاول اذابة تلك الشعوب فى العنصر الحاكم دون أية مميزات أو مؤهلات للقومية المتحكمة سوى القهر والغلبة وخاصة بعد تنكرها للاســـلام . فى هذا الجو افتقد محب الدين رحمه الله الامة العربية والدور الذى يمكن أن تلعبه وقدراتها وخصائصها الـــتى ترشحها للقيام بذلك الدور . لذلك تغنى بالامة العربية وباستعداداتهـــا ولكنه لم يفهم من العربية يوما مـــا شيئا غير الاسلام ، وكان ينال مـــن الكتاب المسلمين الـــذين يفرقون بين العروبة والاسلام ويعتبرهم من جملة من ساهم فى نجاح الحركة القوميـــة البعيدة عن الدين . ولم يكن يوما ما قوميا عربيا ، وكان يغضب اذا وضع فى صف القوميين العرب الذيـــن ساهموا فى القضاء على الخلافـــة الاسلامية وانما كان يدعو كما قال : الى الحكم الذاتى الذى يبرز خصائص الامة العربية فى ظل الاسلام والخلافة.

لقد كان رحمه الله يؤمن بالســر العظيم الكامن وراء اختيار الله تعالى للعربية لغة لكتابه وللامة العربيـــة حاملة لاكمل رسالاته ، يقول رحمه الله : وأمجاد العروبة لا ينفك تاريخها من تاريخ الاسلام بحال فاذا حيل بين

الاسلام والعروبة كانت العروبة جسما بلا روح وكان الاسلام روحا بلا جسد وهذا تاريخنا العربى من بدايته الى اليوم لا نراه ازدهر وانتعش وكان مظهر العز والقوة الا فى الادوار التى كان الاسلام يزدهر فيها وينتعش ويأخذ نصيبه من العز والقوة ويكذب من يظن أن العرب تنمو عزتهم بروح اجنبية غير روح الاسلام • (مقدمة مجد الاسلام) •

ويقول رحمه الله فى تعليقه على ديوان مجد الاسلام : وستتمتع به نفوس محبى الادب الرفيع والنظم البليغ أزمانا وازمانا الى أن يوجد الشاعر الذى يكتشف سر الله فى اختياره العربية لغة لتنزيله والعروبة بيئة لاكمل رسله وأهلها اصحابا وأعوانا على حمل رسالته الى آفاق آسيا وافريقيه ثم الى اوروبا •

وفى حديثه عن شيخه طاهر الجزائرى رحمه الله يقول : من هذا الشيخ الحكيم عرفت عروبتى واسلامى منه عرفت ان المعدن الصدىء الان الذى برأ الله منه فى الدهر الاول أصول العروبة ثم تخيرها ظئرا للاسلام انما هو معدن كريم لم يبرا الله أمة فى الارض تدانيه فى اصالته وسلامته وصلابته وعظيم استعداده للحق

والى هذا كان يدعو رحمه الله الى الاخذ بأسباب القوة وبكل نافع من نتاج الحضارة الحديثة مع المحافظة على المثل والقيم والاخلاق القديمة لان الخير كله قديم • وكان يركز على اصلاح المدارس ومناهج التعليم ووسائل الاعلام •

هذه قبسات من أفكار محب الدين رحمه الله ولمحات من حياته حاولت فيها قدر الامكان أن أقدم خلاصة عن الناحيتين اللتين قصدتهما • وقبل أن اختم كلمتى هذه اتوجه بهذا النداء الحار الى كل من قصى بن محب الدين الخطيب نجل المرحوم ، وفضيلة نائب رئيس الجامعة الاسلامية الشيخ عبد العزيز بن باز والوجيه الفاضل السيد محمد نصيف صديقى المرحوم الكريمين أن يبذلوا كل ما فى وسعهم لجمع المقالات المشتتة التى كتبها المرحوم فى مختلف الصحف وخاصة فى الزهراء والفتح والازهر ونشرها للعالم الاسلامى حصيلة فكرية رائعة وثروة ثقافية كبرى تعتبر من عيون ما أنتجه الفكر الاسلامى الحديث •• وكذلك طبع مذكراته ان وجدت •

ونصيحتى للشباب المسلم أن يقرأ كل كتاب أو رسالة أو تعليق كتبه محب الدين رحمه الله •

واخيرا وبعد جهاد مضن كريم استمر قرابة قرن كامل أعطى خلاله محب الدين رحمه الله للاسلام نور عينيه وحياة قلبه وثمرة قلمه وفكره وأسهر ليله وأعمل نهاره • بعد كل هذا فقد سكن ذلك القلب الكبير الذى كان يخفق بحب الاسلام وخبا نور تينك العينين ، وهدأت تلك اليد المرتعشة التى حملت القلم للدفاع عن الاسلام والمسلمين دهرا طويلا وسقط ذلك اليراع الرائع وتحطم ، لقد مات محب الدين •

فلا تدعو مع الله أحداً

بقلم الشيخ عبد الله المحمد الغنيمان
المدرس في المعهد الثانوى

قرأت في احدى المجلات الاسلامية قريباً قصيدة مما يسمى بالشعر الحرتحت عنوان « يا سيدي » ولاحظت فيها كلاما لا يتناسب وعقيدة الاسلام حيث أن الدعاء هو مخ العبادة كما في الحديث الذي يرويه الترمذي وغيره وهذا قد وجه ندائه وشكايته الى الرسول طالبا أن يدعوا لنا وأن يبارك لنا كما يقول « يا سيدي يا مصطفى الأله ادع لنا » وكرر هذا المعنى ويقول « يا سيدي شكاية الأتباع للمسود » وهذه شكوى الى رسول الله فيما لا يملكه الا الله ودعاء له ومعلوم ان الدعاء، من أخص العبادة التي لا يجوز صرفها الى غير الله لا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لغيره . وقد ذكر الله في كتابه كفر الذين يدعون من دون الله من يزعمون أنهم يقربونهم الى الله زلفى مع اعتقادهم أن الله هو الخالق المتصرف بالكون وحده كما ذكر تعالى دعاء الميت والغائب ونهى عنه وتوعد عليه قال تعالى « ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين » والظلم هنا هو الشرك الذي ذكر تعالى انه لا يغفره ومن مات عليه فقد حرم الله عليه الجنة ولم يستثن أحداًمن المدعوين والرسول صلى الله عليه وسلم هو المبلغ عن الله وقد حذر عن هذا كل التحذير بل نهى عما هو أقل من ذلك بكثير لما قال له رجل ما شاء الله وشئت قال أجعلتني لله ندا ؟ بل ما شاء الله وحده وقد قال تعالى « انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » ومعروف ما فعله صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه قوله « وأنذر عشيرتك الأقربين » وقوله يا بني فلان انقذوا أنفسكم من النار لا اغنى من الله شيئا حتى قال يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا فكيف يجوز بعد هذا أن يجعل صلى الله عليه وسلم واسطة بين الله وعباده في ما لا يقد،

عليه الا الله من دعاء وغيره وقد خاطبه الله تعالى بقوله « فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين » فليتأمل هذا الوعيد المرتب على دعوة غيره وخاطب به تعالى نبيه ليكون ابلغ في التحذير افيظن بالنبي صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاه عن هذا ويذكر الوعيد عليه ثم يرضى أن يفعله احد معه أو مع غيره كــلا ، ودعوة غير الله تنافي الاخلاص الذي هو دينه ولا يقبل سواه « وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » « ألا لله الدين الخالص » وقد ذكر الله تعالى اختصاصه بالدعاء في قوله « وله دعوة الحق والذين يدعون من دونــه لا لا يستجيبون لهم بشيء » فأخبر أن دعوة الحق له خاصة وما ليس بحق فهو باطل لا يحصل به نفع لمن فعله بل هو ضرر في العاجل والآجل لأنه ظلم في حق الله وفي حق المدعو يبين هذا توعده تعالى من دعا الأنبياء والصالحين والملائكة بقوله « قل ادعو الذين زعمتم مــن دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا » نزلت في الذين يدعون عيسى عليه السلام وامه وعزيرا والملائكة باتفاق اكثر المفسرين من الصحابة والتابعين والأئمة فلا يظن عاقل ان الرسول صلى الله عليه وسلم يرضى بشيء قد توعد الله من فعله مع عيسى وامه والعزير والملائكة وكونه صلى الله عليه وسلم افضل الرسل لا يلزم ان يختص دونهم بأمر نهي الله عنه عباده عموما وخصوصا بل هو مأمور أن ينهى عنه ويتبرأ منه كما تبرأ منه المسيح بن مريم عليه السلام كما في الآيات في آخر سورة المائده ١١ الى ١١٨ وكما تبرأت منه الملائكة في الآيات في سورة سبأ ٣٩ الى ٤١ وليعلم ان الدعاء قسمان .

« ا » دعاء الحي الحاضر ماهو في مقدوره واستطاعته كسؤال الدعاء من الغير والنصر والأعانة بما يقدر عليه فهذا جائز باتفاق المسلمين بهذه الشروط والأدلة عليه كثيرة وظاهرة « ب » دعاء الميت والغائب ما لا يقدر عليه الا الله مثل سؤال قضاء الحاجات وتفريج الكربات واغاثة الملهوف وهداية القلوب واصلاح الشأن وما أشبه ذلك فهذا من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين ولم يأمر الله به ولا رسوله ولا فعله احد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان لا مع الرسول ولا مع غيره وهذا مما يعلم بالضرورة انه ليس من دين الاسلام وبهذا يعلم خطأ القائل « يا سيدي يا مصطفى الأله ادع لنا » وقوله « يـــا سيدي شكاية الأتباع للمسود » وأن هذا وما اشبهه مناف لدعوة الرسول والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

الطريق الجديدة

قصة قصيرة .

بقلم الشيخ محمد سعيد المولوى

المدرس بكلية الدعوة وأصول الدين

كان كل شيء ذلك اليوم رائعا وجميلا فى نظرى ، فالشمس مشرقة دافئة حلوة تحن الارض الى اشعتها تنفض بها عن شعرها قطرات الندى التى صبها عليها الليل قبل أن يرحل وكانت الاشجار تهتز طربة فرحة على أنغام الطيور والعصافير ، وقد اكتست من خضرة الثوب ما راق وتوشى بدنانير الذهب ورق الخريف وكان النسيم يهب ناعما رقيقا لينا وكأنه أم تمر بيدها على خد وليدها تداعبه وتخشى عليه ، وكانت دمشق لا تزال تستقبل الوافدين اليها للالتحاق بجامعتها فتفتح لهم يديها وتضمهم الى صدرها ضمة حنان ورأفة فتمسح عنهم غبار السفر وتضفى عليهم من رونقها ما يأخذ بالعقول ويسحر الالباب .

وكانت السيارة تنطلق بنا منحدرة من تلال الزبدانى تعجب من حال شباب ما عرفوا فى حياتهم سوى الضحك والمزاح ، وما حملوا من هموم الحياة شيئا وما أدركوا المسؤولية معنى وأصوات هؤلاء الشباب تعلو وتنخفض مع كل ضحكة ولطيفة ونكتة حتى وصلت بنا الى مشارف دمشق ثم مالت نحو الجنوب لتقف أمام مستشفى المجتهد ، ثم تقذف ما فى صدرها فتتعالى اصداء الضحكات وبقايا الابتسامات أمام باب المستشفى ثم تخفت لتنتقل الى الردهة الخارجية حيث كان يقف صف طويل من الشباب ينتظرون نتائج فحوص صدورهم الشعاعية .

وقفت فى الرتل الطويل ، وكنت لا ازال اضحك وافرح واعلق على كلام أصدقائى وانا انتظر دورى حتى صرت أمام الكوة الصغيرة ودفعت بالورقة المرقومة الى الموظف وانا مطمئن النفس الى انه سيمهرها بخاتمه كما يمهر غيرها وانطلق مع الاصحاب

عائدين ولكن الموظف قلب اوراقـــا امامه ثم قال : انتظر قليلا ٠

أحسست ببعض القلق فى نفسى ، ومال على صديقى فاروق يقول :ماباله؟ قلت : لست أدرى ولكنـــه طلب أن انتظر قليلا قال : لا بأس سنسبقك الى نادى الجامعة ونلقاك هناكقلت : حسنا : وبقيت انتظر قرابة نصــف ساعة وكلما أطللت على الرجل كـان يستمهلنى حتى ضاق صدرى وفرغ صبرى ، واخيرا جاءنى رجل يلبـس قميصا ابيض فنادى على باسمىولبيت متلهفا وأخذنى جانبا ثم قال :أتسعل
ـ نعم عندما أصاب بالبرد٠قال :ليس ذلك اعنى ٠

ـ ماذا تعنى اذن ٠٠

ـ هل تسعل سعالا خفيفا متقطعا

ـ لا ٠٠

ـ لا بد ٠٠

ـ لكن ذلك لا يحصل

ـ هل تحس بوجع فى خاصرتك ؟!

ـ لا ٠٠

ـ أبـــدا ٠٠

ـ أحيانا عندما أركض وأكون قد أكثرت من شرب الماء ٠٠

ـليس هذا أعنى ٠

ـ اذن ماذا ٠٠

ـ هل تؤلمك خاصرتك فى الليل ٠

ـ لا

ـ طيب هل تعرق ٠٠

ـ نعم فى الصيف او عندما ألعب الملاكمة أو كرة القدم ٠٠

ـ أيضا ليس هذا أريد ٠ ٠

ـ ماذا تريد ٠٠

ـ هل تعرق فى الليل ٠٠

ـ ليس دائما وانما فىوقت الحر٠

وضاق ذرع الرجل بى فتركـــنى ومال على نافذة صغيرة فأخذ منهـــا علبه زجاجية صغيرة ثم قال : خـذ هذه وابتعد جانبا ثم تقشع فيهـــا٠ وما فهمت كلامه فقلت:وما معنىتقشع؟

ـ اسعل سعالا شديدا ثم ابصق فيها ما تخرجه من صدرك ٠

ـ ولكن كيف أسعل وأنا لا أحس بحاجة الى السعال ٠٠

ـ جرب ٠٠

وانتحيت جانبا وتساعلت حـــتى تعبت ثم أتيته بما وضعته فى العلبة٠ فقال : هذا لعاب ٠٠ ولا يصلح

قلت : وما أصنع هذا ما استطعته؟

ـ انتظر ، ثم اخذ ملقطا حديديـــا بيده اليسرى وآخر بيده اليمنى قـد لقط قطنا ثم أمسك بلسانى بالايسر ودس القطن فى سقف حلقى ،واخرجه يحافظ عليه كمن يحافظ على جوهرة ثم رمىَ به فى علبة زجاجية صغيرة٠

كان صبرى قد فرغ وبدأت أحس أن الامر جد وأنه لا بد لى من معرفـــة ما يريد ٠٠ فقلت : قل لى ما الامر٠٠

ـ قال : لا شيء الا اننا نشك أن تكون مصابا بالسل ٠٠

ضحكت ضحكة صفراء ولكـــــنى

أحسست أن الارض قد مادت من تحت قدمي ونظرت الى الرجل أمامي فرأيته يترنح يمنة ويسرة فأمسكت بالحائط واستندت عليه وتماسكت أنفاسي ، حتى اذا هدأت قليلا قلت : ولكن هذا غير معقول فمن أين يأتيني السل ؟ فان البيئة التي أعيش فيها بيئة صحية وبيتنا لا تغيب عنه الشمس من الصباح حتى المساء وطعامي جيد ، وأيامي أمضيها بالرياضة والسرور ٠

وأجابني الرجل بجفاء ٠ لا ندري ، وعلى كل حال فسنصور لك صدرك صورة شعاعية كبيرة للتثبت ، وقد اخذنا من حلقك جراثيم سنزرعها لنتحقق من الامر ٠٠

ثم التفت وقال اتبعني ٠٠

سرت وراءه وقد عقدت يدي وراء ظهري وأنا لا أكاد أصدق ما أسمع ٠ أيمكن أن يكون ما يقوله حقيقة ٠٠ ! لا هذا غير معقول ٠٠ ولكن من أين له أن يتهمني بمثل هذا الاتهام لو لم يكن صحيحا ٠٠ لا ٠٠ لا أصدق ٠٠ وقطع على تصوراتي أمره لي بخلع ملابسي والوقوف وراء لوحة التصوير ٠

كانت الغرفة مستورة النوافذ بستائر سوداء جعلتني أحس برهبة في نفسي فأحسست بالضيق يملأ على أنفاسي فكدت أختنق ووقفت وراء اللوحة وانا شارد الذهن مسلوب الارادة ، وأصبحت كالالة فما انتهيت حتى لبست ملابسي ثم وقفت بجانبه انتظر منه الامر ٠٠ وخطر لي أمل بالرجاء فقلت : السنة الماضية كنت مسجلا في الجامعة وقد أجريت الفحص الشعاعي فما قالوا لي شيئا ٠٠

قال : ليس شرطا ثم ان قسمنا حديث التأسيس وآلاتنا جديدة ٠

وقطع بحديثه خيط العنكبوت ونظرت اليه فأردف : اليوم السبت تحضر يوم الاربعاء لاخذ النتيجة ثم التفت ودخل حجرة ٠

خرجت من المستشفى وأنا لا أكاد أصدق ما حصل ورحت أفرك عيني هل أنا في حلم ؟ ٠٠ لا فهي الحقيقة، وزال كل جمال للدنيا من عيني فما عدت أرى امامي الا سوادا ومشيت وأنا اترنح يمنة ويسرة ونظرت الى الشمس فاذا هي لا تثير بي احساسا ولا تحرك شعورا وكان جبل قاسيون يجثم أمامي شامخا فأحسست به وكأنه على صدري وحاولت أن استنشق الهواء فاذا الهواء جامد قاسي لا يدخل رئتي واندفع سعال بسيط يهز كياني كله ٠٠ لقد كان الرجل صادقا فها أنا أسعل سعالا خفيفا ٠٠ لكن مدافعة عنيفة ثارت في نفسي ٠٠ لا يمكن أن يكون هذا ٠٠ وكان ثقل رأسي قد بلغ مني مبلغه وكأن مطارق عنيفة تهوى على جمجمتي تكاد تحطمها ٠

كان منظر الاشجار اصفر باهتا تعلوه سمة الموت ومغادرة الحياة !٠٠ وكانت زقزقة العصافير ضوضاء مزعجة ترهق الشعور وتدعو الى الضيق ، وكان النسيم باردا ثقيلا

تمجه الصدور وتخشاه ،وكانتسحن الناس كئيبة مقترة لا تفتر عن بسمة ولا تنم عن تفاؤل •

وصلت البيت فأدرت المفتاحودخلت كان البيت موحشا مقفرا لا أثر فيه للحياة أو الحركة ،فالاهل كلهم فى الزبداني ، واكببت على فراشي وترغرغت الدموع فى عينى ، وغلبنى سعال خفيف ، وأحسست بعرق غزير يبل جسدى ، فبكيتوبكيت ••وقمت فوقفت أمام المرآة انظر فى وجهى •• وثارت فى نفسى تساؤلات : أيمكن أن يكون هذا الوجه الازهر وجه مسلول •• وجاء الجواب : ألا ترى الشمعة قبل ان تذوى يشتد لهيبها • أيمكن أن يكون هذا الصدر الذى ينم عن قوة ، وهذان الساعدان المفتولان قطعة من جسم مسلول •• وكان الجواب كم من أشياء ننخدع بها فى الحياة ، أنسيت أنك فىمسبح بلودان فى الاسبوع الماضى شعرت بوهن وضيق فى صدرك شديد ، وان اصدقاءك عزوا ذلك الى شدة برودة الماء•

وانهزمت مقاومتى واقتنعت بأننى مسلول •• وعدت الىفراشيفاستلقيت على ظهرى ورحت أحدق فى السقف •• وقفزت الى ذهنى اسماء اصدقائى الذين ماتوا فمأمون دهسته السيارة ونحن نلعب الكرة أمام باب المدرسة الثانوية وموفق غرق فى مسبح المزة، وسالم اصيب بالتهاب السحايا •• وطن فى أذنى صوت راح يعلو ويعلو حتى صرت لا أسمع غيره وغدا سيقولون يونس مات بالسل عليه رحمة الله •

ووضعت أصبعى فى أذنى ، وعبثا حاولت أن أخلص من هذه الهواجس ومر أمامى شريط حياتى قصيرا • سريعا فما وجدت فيه ما يسر •• وكدت أصيح وأصرخ وغلبنى الخوف والرهبة فقمت مسرعا وفتحت الباب وانطلقت الى الشارع • كان اليأس قد ملك على نفسى ، وحرت أين أذهب، وقررت أن أعود الى الزبدانى ، وخطر فى بالى ان اصدقائى قد يكونون بانتظارى فى نادى الجامعةوأحسست بقرف شديد ونفور عنيف من الجامعة ومن فيها ، فمالى وللجامعة ومن فيها ، وأى أمل لى وراءها •• وبدأت أشعر بالكراهية لها ،فلولاها لماعرفت اننى مسلول •• لو بقيت جاهلا ما أنا عليه لكان خيرا لى فاننى سأبقى متمتعا بالحياة •• ولكن الان انتهى كل شيء ولم يبق من الحياة الاالقليل•

وسرت وكأنى اجر رجلى حتى وصلت منطلق السيارات وامتطيت واحدة وجلست بجانب النافذة • واسندت رأسى الى الزجاج ••

لست أدرى كم بقيت منتظرا،ومتى سارت السيارة ، لكن الذى لا أزال أذكره ان المستقبل •• كان يبدو أمامى مظلما قاتما ، فكم سمعت أن المسلول يعيش شهرين او ثلاثة ثم يموت •• وقفزت الى ذهنى جنازة ابن

جارنا صلاح الذى مات مسلولا وهم يخرجونها من الدار واخوه محمد متهالك القوى وأبوه منكس الرأس وأمه تصيح من النافذة يا ولدى يا صلاح وتكاد تلقى بنفسها . ثم غابت لتظهر بدلا منها صورة جنازتى وهم يخرجونها من الدار ووالدى المسكين يتكىء على عصاه ودموعه تنهمر على لحيته وأمى تصيح من وراء الباب واخوتى قد انتفشت شعورهم ، واصدقائى ينكسون رؤوسهم يتظاهرون بالحزن والاسى ..ورسخ فى نفسى أن النهاية قريبة لا بد منها

وتنوعت الافكار التىاعترضتنى ، فانى فيما تبقى لى من الايام سأعتزل الناس والاصدقاء وسأجعل لىصحنا خاصا وملعقة خاصة وسأمنع أمى واخوتى من القرب منى ، وسأترك الدنيا وما فيها ، ولكن ماذا اصنع بهذه الايام المتبقية ستبدو مملة متعبة لا أرى فيها جميلا ، ولامتعة ولا روعة ! ولم أجد جوابا . كنت أدور بذهنى وادور ثم أعود الى نفس الافكار حتى وصلت السيارة الزبدانى فترجلت منها ، وسرت نحو البيت ..

لم يعد مصيف الزبدانى الان يعنى لى شيئا وقد كان بالامس الروضة الغناء ، والجمال الطبيعى الرائع ، والمتعة المتفجرة والسعادة المتجددة . كان انعدام المسؤولية والبحث عن اللهو كان الرحلة والغناء والضحكة، كان المرأة الجميلة والنكتة الحلوة ، والسير اللطيف كان الهواء العليل ، والماء البارد وثمار الطبيعة اللذيذة ، كان الجبل فى شموخه والجدول فى خريره والمغارة فى سرها والدرب بترابه ، والغصن فى ترنحه وميلانه. والآن كلمة الزبدانى كلمة فارغة لا معنى لها .

وصلت البيت وقرعت الباب وفتحت لى أمى ونظرت فى وجهى ، وانحنيت على يدها اقبلها .. وأحست بجمودى .. قالت :ما بك .. وأجبت بانكسار وضعف : لا شىء ابتعدى عنى ..

ــ ما بك هل جرى شىء ..

ــ لا .. اتركينى .وغلبنى البكاء وهرعت الى والدتى تضمنى الى صدرها بحنان وتكرر السؤال على وأنا أدفعها برفق وأسعى ألا أجعل أنفاسى تلاقى وجهها .. وبعد حين :

قلت : اننى مصاب بالسل ..

ونظرت أمى الى نظرة هى نسيج من الحنان والشفقة والاستغراب . ثم قالت : ومن قال لك ذلك ..

ــ الطبيب ..

ــ أعوذ بالله .. لا يا بنى لا تستمع الى هذا الكلام فمن أين يأتيك السل .

ــ لقد قالوا لى ذلك فى المستشفى وهم يعتمدون على التصوير الشعاعى

.. ورحت أقص على أمى ماجرى .. وأنا مضطرب أرتجف وكان خطان من الدموع يغادران عينيها

وبصمت ليرسما طريق الحنـــــان والمحبة على وجنيتها .

ومدت أمي يدها الى صــــــدرى فوضعتها عليه ثم راحت تقرأ سورة الانشراح وما حفظت من الادعيـــة والتعويذات ورأسي موضع عــــلى صدرها فيإطمئنان فلماانتهتأمسكت وجهى بيديها ثم قبلتـنى فى رأسى وقالت :

اسمع يا ولدى .. ان ما قيل لك كلام فارغ لا تصدقه فليس بك شيء وان كنت تثق بى فصدقنى ، ثــم لو كان بك شيء فلا تذكر ذلك لاحد فسأكون فى خدمتك وسأقدم اليــك ما تحتاجه من طعام مغذ واستأجــر لك دارا فى الشتاء هنا وسأوفر لك سبل الراحة حتى يشفيك الله .. ألا تعرف ابنة خالتى سلمى لقد كانت مثلك زهرة فى مقتبل العمر وأصيبت بالسل .. بسبب سوء التغذيـــة والحياة البائسة التى كانت تحياهــا والتعب الشديد الذى كانت تقوم به لسد نفقات اسرتها .. لقد بذلــت أمها كل ما تستطيع من أجلــها ، فمنعتها عن الناس وقدمت لها كــل ما تحتاجه من طعام ودواء حتى باعت اكثر ما تملك ولم يبق ســوى الفراش الذى تنام عليه البنت وقد شفاهــا الله ، وهى فى صحة جيدة .. ألم ترها .

كان كلام أمى مقنعا ولكنه انزلق فى أذنى ليخرج من الثانية وأجبتها ارضاء .. نعم رأيتها ..

لست أدرى كيف أمضيت بقيـــة يومى ذاك فقـــد انعزلت فى فراشى وامتنعت عن الطعام وأبعدت عـــنى اخوتى ورحت أفكر فى كل لحظـــة فى ثلاثة أشياء : السعال ، العرق ، ألم الخاصرة .. وما أن أظل المساء حتى كانت فكرة خطيرة قد سيطرت على وملأت على تفكيرى . لا أمـــل فى الحياة فلم أتحمل العذاب بقيـــة عمرى لم لا أنتحر ! ان مغارةالنابوع التى كنـــا نتباهى فيها باطـــلاق الرصاص منذ يومين قريبة منالبيت ومسدس اخى لا يزال فى مكانه الذى وضعته فيه بعد أن استعرته منـــذ يومين لافتخر أمامإصحابىأنى أحسن اطلاق الرصاص ، واذا انتحرت هناك فلن يرانى احد ولن يحس بى أحــد فنادرا ما يدخل المغارة انسان .

مضى على الليل طويلا كئيبا مملا متعبا ، كنت اسعى الى النوم فــلا استطيع واتقلب يمنة ويسرة بـــلا فائدة . حتى ضجرت . فقمت مــن فراشى وخرجت من الغرفة .. كان سهل الزبدانى مغمورا بضوء القمر الساطع الذى يحتجب احيانا بمرور بعض الغيوم البسيطة ، وكانـــت الارض تتبدد متنوعة الظلال والالوان ولكن ذلك لم يثر بى احساسا مـع أنى كم أمضيت من الليالى ساهـرا أرقب مثل هذا المنظر واتمتع بــه واتمتم بأغنية او استمع الى المذياع

٠٠ وهبت نسمة باردة لفحت صدرى فأهويت بيدى على منامتى أجمعها على صدرى ، ثم عدت الى الغرفة ٠

جلست على طرف السرير وأطرقت برأسي الى الارض وتساءلت : كم بقى للصباح ثم نظرت فى ساعتى ٠ لا يزال بيني وبين الفجر اربع ساعات ٠٠ ما أطولها ٠٠ مع انقضائها ساستريح ٠٠ سأنتحر ٠ سأموت ٠٠

وانتفض جسدى عند ذكر الموت ، وبدأ لى وحشا فظيعا فاغرا فمه يريد أنْ يبتلعنى ٠٠ ولكنى تماسكت وتصورت وقع النبأ على أمى وابى والحزن والاسى الذى يسيطر عليها وترغرغت الدموع بعينى ، وتصورت أصدقائى يحفون بالجنازة ويقفون على القبر والخطباء يؤبنوننى وتصورت مجالس الصحب وقد عادت الى ما كانت عليه من الهرج والمرج وقد خلا مكانى فيها فلا يذكرنى أحد الا نادرا ٠

وأحسست بجسدى منهكا والتعب يأخذ منى مأخذه فاضطجعت على طرف السرير واخذتنى سنة من النوم ثم افقت ضيق الصدر مكروب النفس مظلم الاحساس ونظرت فى ساعتى فاذا الفجر قريب ، وتذكرت الموت فأحسست بالعرق يغمر جسدى ٠٠ وطاف فى ذهنى ٠٠ ألم يسألك الطبيب : هل تعرق ٠٠ ها هو ذا العرق ٠٠ وأحسست بألم فى خاصرتى ، وانطلق من صدرى سعال خفيف ضعيف٠٠ لا ريب أنها كل العلامات والاشارات ٠٠ فلامجال للمراهنة ٠٠ اذن لا بد من الموت٠

وراعنى خاطر الموت ٠٠ كيف أموت والى أين أمضى ٠٠ الى المقبرة٠ ايصبح هذا الجسد النض الطرى تحت التراب تلعب فيه الديدان ، تتوسد التراب ليس له من كساء الا قطعة من كفن ابيض رخيص ، واذا نزل المطر ورشحت قطراته على وجهى فمن يزيح تلك القطرات ٠٠ وهاتان العينان الجميلتان من يبعد عنهما القذى ، وهذا الشعر المصفف الحلو الذى كنت أقضى زمنا طويلا أمام المرآة أمشطه وارجله واتباهى به بين الاصدقاء من سيزيح عنه التراب وينظف شعراته ٠

كنت سارحا فى تأملاتى حين فجأنى صوت المؤذن يصيح من على المئذنة : يا أرحم الراحمين ٠٠

كنت كمن مس شريطا من الكهرباء فاختلج جسدى كله ٠٠ وثاب عقلى٠ يا أرحم الرحمن ٠٠ يا أرحم الراحمين ووجدتنى أقولها واارددها ٠ وانتبهت الى نفسى فأين كنت ؟ السل ٠٠ الانتحار ٠٠ هل نسيت رحمة الله هو الذى خلقنى وهو الذى يتصرف بى وأين الرضى بالقضاء ، ثم ما هى نتيجة الانتحار ٠٠ جهنم وهل أطيقها

.. اخر الدنيا والاخرة .. وهل الانتحار مما يخلصنى مما أنا فيه .

ثاب الى عقلى وادركت ان ما كنت فيه كان للشيطان فيه حظ كبير ، صحيح قد أكون مريضا .. ولكن اليس الله هو الشافى ألم يسأله أيوب الشفاء فشفاه ، أوليس هو الذىشفى الابرص والاكمه .. ثم اذا لم يشفنى أو ليس المرض كفارة للذنوب واذا كنت سأموت بعد بضعة أشهر من الداء واستعجلته الان فما هوالكسب أخاف من الموت لاقع فيه سريعا ، والنظرة الباسمة الى الحياة أليست تنبع من الداخل وكذلك النظرة المظلمة البائسة ..فكثيرمن التصورات والافكار تكون انعكاسا لرأى ثابتأو عاطفة خاصة ، أو حالة معينة للانسان .. ثم من أين احدد اننى سأموت فى غضون أشهر وهل أعطانى الله علمه فى هذا ، ولكن .. ربما يكون السل قد بلغ مبلغه وأكون على أبواب الوفاة ؟!

ولمع فى ذهنى خاطر برقت له جوانب نفسى واضاءت ظلمات قلبى وأحسست بالراحة الشديدة وكنت كالمجنون الذى احس بالهواء أو كالغريق تحسس يد المنقذ .. لم لا أتوب الى الله واستغفره مما فرطت فيه واستأنف حياة جديدة تقوم على التقى والعبادة وتمثل اوامر الله .. وثار سؤال فى نفسى .. وهذه الذنوب الكثيرة والمعاصى ماذا تضنع بها وانت لا تتوب للتوبة وانما خروجا مما انتفيه ..وعرفت بفطرتى أن هذا السؤال من عمل الشيطان .. وتذكرت قوله تعالى : « قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا» وملأقلبى نور القرآن بقوله تعالى : ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وتبسمت ثم انفجرت باكيا وأنا أرفع يدى عاليا واقول : الحمد لله .. الحمد لله يا أرحمالراحمين. رضيت بقضائك يا أرحم الراحمين وعلا صوت المؤذن يصيح : الله اكبر فانتفضت وقلت : الله أكبر الله اكبر .. ثم قمت فاتجهت نحو البحرة المتوسطة لباحة الدار فتوضأت ثم قلت :اللهم أنى قد اسلفت من الذنوب الكثير وانت الغفور الرحيم .. اللهم انى أعاهدك واشهدك أننى استغفرك وأتوب اليك .. ثم اتجهت نحو الغرفة أريد ردائى ومفتاح الدار .. ووقعت عينى على الكوة التى وضعت فيها المسدس فأشحت بوجهى عنها ، وقلت : استغفرك اللهم ..

كانت المرة الاولى فى الزبدانى التى أهبط فيها المسجد مصليا صلاة الضبح ، دخلت المسجد الرحب فأحسست بالنور يملأ نفسىوالبهجة تغمر قلبى ، والسعادة تسيطر على .. وطفرت الدموع من عينى فتركتها تسيل وأردتها أن تشفع لى ذنوبى ، ووقفت خاشعا متذللا فصليت السنة ثم انطلقت فىالدعاء

وغلبني الوجد فما شعرت بنفسي ولا بمن حولي ·· غير أن يدا نحيلة لجسد شيخ متهدم كانت تربت على كتفي لتقول : بارك الله فيك يا بني ·· لا تنسني من دعائك

مضى ذلك اليوم على خلاف أمسه فقد عمدت الى الطعام كما كنت اصنع قديما ، وبديت باشا ضاحكا أمام امي واخوتي ، ولعلهم استغربوا حالي ، الا انهم رأوا مني عزوفا عن مزاح بارد كنت أعكف عليه ، واغنيات تافهة كنت أرددها ،ورأوا مني منظرا ما عهدوه في حياتي الا قليلا ، ذلك اني صاحبت المصحف وعنيت بالتزام صلاة الجماعة ·

وعادت السيارة بعد أيام لتنطلق بي منحدرة من تلال الزبداني نحو مدينة دمشق ، فموعد الصورة الجديدة الصوري وزرع الجراثيم في هذا اليوم ، لكن السيارة كانت هادئة فلم يكن فيها صخب ولاهرج ولا مرج ، وانما تمتمة بسيطة لشاب هادىء وادع يسرح نظره في المصحف حينا وفي المناظر حينا اخر·

كان كل شيء ذلك اليوم رائعا وجميلا في نظري ، فالشمس باسمة مشرقة دافئة حلوة تحن الارض الى اشعتها تنفض بها عن شعرها قطرات الندى التي صبها عليها الليل قبل أن يرحل، وكانت الاشجار تهتز طربة فرحة على أنغام الطيور والعصافير ، وقد اكتست من خضرة الثوب ما راق ، وتوشى بدنانير الذهب وورق الخريف وكان النسيم يهب ناعما رقيقا لينا وكأنه أم تمر بيدها على خد وليدها تداعبه وتخشى عليه ··

دخلت المستشفى وقلبي تسيطر عليه السكينة التي يدافعها الامل بالشفاء والخوف من المرض ، ووقفت على كوة الموظف فدفعت اليه بالورقة المرقومة للصورة ·· واخرج الرجل ظرفا كبيرا ، راح يقرأ ما كتب على غلافه باللغة الاجنبية ، ثم استئذنني قليلا ودخل غرفة الطبيب ·

انتابني شعور من القلق يشابه ما ينتاب الطالب الذي ينتظر نتيجة امتحانه ، فلا يزال هناك أمل يتردد قد يخبو فقد لا أكون مصابا اصابة شديدة ، ولكن الامل بالله قائم ورحت أرقب الباب بلهفة وأحسست ان هذه الدقائق هي أطول من ساعات عديدة ، وأخذت أتحرك قليلا فلا أكاد اغادر النافذة حتى أعود اليها وعيناي مسمرتان على الباب لا تفارقانه ·

وظهرت قامة الرجل فاتحا الباب فحدقت في وجهه ولكنه لم يعرني انتباها وانما صاح على الخادم أن يذهب الى المختبر وأن يحضر تقرير الطبيب الجرثومي ، ثم عاد الى الغرفة ومر الخادم بعد قليل يحمل ورقة بيده فاخترق الى الغرفة المغلقة ·· كان قلبي يدق ·· وكانت نفسي مضطربة ، ومع هذا فكنت أحس براحة شديدة ، فتعلقي بنتيجة التصوير والفحص لم يذهب طمأنينتي الى الله ، ورحت اتضرع

الى الله وأدعو وأتذلـــــل وكنت فى حالة من الانكسار ندر أن تمــر فى حياة الانسان وندرانى مررت بها ٠

واخيرا ، جاء الرجل ٠٠ ونظرت الى شفتيه كما ينظر المتهم المظلـــوم الى شفتى قاض ظالم ونظر الى باسما ثم قال : اطمئن ٠٠ فلقد فحصنـــا الصورة الكبيرة فما وجدنا بهــــا شيئا وقد كبرناها مقاطع مقاطـــع فما وجدنا شيئا ونظرنا فى نتيجـة الزرع الجرثومى فوجدناها سلبيـة فاذهب واطمئن ٠٠

وقلت : لـكن كيف تعلل الصورة الاولى وما فيها ٠٠

ضحك وقال : لا هذه قضيـــــة بسيطة فكثيرا ما يتنفس الانســـان وقت لقط الصورة فتأتى مشوشـة وقد تفسد عند تحميضها فنضطر الى اجراء ما رأيت للتأكـــد من المرض والسلامة ٠٠

لست أدرى ماذا انتابنى وأنـــا اسمع كلام الرجل بسلامتى ، كدت أصفق ، اصيح ، اقفز ، أنادى عـلى الناس ليشهدوا أنى معافى ،،أضمه واقبله ، أبكى ، عواطف متعـــددة اجتاحتنى ٠٠ ولكنى تذكرت فضل الله على فخررت على الأرض ساجدا ، وقلت : الحمد لله والدموع تترغرغ فى عينى ٠٠ ثم انطلقت مسرعـــا أريد أن أخرج على الناس والاهـــل والصحب ليعلموا ان ما قيل عنى كان غير صحيح ٠٠

انطلقت من بـــــاب المستشفى والسعادة تغمرنى ، والطرب مسيطر على يستفزنى ، وكانت خطـــواتى سريعة غير متزنـــة ، وانتبهت الى نفسى أننى أدندن بأغنية قديمة ٠٠ وتوقفت عن الغناء وقلت : أستغفر الله ، فالوقت وقت حمـــد واستغفار ثم انطلقت أتمتـم : الحمد لله ٠٠ الحمد لله ٠

وصلت البيت وكان فارغا كمـــا تركته منذ أربعة أيام فلا يزال الاهل فى الزبدانى ، ومددت يدى الى جيبى أبحث عن المفتاح ، ولاحت منى نظرة الى شباك سلوى ، صديقة الايـــام الماضية ، فاذا هى على النافـــــذة وابتسمت ولوحت لى بيدها كعادتها واحسست أن يدى ترتفع لترد على التحية ، وأن شفتى بدأتا تفتران عن ابتسامة وفى نفس اللحظة كـــــان صوت المؤذن لاذان الظهر قد انطلق، الله أكبر ٠٠ وتذكرت التوبة وعهدى لله ٠٠ فارتخت يدى ٠٠ وجمـــد وجهى وقلت الله أكبر ٠٠ ثم نظرت نحو المسجد فرأيت مئذنة سامـــقة فى الجو تذكر بالصعود والتســامى والارتفاع عن كل ما فى الدنيا من مغريات ٠٠ ورددت مرة اخرى : الله أكبر فقد وضحت الطريق وظهرت السبيل ٠٠ فلا مجال للعودة أو التردد وتركت المفتـــــاح فى جيبى وأدرت ظهرى لسلوى وما تعنيه من مغريات الدنيا ثم اتجهت نحو المسجد للصلاة فما أحلى التوبة ، وما أحلى الطريق الجديدة !!



أيهـا الإنسان : نـارٌ أُججَتْ
مـا لهذي النـار تزداد جحيما

ألبسوا جلدَكَ ثوبـاً نـاعمـاً
وسقـوا قـلبَك بركانـاً أثيمـا

هيكـلٌ أنتَ ، أديـمٌ فـارغ
أحرقـوك اليومَ حـتى لا تقومـا

أيهـا الإنسانُ : عيـني يئستْ
هـل تُريني اليـومَ إنساناً سليما

مـا لأرضـي بـالرزايا مُلِئتْ
أيُ جـانٍ قذفَ الحقدَ رُجُوماً

خفّفِ الوَطْءَ فإنـا لن نـرى
في رُبى الشرقِ ولا الغـربِ رحيما

أيهــا الإنسانُ : حَـطّمْ سجنَهمْ
هاتِ كفيكَ ، لنر تاد النجومــا

عـــالَمٌ يبنـــونــه في أسفــلٍ
لطخوا التـــاريخَ فيــه والقديمــا

هـــاتِ كفيكَ لنبــني عالمــاً
في الأعــالي الشُمّ ، نبنيه عظيما

فهنــاكَ الشمسُ أزجَتْ دفئَها
ونَرى الــدهرَ صباحاً مُستديمــا

أيهــا الإنسانُ هــذا المُنتهــىَ
قــد تجلّى وبــدا النومُ عقيمــا

فــانزعِ الأغلال فــالفجرُ أتى
وغيومُ الليــل هذى لــن تدوما

أعطني اليــومَ فــؤاداً مــؤمناً
نجعلِ الدنيــا ومــا فيها نعيما

أعطني اليــومَ حسامــاً مُسلمــاً
نقلبِ الدنيــا عــلى البغي جحيما

عبد العزيز القارىء

ندوة الطلبة

دراسات في الديانات الهندية

المصادر الأساسية للديانة الهندوسية (٢)

بقلم : الطالب ضياء الرحمن الأعظمى

إذا عرفنا أنهم لا يتقيدون بعقيدة رئيسية سهل علينا أن نقول : إن كل فرقة لها مصدر خاص ولا علاقة بينها وبين غيرها .

فأساس الديانة البوذية هو تعليمات مقدسة وتجارب مستمرة ، وكذلك أساس الديانة السيخية « كروكرنتها » وأساس الديانة الجينية « كتب كثيرة لا تضبط ولا تحصى . فكذلك أساس الديانة الهندوسية هو كما يلي :

١ ــ أربع ويدات
٢ ــ رواية علماء ويدات وعملهم
٣ ــ أسوة الصديقين والصالحين حسب زعمهــم
٤ ــ نداء الضمير الإنساني

مــا هو وِيْدَا ؟

إن ويدا له أربعة أجزاء رك ويد ــ شام ويد ــ آثار ويد ــ ياجور ويد ورك ويد هو الأصل الأساسي والثلاثة الباقية إما مأخوذة من الأصل أو أن فيها شيئا غير مهم .

يقول العالم الهندوسي شردها نند : وإذا أنعمنا النظر في رِك ويد وجدنا أن غيره أخذ منه نقصانا وزيادة ــ أما

يا جور ويد فليس بشيء فكثير من المحققين أخرجوه من مجموعة ويدات هكذا جاء في الكتاب المقدس « كيتا » يعني أن ويدا ثلاثة — رِك ويد — شام ويد — آثار ويد .

ثم هذه الوايدات كلها تنقسم إلى قسمين :

الأول — المتون المسمى بـ « سَمُهتَا »
الثاني — الشروح المسمى بـ « براهمن »
هكذا نقل عن كاتب ويد « يا سِكْ »

اما الذين قسموه ثلاثة أقسام فزادوا قسما ثالثا وهو آرنيَك (١) والأسفار المقدسة (أبا نشَدْ) التي دونت بعدها فهي كلها مأخوذة من آرنيك وبعضها من براهمن ، وقد بلغ عدد أبا نشد حوالي مائة وثمانية ولكن المعتبر منها عند الهندوس — ستة عشر على حد تعبير « شنكر اجار » (٢)

ما هي حقيقة ويدات

يقول اصحاب وِشْنو : إن ويد ألهم اولا إلى العباد والزهاد (رِشي ومُني) وأنه كان فيه مائة ألف أشلوك (آيات) ولكن غاب كثير منها بمرور الزمان فجاء رجل إسمه « وِياس » (المولود سنة ٩٥٠ ق م كما علم من الآثار القديمة في هستنابور) ورتب ما بقي منه وجعله على أربعة أقسام ى ج — يَجُر — سامن — أتهرون

(تلخيص ما تقدم)

١ — إن ويدات على ثلاثة أقسام سمهت — براهمن — آرنيك
٢ — إن أما نشد مأخوذ من آرنيك يسمى ويدانت (مصدر معروف للتصوف كما نبه عليه كثير من المحققين الجدد مثل الدكتور شاعر الشرق محمد إقبال)
٣ — بلغ أشلوك ويدا مائة الف ولكن ضاع منه كثير
٤ — إن عدد أبا نشد مائة وثمانية ولكن المعتبر منه ستة عشر والباقي كله مسروق مزور

١— فيه تعليمات للرهبان وتاركي الدنيا .

٢— كان من اكبر شراح ابانشد ومجددا للديانة الهندوسية وقد صمد أمام الدعوة البوذية صمودا عجيبا حتى اخرجها من مولدها ووطنها يقول بعض المحققين « لولا شنكراجار لاندرست الديانة الهندوسية ولم تستطع المقاومة أمام افكار البوذية .

٥ — رتب ويدا رجل اسمه « ويدو ياس » (معروف عند الهندوس هو الذي كتب لها بهارت وكيتا وبران) وسياتي تفصيله إن شاء الله .

الحمد لله الذي حفظ لنا كتابه الأخير من عبث العابثين وتحريف المدجليين وصدق الله العظيم : (إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

(السمرتي)

ومن الكتب المقدسة المعتبرة عند الهندوس « إسمرتى » يعنون به القوانين له عدد كثير ولكن اتفقت آراء العلماء الهندوس على منو اسمرتى وهو قانون قديم كما جاء في الباب (١ — ٣٤ — ٣٥ — ٣٦) بقدم العالم لأن برهما ألقى هذا إسمرتى في قلب « منو »

والقوانين الهندوسية سواء تتعلق بالأمور الدنيوية او الدينية كلها تؤخذ من هذا الكتاب ، فإذن هو أساس لقضايا المحكمة الشرعية الهندوسية ولم تختلف واحدة من الفرق الهندوسية سواء البوذية أم الجينية أم السيخية في الأخذ منه بل كلها اتفقت في ذلك .

من أشهر تعليمات « منو اسمرتى » :

١ — البحث في خلق الكون .

٢ — البحث في الطبقات الأربعة في المجتمع الهندوسي وتقسيم وظائفها .

٣ — البحث في اعمار الإنسان

ا — تفصيله طلب العلم من حين الولادة الى خمس وعشرين يسمى برهما جاريه آشرما . ب — الحياة العائلية من خمس وعشرين إلى خمسين يسمى « كرهستا آشرما » .

د — ترك الدنيا من خمسين إلى خمس وسبعين يسمى سنياس آشرما .

هـ — الإرشاد والتوجيه من خمس وسبعين إلى المنية .

(بُـرَان)

كأنه ويد خامس عند العوام لأن فهم ويد متوقف عليه وهو موجود منذ القدم كما هو الشأن في ويدا — فيه توضيحات وتماثيل لقصص ويدا فالذي يريد أن يعرف حقيقة ويدا فعليه بـ بران فإنه يوضح كل حكاية وقصة بالتمثيل .

يبلغ عدده حوالي ثماني عشرة وأعظمه رتبة واكثره تداولا بين الناس

« بهكوت بران » فالهندوس يتلونه كل يوم بعد الصبح بكل ادب واحترام .

اختلف الباحثون في عصر كتابته فذهب جلهم إلى أنه قديم قدم ويدا فمرتبه هو صاحب ويد يعني ويدو ياس ولكن المتدبر يعرف كذب هـذه النسبة إليه بكل سهولة ويُسر بأسباب :

١ ـ لا يقدر أحد أن يؤلف في حياته القصيرة مثل هذه الكتب المقدسة الكثيرة يعنى أربع ويدات ـ مها بهارت ثم ثمانية عشرة بران .

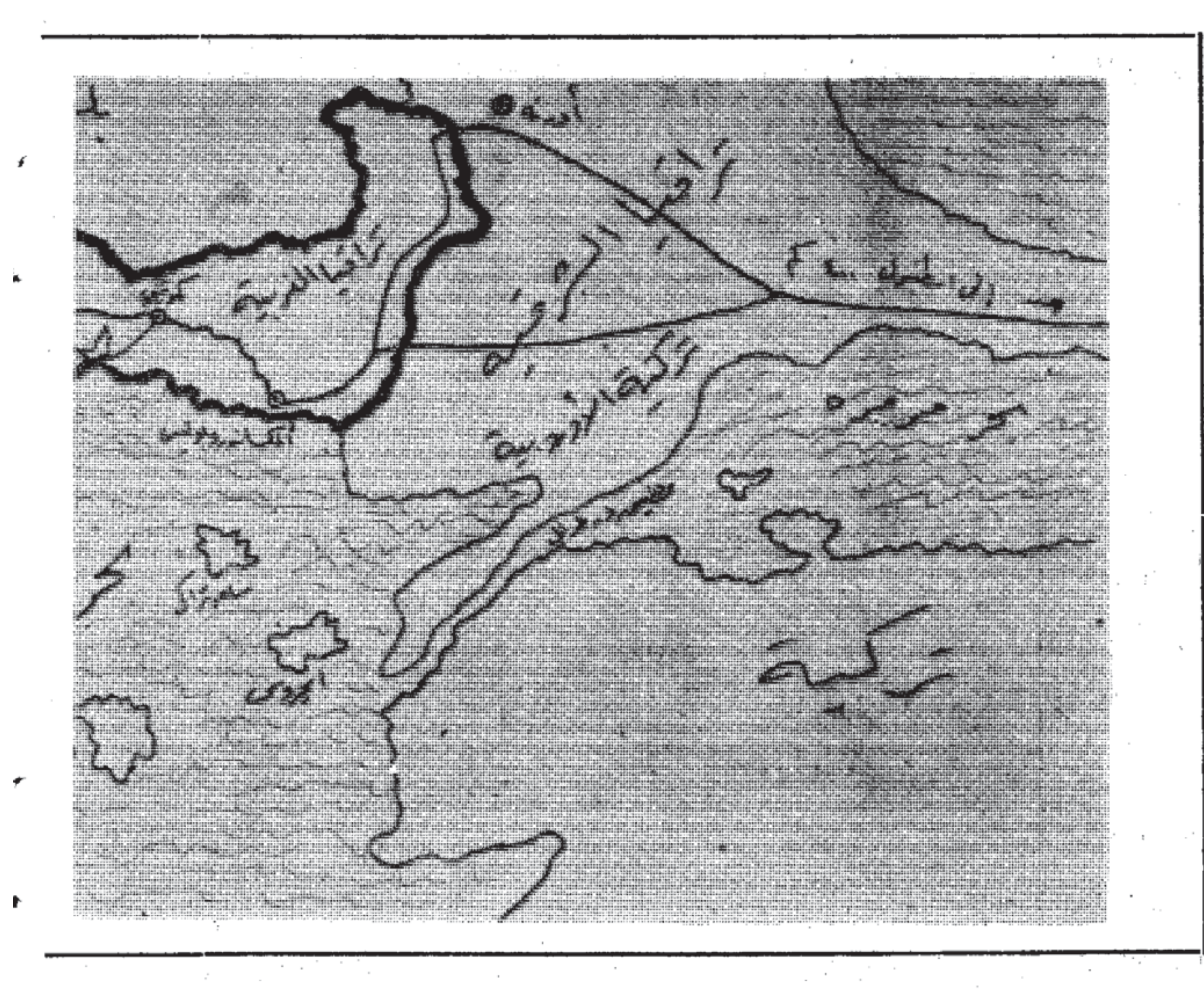
٢ ـ إذا قارنا بعضه ببعض عرفنا أنه مصدر تضاد واختلاف فمثلاً اصحاب بران « شيوا » جعلوا شيوا إلها أعظم وغيره خداما له واصحاب يران « وشنو » جعلوه إلها أعظم وغيره خداما لـه واصحاب يران « ديوى » جعلوا ديوى مصدر الخلق وغيرها خداماً لها وهلم جراً

وصدق الله العظيم (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)

فهذه النصوص المذكورة تدل على أن ويد وياس لم يصنف بران كله بل اصحاب بران افتروا عليه ، والرأي الصحيح هو أنه ألف بعد زمن ويدا واشترك في تصنيفه كثير من المصنفين المتاخرين ، ولكن لما أرادوا له الإحترام والتقديس نسبوه إلى ويد وياس ، إلى هذا أشار المحقق الكبير الهندوسي ديانند .

هذه هي حقيقة تاريخية لبران الذي يرتل ويتلى في الحفلات والمجامع وعند عقد الزواج كالقرآن والتوراة والإنجيل . فإذا تأملنا في مباحثه نجد أشياء ينفر منها العقل السليم .

من لى بانسـان اذا أغضبتـه   **وجهلت كان اتحلم رد جوابـه**
واذا طربت الى المدام شربت من   **أخلاقه وسكرت من آدابـه**
وتراه يصغى للحديث بقلبـه   **وبسـمعه ولعله أدرى بـه**



حالة المسلمين في اليونان

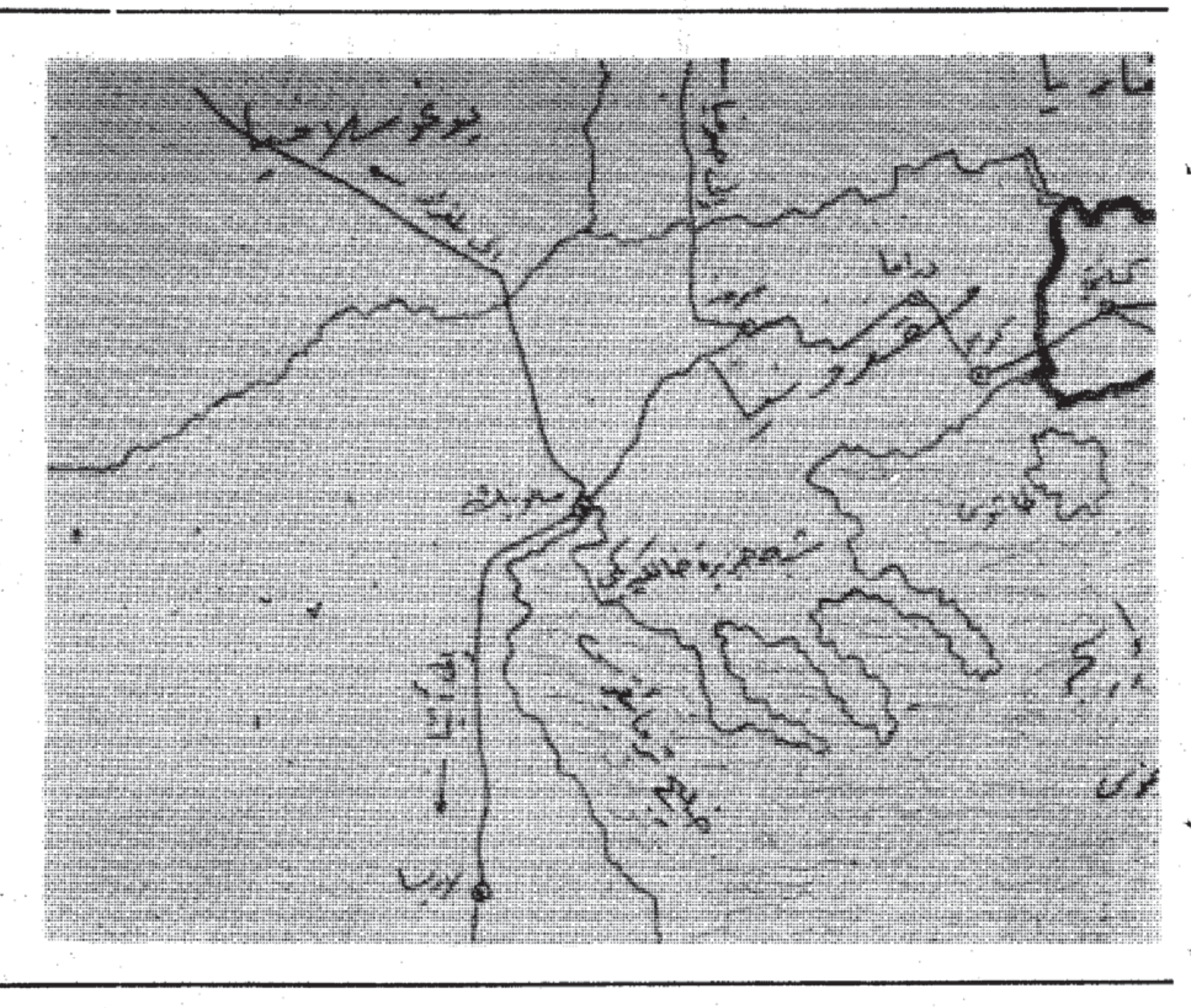
بقلم الطالب محمد جهاد حافظ رشاد
كلية الدعوة وأصول الدين

قبل أن ابدأ لابد من تقديم بين يدي موضوعنا بالتحدث قليلاً عن مختلف أوضاع المسلمين في اليونان .

١ ـ دراسة جغرافية عن مسلمي اليونان :

يبلغ عدد المسلمين في اليونان حوالي ٢٠٠ الف نسمة من أصل تركي .

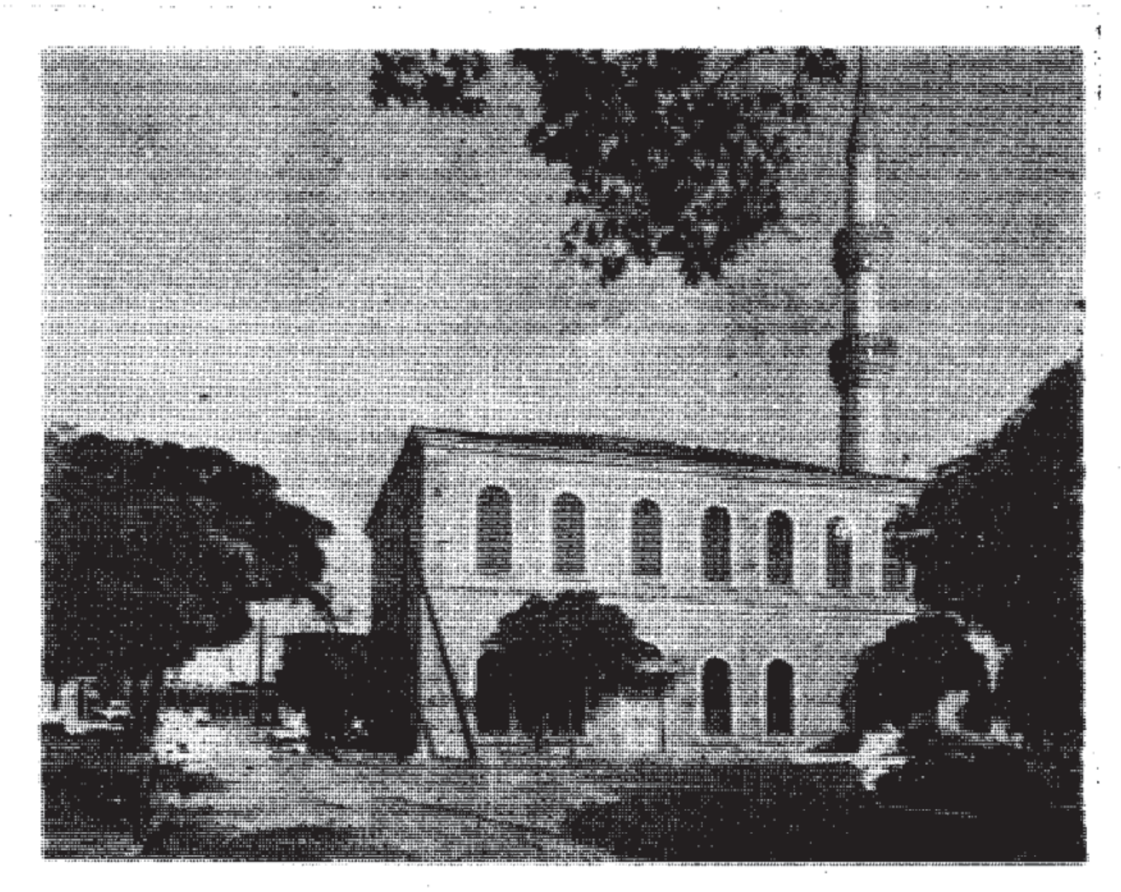
يعيشون في الجهة الشمالية الشرقية من اليونان بمنطقة تراقيا الغربية . وحدودها شرقاً : تراقيا الشرقية أو بتعبير آخر تركيا الأوروبية . وشمالاً : بلغاريا وغرباً : مقدونيا وجنوباً : البحر الابيض المتوسط أو بحر إيجه . ويجتمع مسلموا اليونان في منطقتين



بصورة رئيسية ، وعاصمة هاتين المنطقتين (كموتيني) باليونانية وبالتركية (كوملجنة) وبالقرب منها مدينة (كسانتي) باليونانية وبالتركية (إسكجه) ويبلغ عدد المسلمين في هاتين المدينتين النصف من مجموع السكان من المسلمين واليونانين. كما يوجد المسلمون في ولايات أخرى ولكن بنسبة قليلة كما في (ألكساندروبوليس) باليونانية و (دده آغاج) بالتركية . وبالقرب من السواحل الغربية التركية للبحر الابيض المتوسط توجد بعض الولايات التي يقيم فيها المسلمون بنسبة ضئيلة ، كما في جزيرة (رودس) ، بالقرب منها جزيرة (كوس) باليونانية (استانكوى) بالتركية حيث يبلغ مجموع المسلمين في هاتين الجزيرتين ١٥ الفاً تقريباً .

٢ ـ الحالة الدينية :

اكثر المسلمين في اليونان متمسكون بعقائدهم وعباداتهم ويتحلون بالأخلاق الاسلامية التي ورثوها عن آبائهم واجدادهم . يضاف الى ذلك نسبة عالية



اسكى جامع بمدينة جوملجنه وقدكان كنيسة قبل الفتح العثمانى

من الجيل الجديد الذي بدأ يتنكر لعقيدته الاسلامية كما في كثير من انحاء العالم الإسلامي . ومن الاسباب الرئيسية لتنكر هذه الفئة لدينها . قلة الدعاة الذين يفهمون جوهر الاسلام ويُجيدون الدعوة الصالحة اليه . امـا حالة المسلمين الذين يعيشون على بعد ٨٠٠ ميل من تراقيا الغربية ، أعني جزيرة (رودس) فلا تشجـع ابداً بل تبعث الأسى والحسرة في النفوس . ذلك أن هذه المجموعة المسلمة تعيش شبه منعزلة عن كل ما يمت بصلة الى الاسلام ، حيث انهم اصبحو منعزلين بعد انفصال جزيرتهم عن تركية وعاشوا هملاً . واستطيع أن اقول انه لم يصل اليهم داعية إسلامي منذ خمسين سنة في الوقت الذي لم يظهر بينهم خلال ذلك من يتعلم اصول دينه ويدعو الناس اليه حيث اصبح ابناء الجيل الجديد لا يفقهون من امر اسلامهم شيئـاً . اللهم الا أن يكون مسلماً في حفيظة النفوس . ومن النتائج المؤلمة لهذا الجهل بالدين أن لا تتورع الفتاة المسلمة اسماً — أن تتزوج من رجل نصراني وفي جزيرة (رودس) خمسة مساجد من بقايا عهود الدولة العثمانية تبكي

على الاسلام زوال دولته من هاتيك الديار ومحظوظ المسجد من بين هذه المساجد ما اقيمت فيه صلاة الجمعة والعيدين . وهذه المساجد تركت لتنهار وحدها وكأنها لم تبن ليعمرها المصلون ، ومن الملاحظ أن حالة المسلمين في تراقيا الغربية تبعث الأمل في النفوس لدى مقارنة حالهم بحالة المسلمين في جزيرة رودس . حيث نرى أن في مدينة كوملجنه خمسة عشر مسجداً كبيراً الى جانب المساجد الصغيرة الموجودة في الاحياء حيث تقام الصلاة في كل مسجد من هذه المساجد بأوقاتها الخمسة كما توجد في القرى التي يقطنها المسلمون الاتراك مساجد ترتفع مآذنها دالة على دين سكانها . كما يوجد في كل ولاية من ولايات تراقيا الغربية المسلمة فقيه ، يتولى أمور النكاح والطلاق والميراث والمعاملات الشرعية والاشراف على أئمة المساجد وخطبائها ومؤذنيها ومدرسيها . كما توجد في كل ولاية ادارة للأوقاف الاسلامية لا تخضع لأي اشراف من الحكومة اليونانية . ويشرف على هذه الادارات هيئة منتخبة لمدة اربع سنوات تتولى صرف واردات الاوقاف على اصلاح شأن المساجد ومساعدة المدارس الاسلامية وصرف رواتب الائمة والواعظين والمؤذنين .

٣ ـ الحالة الاجتماعية :

يوجد في تراقيا الغربية ثلاث جمعيات اقدمها : اولاً : جمعية (اتحاد اسلام) ـ اتحاد مسلمي اليونان التي اسست عام ١٩٣٢ ميلادي وباشراف الشيخ مصطفى صبري افندي (رحمه الله رحمة واسعة) الذي كان شيخ الاسلام لعهد آخرسلاطين الدولة العثمانية السلطان وحيد الدين . وقد توقفت هذه الجمعية عن نشاطها اثناء الحرب العالمية الثانية والحروب الداخلية في اليونان ، ثم عادت لتبذل جهد المقل . ومن الاهداف الرئيسية لهذه الجمعية : التمسك بأهداب الدين الاسلامي الحنيف ،والاخوة الاسلامية ، وتبليغ ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم الى الناس وايضاح ما نسب الى الاسلام من بدع وضلالات والحث على العودة الى منبع الاسلام الصافي في الكتاب والسنة . ويبلغ عدد الاعضاء المنتسبين الى هذه الجمعية حوالي ٥٠٠٠ شخص. ويتولى رياستها الشيخ حافظ علي رشاد الذي شارك في المؤتمر الاسلامي الذي عقدفي القدس الشريف. كما شارك في موئتمر رابطة العالم الاسلامي الأول الذي عقد في جدة . والثاني الذي عقد في مكة المكرمة عام ١٣٨٤ ه . ومن اهم خدمات هذه الجمعية :



مقر جمعية اتحاد مسلمى اليــونان فى مدينة كلمِجنه

١) بعد مناقشات طويلة مــع الحكومة اليونانية نجحت في احباط مشروع طرحته الفئات المنحرفة يقوم على اجبار الطلاب على لبس القبعات في المدارس .

٢) وفي احباط مشروع يقضي بتبديل حروف العربية بــالحروف اللاتينية في المدارس وخارجها .

٣) ووفقت الجمعية بنجاح في اعادة مئآت الاوقاف الاسلامية من البيوت والدكاكين والحقول والبساتين بعد استملاك الحكومة لها اثناء الحربين الأولى والثانية أو من استملاك الناس الى حظيرة الاوقاف الاسلامية .

٤) نشر وتوزيع منشورات وكتب مدرسية دينية .

ثانياً : جمعية (انتباه الاسلام) تنبيه الاسلام وباعتبار هذه الجمعية لازالت حديثة العهد فانها لم تقدم بعد للمسلمين خدمات تذكر وإن كنا نعقد عليها بعض آمــال في خدمة مسلمي اليونان .

ثالثاً : (تورك كنجلر برلكي) — جمعية شبان الاتراك ، وهذه الجمعية اكثر امكانية مادية من الجمعيتين السابقتين وهدفها الوقوف في وجــه الجمعيات الاسلامية والحد من نشاطها . وتضم في عضويتها اناساً تنكروا لدينهم وضلوا عن السبيل السوى وجعلو العصبية

القومية فوق اخوة الاسلام . ونتيجة لامكانات هذه الجمعية المادية وقيام اعداء الاسلام بتزويدها بالامكانات اللازمة فإنها تقوم باصدار ثلاث صحف اسبوعية كل صحيفة بورقتين وباسماء (آقين — الهجوم ، مليت — القومية وتراقيا) في الوقت الذي تقوم فيه جمعية اتحاد مسلمي اليونان باصدار صحيفة واحدة نصف شهرية وبورقة واحدة تحت اسم (محافظة كار — حفظ الدين أو المحافظون) . مع قيام جمعية تنبيه الاسلام باصدار صحيفة واحدة اسبوعية وبورقة واحدة تحت اسم (ثبات — الثبات) ويمثل مسلمي اليونان ثلاثة اشخاص ينتخبون مرة كل اربع سنوات ، يتولون رعاية مصالح المسلمين لدى الحكومة اليونانية .

٤ — الحالة الثقافية :

توجد في تراقيا الغربية من المدارس الابتدائية اكثر من ٢٠٠ مدرسة يتعلم فيها ابناء المسلمين العلوم العصرية الى جانب العلوم الاسلامية بنسبة قليلة ومدرستان متوسطتان واخريان ثانويتان كما يوجد مدرستان تتوليان تدريس العلوم الشرعية بصفة خاصة وهما : (المدرسة الرشادية الشرعية والمدرسة الخيرية الشرعية) علماً بأن الحكومة اليونانية هي التي تتولى الانفاق على هذه المدارس واكثر مدرسيها من المسلمين .. ويوجد بين ابناء المسلمين من يتابع تحصيله العالي في مختلف فروع الجامعات التركية واليونانية مثل أنقرة واستانبول وأثينا وسالونيك . ومنهم من يتابع دراسته العالية في العلوم الشرعية بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة والجامعة الازهرية في القاهرة وكلية الشريعة في بغداد وكلية الهيات في انقرة .

٥ — الحالة الاقتصادية :

الحالة الاقتصادية للمسلمين الذين يعيشون في اليونان منحطة جداً وضعيفة اذا قورنت بالحالة الممتازة لليونانين غير المسلمين الذين يعيشون في تركيا ويعمل غالبية مسلمي اليونان بالزراعة ومن محصولاتهم (القمح والشعير والعنب والزيتون) بالاضافة الى الثروة الحيوانية . وتعتبر الجماعات الاسلامية في اليونان من اضعف الطبقات وافقرها وينعدم نهائياً اصحاب الاعمال التجارية الضخمة أو الصناعات الشهيرة .

اكثر المناطق الاسلامية في تراقيا الغربية حاجة الى الارشاد هي المناطق المحاذية لبلغاريا وهي بالذات من المناطق العسكرية التي يحظر فيها التجول وهي القرى الجبلية في هذه

المناطق التي قلمـــا تصل اليها اقدام الدعاة . هذه المناطق التي لا يسمح لدعاة غير يونانيين بالتجول فيهـــا ولضعف سكانها اقتصادياً جعلتهم في معزل عن العالم وخاصة العالم الاسلامي . حيث توشك أن تنقطع صلتهم بالاسلام ومناطق جزيرتي رودس واستانكوى المذكورتين آنفاً .

وقد كان معروفاً لدينا سابقاً بعض الحقائق التي زادتها حوادث الايـــام الأخيرة تثبيتاً وهي أن مسلمي اليونان يحتاجون الى المساعدة من ثلاث نواح ، ولو لم يكن مسلمو اليونان بحاجة الى هذه المساعدات لكان وجودهم على صورة اقلية في دولة أوروبية سبباً في انقراضهم شيئاً فشيئاً . فمثلاً : كما ذكرت عن مسلمي رودس سابقاً لم يبق لهم من الاسلام الا الاسم . ومصـــير مسلمي اليونان لن يكون خيراً مما وصل اليه حال المسلمين الذين يقطنون في الدول المجاورة الشيوعية مثل : بلغاريا ويوغوسلافيا وألبانيا ، فيما اذا لم تُـمد اليهم يد العون .على أية حال فإن مسلمي اليونان قد ترك لهم نوعٌ ما من الحرية . ولكن لا يجب أن تنسينا هذه الحرية وجوب مد يد العون اليهم .

ونبدأ الآن بتوضيح عناصر المساعدة التي يحتاج اليها مسلمو اليونان :

أولاً : — (التثقيف الديني) ، إن المسلمين في اليونان بحاجة الى تثقيف ديني متين رغم وجود بعض المدارس الدينية والتي تكون عاجزة عن اداء رسالتها بوجه حسن نتيجة افتقارها الى التوجيه المعنوي والمساعدة المادية . ولا تكاد تقوم بواجبها نحو ائمة المساجد وخطبائها ومؤذنيها إلا بشق النفس . وعلاج هذه المشكلة فتـــح المدارس المتوسطة والثانوية بامكانات قوية واختيار عناصر اسلامية ذات ثقافة عالية وصدق في العقيدة للتدريس فيها . حـــتى تصبح هذه المدارس قادرةً عـــلى تخريج دعاة صالحين للسير بالناس نحو دينهم الصّحيح وذلك خلال فترة ٥ — ١٠ سنوات ، بحيث يصبح هؤلاء الخريجون اساتذة في المدارس ووعاظاً ومرشدين في المساجـــد وبين الناس .

وأن اقل ما علينا من واجبات نحو هذه الفئات الاسلامية تثقيفها بثقافة تجعل الفرد قادراً على معرفة مـــا يجب على المسلم أن يعرفه .

ثانياً : — (التوجيه الديني) يكاد الدعاة من ابناء الجيل الحاضر ينعدمون

في المجتمع الاسلامي في اليونان في حين اصبح الوعاظ المتقدمون في السن قلة يشار اليهم بالبنان ، بالاضافة الى سطحية ثقافتهم الدينية . يوجد في الازهر حالياً ما بين ١٥ — ٢٠ طالباً يتلقون العلوم الاسلامية . واذا قارنا عدد الطلبة من ابناء مسلمي اليونان الذين يتلقون العلم في الأزهر بالطلبة الخمسة الذين يدرسون في المملكة العربية السعودية وجدنا ارتفاع نسبة الأولين الى الآخرين وتوصلنا الى ضرورة قبول اكبر عدد ممكن من ابناء مسلمي اليونان في معاهد المملكة العربية السعودية .

ونتمنى أن تولي رابطة العالم الاسلامي ودار الافتاء والجامعة الاسلامية عناية اكبر الى مسألة ايفاد الوعاظ والدعاة الى مسلمي اليونان .

ثالثاً : — (توزيع النشرات الدينية)
من المعلوم أن للدعاية واصدار النشرات دوراً كبيراً في توجيه العالم في هذا العصر ونرى ضرورة اصدار النشرات التي تطلع المسلمين في اليونان على حقيقة دينهم وتساهم في الحد من تيار الإلحاد الذي يجرف الشباب خاصة . هذا الجيل الذي لم يطلع على العلوم الاسلامية ولم يحاول الاندماج في جمعية اسلامية ، اليست النشرات السبيل الوحيد لنا للاتصال بهذا الجيل الذي ينفر من تعاليم دينه ومن الاتصال بنا ؟ وفي اعتقادنا إن تأثير هذه النشرات وإن احسن اختيارها سيكون اكثر فعاليةً من بناء مسجد على ما في هذا العمل ، أعني بناء المسجد من اهمية كبيرة ، وبين ايدي مسلمي اليونان الآن خمسة صحف — كما اشرت آنفاً — تقف الثلاثة منها على قوة امكانياتها لهدم ما تبنيها الأخرتان على قلة امكاناتها . مع ملاحظة افتقار الصحيفتين الاسلاميتين الى جودة الطباعة وصعوبة تأمين الورق المطلوب لدرجة تجعلها مدينتين وعاجزتين عن الصدور بانتظام . والوقوف على القدمين بصعوبة بالغة بالمساعدات المحلية المحدودة جداً . فأية مشكلة تستطيع كل واحدة من هاتين الصحيفتين معالجتها ؟ وأي ألم من آلام المسلمين في اليونان تقدر على ايصالها الى خارج اليونان بهذه الامكانات الضئيلة ؟ وأي تأثير لصحيفة نصف شهرية بين اناس يجرفهم تيار المادية الكافرة وبهرج الحضارة الأوروبية ؟ .

هذه العناصر الثلاثة التي أوضحتها ، واقترحت بعض الحلول لمشاكلها تمس جميع المسلمين ، لا مسلمي اليونان وحدهم . اما امكانياتنا لمعالجة هذه

المشاكل على الصعيد المحلي فتكاد تكون في غاية الضعف . واملنا كبير أن نحظى بعناية كافية من قبل رابطة العالم الاسلامي ودار الافتاء السعودية والجامعة الاسلامية وكـل المنظمات الاسلامية العالمية لنتمكن من معالجة هذه المشاكل المصيرية بالنسبة لمسلمي اليونان . لأن نتائج معالجة مشاكلنا الآنفة الذكر لن تكون محصورة في حدود الجماعات الاسلامية في اليونان بل ستتعداها الى اخواننا المسلمين الذين يعيشون في الدول الشيوعية المجاورة لنا والتي لا تألو جهداً في القضاء على الاسلام والمسلمين حيثما وجدوا ويمكن أن نكون نحن مسلمي اليونان قدوة صالحة لهؤلاء الاخوة . ولابد لوصول قبس من نور الاسلام الى هؤلاء ، رغم الحواجز التي تعترض سبيلنا اليهم فلن تقوى اجنحة الذباب أن تحجب نــور الشمس .

وختاماً املي كبير أن تنال اقتراحاتي ما تستحق من عناية وأرجو أن أكون قد وفقت لتشخيص المرض ووصف الداء تاركاً لرابطة العالم الاسلامي ولدار الافتاء والجـامعة الاسلامية ولكـل المنظمات الاسلامية تقديم الدواء وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

يقولون لى فيك انقباض وانمـا   رأوا رجلا عن موقف الذل أحجمـا

أرى الناس من داناهم هان عندهـم   ومن أكرمته عزة النفس أكرمـا

ومـا كل برق لاح لى يستفزنى   وما كل من لاقيت أرضاه منعما

وانى اذا ما فاتنى الامر لـم أبت   أقلب كفى نحوه متندمـا

ولم أقض حق العلم ان كان كلما   بـدا طمع صيرته لى سلمـا

اذا قيل هـذا منهل قلت قد أرى   ولكن نفس الحر تحتمل الظمـا

ولم أبتذل فى خدمة العلم مهجتى   لأخدم من لاقيت لكن لأخدمـا

أأسقى به عزا وأسقيه ذلـة   اذا فاتباع الجهل قد كان أحزما

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم   ولو عظمـوه فى النفوس تعظما

ولكن أذلـوه فهان ودنسـوا   محياه بالاطماع حتى تجهمـا

الجرجـانى

من طلائع الشيب

بقلم الطالب عبد القادر محمد النيجري

في شبابي كرعت كاس التهاني وتعاطيت كل ما قــد عناني
راح عني الشباب والتفــت الشيــب سريعــا وحــل في أذقــاني
إنــه منذر يقــول وضيف لا يساويــه سائــر الضيفان
مستحق التكريم فوق احترامٍ لضيوف الورى عظيم الشان
قلت ما الشأن قال شأني اتعاظ ثــم وعظ لسائــر الشبــان
لا يغرنْكم الشباب فكم مــن قــارع سنه بفــوت الأوان
جاهدوا أنفساً تميــل الى مــا هو شر لهــا بغض العيــان
واغنموا من أوقاتكم كل غال إنمــا الوقت صــارم هندوان
واذا الشيب لاح في فود مــرءٍ أنذرتــه الحيــاة بــالهجران
واذا حل في الســواد مشيــب صبغتــه أصابــع السلوان
وأطــل المنون مــن كــوة السطــح وأرخى الإيــاس سبــط البنان
وتقّوت مطامــع اللحد فيــه واستكانت مطامــع الشيطان
كل مــن ينثر الغبارَ عليــه دهــرُه فلينفضه بــالإذعان
من اتــاه الوقار فليشكرنــه وشكور الوقــار كف اللسان
واذا النور لاح فيك قشيبــاً إنــه من كرامــة المنــان
من ينــل رغوة الشباب فسعيا مُدّ مِنْ عيشه لِقسمٍ ثان

قيل في الشيب إنــه ليس نورا | مستضاء بــه مقالا شجـاني
كم بكى من طلوعــه وتباكى | جامد العين فاقــد الإتّزان
لا أرى منهج البكـاء قويما | لــو جرت انهرا بــه العينان
إنمــا المنهج القويم اتعــاظ | واتبــاع الرســول والقرءان

* * *

فكرة الشائب السليم لقــاح | سبقتهــا تجارب الأزمان
والذي شب عاقلا في أنــاس | من ذوي العلم والتقى والبيان
وأتــاه المشيب بعد اغتنــام الــوقت والنيــل مــن جميــع الأمــاني
فهنيئا لــه بما نالــه مــن | كرم العيش وارتفاع المكــان
والــذي ينفــع البريــة في مجتمــع القــوم ســالــم البنيــان
لم يكن ينفــع البريــة عضو | فــاسد شؤمــه على الاركان
أيهــا الشبل كن فتيا نزيهــا | يتــولى العمــران بــالعمران
لا تكــن هادما لمــا شيدته | مــن بناياتها يــد الإخــوان
والــذي تبغيــه أحببه للنــا | س ، ولا تنحرف عن المــيزان
والذي تبتغيه إن كنت شيخــا | فأتــه اليوم مع ذوي الأسنان
مــا تدنهم به يدنك بــه النا | س ، كذا حكم سائر الأديان
والقضايا مسلمات لمــن شــا | ء ومن شاء خاض في النكران
وختام المقــال مسك ومانــر | جــوه حسن الختام بــالإيمان

يستفتونك

يتولى الرد على أسئلة القراء فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز
نائب رئيس الجامعة الاسلامية

هل يوجد الرسول — عليه الصلاة والسلام في كل مكان ، وهل كان يعلم الغيب ؟

الجواب : قد علم من الدين بالضرورة وبالأدلة الشرعية أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لا يوجد في كل مكان وانما يوجد جسمه في قبره فقط في المدينة المنورة ، أما روحه ففي الرفيق الأعلى في الجنة ، وقد دلّ على ذلك ما ثبت عنه — صلى الله عليه وسلم — أنه قال عند الموت : (اللهم في الرفيق الأعلى) ثلاثاً ثم توفي ، وقد أجمع علماء الاسلام من الصحابة ومن بعدهم أنه — عليه الصلاة والسلام — دفن في بيت عائشة — رضي الله عنها — المجاور لمسجده الشريف ولم يزل جسمه فيه الى حين التاريخ ، أما روحه وأرواح بقية الأنبياء والمرسلين وارواح المؤمنين فكلها في الجنة لكنها على منازل في نعيمها ودرجاتها حسب ما خصّ الله به الجميع من العلم والايمان ، والصبر على حمل المشاق في سبيل الدعوة الى الحق ، أما الغيب فلا يعلمه الا الله وحده ، وانما يعلم الرسول — صلى الله عليه وسلم — وغيره من الخلف من الغيب ما أطلعهم الله عليه مما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة بيانه من أمور الجنة والنار وأحوال القيامة وغير ذلك مما دلّ عليه

القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة كأخبار الدجال وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة ونزول المسيح عيسى بن مريم في آخر الزمان واثبات ذلك لقول الله عز وجل في سورة النمل : (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون) وقوله سبحانه : (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب) الآية من سورة الأنعام ، وقوله سبحانه في سورة الأعراف : (قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرا الاّ ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الاّ نذير وبشير لقوم يؤمنون) والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وقد صحّ عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في أحاديث كثيرة ما يدلّ على أنه لا يعلم الغيب منها ما ثبت في جوابه لجبريل لما سأله عن الساعة قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل . ثم قال في خمس لا يعلمهن الاّ الله وتلا قوله سبحانه : (ان الله عنده علم الساعة وينزّل الغيث) الآية من سورة لقمان ، ومنها أنه – عليه الصلاة والسلام – لما رمى أهل الافك عائشة – رضي الله عنها – بالفا حشة لم يعلم براءتها الاّ بنزول الوحي كما في سورة النور ، ومنها أنه لما ضاع عقد عائشة في بعض الغزوات لم يعلم – صلى الله عليه وسلم – مكانه وبعث جماعة في طلبه فلم يجدوه فلما قام بعيرها وجدوه تحته ، وهذا قليل من كثير من الأحاديث الواردة في هذا المعنى .

أما ما يظنه بعض الصوفية من علمه بالغيب وحضوره – صلى الله عليه وسلم – لديهم في أوقات احتفالهم بالمولد وغيره فهو شيء باطل لا أساس له وانما قادهم اليه جهلهم بالقرآن والسنة وما كان عليه السلف الصالح فنسأل الله لنا ولجميع المسلمين العافية مما ابتلاهم به ، كما نسأله سبحانه أن يهدينا واياهم جميعاً صراطه المستقيم انه سميع مجيب .

ما حكم ما يتعاطاه بعض الناس من الاجتماع على آلات الملاهي كالعود والكمان والطبل وأشباه ذلك وما يضاف الى ذلك من الأغاني ويزعم أن ذلك مباح .

قد دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على ذم الأغاني وآلات الملاهي والتحذير منها وأرشد القرآن الكريم الى أن استعمالها من أسباب الضلال واتخاذ آيات الله هزوا كما قال تعالى: « ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين » . وقد فسر أكثر العلماء لهو الحديث بالأغاني وآلات الطرب وكل صوت يصد عن الحق وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف » . والمعازف هي الأغاني وآلات الملاهي . أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يأتي آخر الزمان قوم يستحلونها كما يستحلون الخمر والزنا والحرير وهذا من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم فان ذلك وقع كله والحديث يدل على تحريمها وذم من استحلها كما يذم من استحل الخمر والزنا والآيات والأحاديث في التحذير من الأغاني وآلات اللهو كثيرة جدا . ومن زعم أن الله أباح الأغاني وآلات الملاهي فقد كذب وأتى منكرا عظيما نسأل الله العافية من طاعة الهوى والشيطان وأعظم من ذلك وأقبح وأشد جريمة من قال أنها مستحبة ولا شك أن هذا من الجهل بالله والجهل بدينه بل من الجرأة على الله والكذب على شريعته وانما يستحب ضرب الدف في النكاح للنساء خاصة لاعلانه والتمييز بينه وبين السفاح ولا بأس بأغاني النساء فيما بينهن مع الدف اذا كانت تلك الأغاني ليس فيها تشجيع على منكر ولا تثبيط عن واجب ويشترط أن يكون ذلك فيما بينهن من غير مخالطة للرجال ولا اعلان يؤذي الجيران ويشق عليهم وما يفعله بعض الناس من اعلان ذلك بواسطة المكبر فهو منكر لما في ذلك من ايذاء المسلمين من الجيران وغيرهم ولا يجوز للنساء في الأعراس ولا غيرها أن يستعملن غير الدف من آلات الطرب كالعود والكمان والرباب وشبه ذلك بل ذلك منكر وانما الرخصة لهن في استعمال الدف

خاصة أما الرجال فلا يجوز لهم استعمال شيء من ذلك لا في الأعراس ولا في غيرها وانما شرع الله للرجال التدرب على آلات الحرب كالرمي وركوب الخيل والمسابقة بها وغير ذلك من أدوات الحرب كالتدرب على استعمال الرماح والدرق والدبابات والطائرات وغير ذلك كالرمي بالمدافع والرشاش والقنابل وكلما يعين على الجهاد في سبيل الله وأسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين وأن يوفقهم للفقه في دينه وتعلم ما ينفعهم في جهاد عدوهم والدفاع عن دينهم وأوطانهم انه سميع مجيب

من أين يتلقى المكافحون القوة على الكفاح ؟

من تقدير الوطن وتكريم الشعب ؟ انه سندغير مضمون . فالشعوب احيانا تكون فى درجة من الوعى لا تسمح لها بالتقدير . بل انهـا احيانا تحطم من يريدون لها الخير وتصفق للمهرجين .

من الثقة بالنفس والاعتداد بالذات ؟ انـه سند غير مضمون كذلك . ان النفس لتنهار احيانا أمام الاغراء وأمام التهديد . فاذا ثبتت لهما فقد لا تثبت على تنكر الوطن والشعب وعلى التلويث المزور الذى يمكن ان ينال أكرم الرجال انه لا بد من سند ثابت لا يتزعزع . لا بد من الارتكان الى قوة أكبر من قوى الارض . قوة لا تهون ولا تتزعزع :

انها العقيدة فى الله .

سيد قطب

يهودية وصهيونية

مقال للشيخ محمد الغزالى الكاتب المعروف نشرته مجلة الوعى الاسلامى فى عددها الصادر بتاريخ ذى القعدة ١٣٨٩ هـ يناير ١٩٧٠ م ننشره بتصرف ٠

سمعته يقول : اليهودية شيء والصهيونية شيء آخر ٠٠ اليهودية دين سماوى كالنصرانية والاسلام أما الصهيونية فنزعة سياسية متطرفة استغلها الاستعمار الغربى لبلوغ مآربه ، اليهودية دين قديم له مصادره المقدسة أما الصهيونية فحركة حديثة ولدت فى نهاية القرن التاسع عشر للميلاد وغذتها ونمتها ظروف عنصرية ودولية طارئة ٠

قلت له : تعنى أن اليهودية لا أطماع لها فى فلسطين وأنها لم تبيت عدوانا على العرب الامنين ، وان التوراة والتلمود وسائر الاسفار المقدسة بريئة مما تفعله الان دولة اسرائيل **وأن الحرب المعلنة علينا من خمسين سنة ليست دينية ؟!**

قال نعم هذا بدقة ما أريد أن أذكره ٠٠ قلت : أو لو قرأت عليك من نصوص الكتب المقدسة ما يدحض هذه الاوهام قال : كيف ؟ يستحيل أن تتضمن هذه الكتب استباحة أرضنا وجنسنا والاستهانة بحقوقنا المؤكدة ٠

قلت بل سأقرأ عليك من الكتب المقدسة المتداولة بين أيدى القوم م يزيح هذه الغشاوة عن الاعين وما يشرح أن فلسطين كانت ملكا لبنى اسرائيل خاصا بهم وانهم أجلوا منها عقابا الهيا للاثام التى ارتكبوها وان الاله الذى عاقبهم تجاوز بعد عن سيئاتهم وقرر اعادتهم الى أرضهم الاولى كى تفيض عليهم سمنا ، وعسلا وخمرا ٠ وان هذا الاله ندم على ما فعل بشعبه المختار ورد اليه مجده ووطنه كى تتوطد

سلطته وسيادته على أنقاض غيره من الامم !

هكذا تقول صحائف التوراة والتلمود واصحاحات العهد القديم التى يتعبد اليهود فى المشرق والمغرب بتلاوتهاوالتى يستوحون منها سياستهم فى القديم والحديث على سواء !!

وعلى ضوء هذه السطور المقدسة ، بل على نارها المحرقة أكلت حقوق العرب وتواصى الاوربيون والامريكيون باجتياحها ٠

ثم جاء اليهود فى الوقت المناسب ليتسلموا أرض الميعاد التى حدثتهم كتبهم عنها ، وباشروا حرب الابادة التى لا بد منها ليسود جنسهم وتقوم مملكتهم !!

وقد كانوا فى اقبالهم من شتى القارات الى فلسطين معبئين بشعور دينى عارم تعمل من ورائه هذه النصوص ، **كما أنهم فى بنائهم دولة اسرائيل ومقاتلتهم العرب أصحاب الارض كانوا مفعمين بهذه العاطفة الدينية المرتكزة على كلمات التوراة والتلمود واصحاحات العهد القديم ٠**

اننا معشر المسلمين نؤمن بموسى وتوراته أما ما دونه جامعوا العهد القديم ونسبوه الى الله فأمر آخر يتجاوز فيه الحق والباطل والجد والهزل !!

ونحن نجزم بأن الله لعن بنى اسرائيل لعصيانهموعدوانهم،ونستفيد هذه الحقيقة من كتابنا الوثيق قبل استفادتها من أى شىء آخر فهل تغير من خلائق اليهود ما استحقوا من أجله اللعنة ؟

لقد مرت آلاف السنين على هذا الشعب المطارد ، قاتل الانبياء المتمرد على وحى السماء !

وبعث الله عيسى اليهم فكذبوه وحاولوا قتله ، وبعث اليهم محمدا من بعده فكذبوه وحاولوا قتله ، وتتابعت الاعصار وهم حيث حلوا فى أرض الله نماذج للاثرة والقسوة وأكل الربا واشاعة الخنا بيد أن كاتب العهد القديم وعد اليهود بأنهم سيعودون الى فلسطين التى نفوا منها وتوارث القوم هذا الامل ، وأحسوا كأن هذا القطر ارث لا بد أن يؤول اليهم ، وأن غيرهم طارىء عليهيجب أن يزول ، وعلى هذا الاساس عوامل العرب وعونج وجودهم التاريخى والدينى !

ولنقرأ هذه الكلمات من العهد القديم (برائحة سروركم أرضى عنكم حين أخرجكم من بين الشعوب ، وأجمعكم من الاراضى التى تفرقتم فيها ، وأتقدس فيكم أمام عيون الامم فتعلمون أنى أنا الرب حيثآتى بكم الى أرض اسرائيل الى الارض التى رفعت يدى لاعطى آباءكم اياها)

٤١ـ٤٢ من الاصحاح العشرين حزقيال أى نشوة دينية تغمر اليهود وهم قادمون من كل فج صوب أرض فلسطين ؟ وهذا النص الديني يسوقهم! وقبل أن استطرد فى ايراد النصوص الدينية التى تحدث اليهود عن أرض الميعاد وعن قيام دولة جديدة لهم لا بد من أن أقف لاشرح وأشرح !

ان بنى اسرائيل لم يحدثوا توبة يستحقون بها الرحمة العليا ، فهم تائهون عن الحق فى مجال الاعتقاد والعمل ، وهم وراء أزمات الايمان والاخلاق التى تزلزل الكيان البشرى وتهدده بالدمار الفاشل .

وعودتهم الجزئية الى فلسطين ترجع أولا وآخرا الى طبيعة الجبهة المناوئة لهم أو الى احوال الامة التى ورثت الدعوة من بعدهم ان العرب تخلوا عن قيادة الدعوة العالمية للاسلام بل تجردوا من جملة فضائله وعزائمه بل تسلمت السلطة فى بعض أقطارهم حكومات ترفض الاسلام دولة وتكرهه نظاما (!) فى هذا الليل المعتكر من الفتن المتلاحقة قد يأذن الله لليهود بعودة لا قرار لها لان اليهود لا يحملون بذور رسالة انسانية صالحة ولان حملة الرسالة الاسلامية الباقية سوف يستفيقون من غفلتهم أو يتغلبون على هزائمهم ويستأنفون مقاتلة اليهود حتى يجهزوا عليهم . **أليس من تعاجيب الليالى أن تتخلى الامة العربية عن الاسلام ؟ عن الحق الذى رفع الله به قدرها ؟ وتزعم وسائل الاعلام بها أن قضية فلسطين ليست اسلامية ! وذلك فى الوقت الذى يتشبث العبريون فيه بتوراتهم ويعدون فيه فلسطين قسمة الهية لهم؟**

وهل يبحث عاقل عن سر هزائم العرب بعد هذا التفاوت الهائل فى الروح المحرك لكلا الفريقين ؟ فلنقرأ عن أرض الميعاد لا كما يتحدث كتاب الصهيونية ، بل كما يتحدث العهد القديم نفسه لنقرأ هذا النص الطويل :

(لذلك فقل لبيت اسرائيل ـ هكذا قال السيد الرب ـ ليس لاجلكم أنا صانع يا بيت اسرائيل بل لاجل اسمى القدوس الذى بخستموه فى الامم حيث جئتم ، فأقدس اسمى العظيم المبخس فى الامم ، والذى بخستموه فى وسطهم ، فتعلم الامم أنى أنا الرب يقول السيد الرب : حين أتقدس فيكم قدام أعينهم وآخذكم من بين الامم وأجمعكم فى جميع الاراضى وآتى بكم الى أرضكم وأرش عليكم ماء طاهرا فتطهرون من كل نجاساتكم ومن كل أصنامكم أطهركم، وأعطيكم قلبا جديدا ، وأجعل روحا جديدة فى داخلكم وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم وأجعل روحى فى داخلكم وأجعلكم تسلكون فى فرائضى وتحفظون أحكامى وتعملون بها وتسكنون الارض التى أعطيت آباءكم اياها وتكونون لى شعبا

وأنا أكون لكم الها ٠٠ واخلصكم من كل نجاساتكم ٠

وأدعو الحنطة وأكثرها ولا أضع عليكم جوعا وأكثر ثمر الشجر وغلة الحقل لكيلا تنالوا بعد عار الجوع بين الامم فتذكرون طرقكم الرديئة وأعمالكم غير الصالحة وتمقتون أنفسكم أمام وجوهكم من أجل آثامكم وعلى رجاساتكم لا من أجلكم أنا صانع ـ يقول السيد الرب ـ فليكن معلوما لكم ، فاخجلوا واخزوا من طرقكم يا بيت اسرائيل ـ هكذا قال السيد الرب ـ فى يوم تطهيرى اياكم من كل آثامكم أسكنكم فى المدن فتبنى الخرب وتفلح الارض الخربة عوضا عن كونها خربة أمام عينى كل عابر ، فيقولون هذه الارض صارت كجنة عدن والمدن الخربة والمقفرة والمهدمة محصنة معمورة فتعلم الامم الذين تركوا حولكم أنى أنا الرب بنيت المنهدمة وغرست المقفرة أنا الرب وتكلمت وسأفعل ـ هكذا قال السيد الرب ـ

بعد هذه أطلب من بيت اسرائيل لافعل لهم أكثرهم كغنم أناس كغنم مقدس كغنم أورشليم فى مواسمها ، فتكون المدن الخربة ملآنة غنم أناس فيعلمون انى أنا الرب) ٢٢ـ٣٨ الاصحاح السادس والثلاثون حزقيال ٠

وهذا النص أيضا (هوذا عينا السيد الرب على المملكة الخاطئة وأبيدها عن وجه الارض غير أنى لا أبيد بيت يعقوب تماما ـ يقول الرب ـ لانه هأنذا آمر فأغربل بيت اسرائيل بين جميع الامم كما يغربل فى الغربال وحبة لا تقع الى الارض ٠ بالسيف يموت كل خاطئى شعبى من القائلين لا يقترب الشر ولا يأتى بيننا فى ذلك اليوم أقيم مظلة داود الساقطة وأحصن شقوقها وأقيم روحها وأبنيها كأيام الدهر لكى يرثوا بقية أدوم وجميع الامم الذين دعى اسمى عليهم ـ يقول الرب الصانع هذا ـ

ها أيام تأتى يقول الرب يدرك الحارث الحاصد ودائس العنب بأذر الزرع ، وتقطر الجبال عصيرا وتسيل جميع التلال وأدرسبى شعبى اسرائيل فيبنون مدنا خربة ويسكنون ويغرسون كروما ويشربون خمرها ويصنعون جنات ويأكلون ثمارها وأغرسهم فى أرضهم ولن يقلعوا بعد أرضهم التى أعطيتهم قال الرب الهك ٠٠) ٨ـ١٥ الاصحاح التاسع ، عاموس ونختم بهذا النص :

(هكذا قال رب الجنود : هأنذا أخلص شعبى من أرض المشرق ومن أرض مغرب الشمس وآتى بهم فيسكنون فى وسط أورشليم ويكونون لى شعبا وأنا أكون لهم الها بالحق والبر) ٧ـ٨ الاصحاح الثانى ، زكريا ٠

هذه نصوص لم يكتبها ـ موسى ديان ـ فى هذا القرن ولم يكتبهـــا هرتزل فى القرن الماضى ولم تتمخض عنها مؤتمرات الصهيونية المنعقدة فى سويسرا أو فرنسا ٠٠ انها عند ذويها آيات وحى يتلى ومعالم دين يتبع ٠

وليس اليهود وحدهم الــــذين يوفون بهـذه الوعود السماوية لبنى اسرائيل بل كثير من النصارى الذين يجعلون اصحاحات العهد القديمأجزاء من الكتاب المقدس ، خصوصاالكنائس الانجيلية (البروتستانت) الــذين يمثلون أكثر شعوب انجلتراوالولايات المتحدة !!

ولكن عصابة من الكتاب العــرب أخذت على عاتقها تغطية هذه الحقائق الدينية والزعم بأن (اسرائيل) تمثل الصهيونية ولا تمثل اليهوديـة وان الدين لا علاقة له بهذه الحرب الناشبة لابادة العرب وتهويد فلسطين !

أهو الجهل الاعمى ؟

ربما ٠ ومن البلاء أن يكــون الرأى لمن يملكه لا لمن يبصره ٠

أهو الاقصاء المتعمد لدور الاسلام فى المعركة ؟

ذلكم أغلب الظن ، بل هو جملـة اليقين وعمل اولئك الكتاب هـــو تسميم الفكر العربى حتى يدخــل العرب معركتهم الحاسمــة بلا روح أى بلا ايمان دينى واضح دافع ٠

ربما عابوا السمو الأدبى بأنهقليل:	ولكن الخير كذلك
وبأنه مخـــالف :	ولكن الحق كذلك
وبأنـــــه محير :	ولكن الحسن كذلك
وبأنه كثير التكاليف :	ولكن الحرية كذلك ٠

الرافعى

تتمة ـ النبــوة : اصطفاء وقــدوة

لقد كان لكل من هؤلاء الابطــال عالم مستقل ، منفصل عن حاضرهــم متصل بعالم الرسول والصحابــة • حققوه باخلاصهم وانقطاعهم الى الله •

٢ـ الحب :

والاقتراب كما أوضحنا عمليــة نفسية خالصة لا بد فى استمرارهــا من قوة فى القلب ذات ديمومةوتوهج وهذه القوة هى الحب : حب اللــه والرسول حبا يغمر سائر العواطـف والنزعات ويتألق صدقا ونقاء • وهو حجر الاساس فى الايمان ، قال عليه الصلاة والسلام « لا يؤمن من أحدكم حتى أكون احب اليه من ولـــده ، ووالده ،والناس أجمعين »(١) !

ذلك أن حب الرســول هو حب لنعقيدة التى أمر بنشرها فى الارض وقد قال تعالى «قل : ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » (٢)

ان حب العقيدة فى الاسلام فــوق حب النفس والحياة •

٣ـ العقيدة فوق الثروة والمال :

فلا غرو أن يجعل الله العقيدة فوق المادة والدعوة فوق المال •

ان الثروة والموارد الاقتصاديـــة لا بد منها فى الانشاء والتعمير اللذين هما ثمرة من ثمار العقيدة • ولكــن الله يريد أن يهيمن الدين على القوى المادية وان يسخرها فيما ينفع الناس ويأبى ان يعلو الشغف بالثروة عـلى حب الله والرســـول • ويغضب ان يتخذ الدين مطية استغلال يصرفــه أصحاب المصالح الخاصة فيما يعـود عليهم بنفع شخصى • ولعل هـــذا يفسر لنا حكمة الله فى اختيار الانبياء والقادةمن غيرذوى الثروات الذين يرفعون المصلحة الخاصةعلى العقيدة،والمصلحة العامة وينفصلون عن الامة فى قضيتها الكبرى •ولهذا قال نبى بنى اسرائيل لاغنيائهم : « هل عسيتم ان كتـــب عليكم القتال الا تقاتلوا » وكان منهــم ما توقعه ، اذ اعترضوا على ملكيــة طالوت ولم يعرهم الله اهتمامه ،فنصر عبده طالوت من غير مدد فيهم ومـــن غير ثرواتهم • وان بعضهم ليحارب النبى المختار حفاظا على مصلحتــه أو مصلحة عشيرته وهل يفسر موقـف أبى سفيان قبل الفتح ، وموقف ابى جهل بغير هذا ؟

والاسلام لا يحرم الغنى ولا يزهد فيه ولكن يجعله فى خدمة العقيدة ، وقد رضى الله الغنى لبعض انبيائــه

١ـ رواه مسلم والبخارى والامام احمد فى مسنده • والنسائى وابن ماجه •

٢ـ ال عمران : ٣١

١ـ البقرة : ٢٣٦

والملوك الصالحين عندما جعل نفوسهم فوق المال ، فخلت قلوبهم من محبة الثروة ، وسمت على المادة فجعلوا العقيدة فوقها وكانت عندهم للدين خادما وتبيعا • هذا نبى الله سليمان سأل ربه ملكا لا ينبغي لاحد من بعده، فأعطاه العجب العجاب ، وفجر الكنوز بين يديه واستخرجت له الثروات من جوف الارض ، ومن قاع البحار ، فكانت عنده كلها خارج قلبه ، ولم يشغله الا بحب الله وكلمة التوحيد• ولم تستطيع هذه الاموال الخلابة أن تظفر من قلبه بشيء ، وكان هذا ابتلاء لسليمان أيما ابتلاء • وظهر هذا جليا في موقفين من مواقفه : الاول اذجاءه وقد بلقيس بهدية ثمينة ، ظنا منها أن سليمان ملك كسائر الملوك ، يرضى المال طموحه فكان جوابه •• « أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما أتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون »(١) ولو كان سليمان جماعا شرها لارتضى بها ، فان من تسلط عليه حب المال لا يشبعه الا التراب •والموقف الثاني: اذ لام نفسه على انشغاله باستعراض خيل الجهاد ، حتى توارت الشمس بالحجاب او فاتته الصلاة ،فأدب نفسه ايما تأديب : أكب بنفسه على سوق الخيل واعناقها وكان قد أجهدها الجرى والسباق ونضحت بالعرق فطفق يمسحه عنها ، يفعل ذلك وهو الملك بين يديه الانس والجن تخدمه، قهرا لنفسه التى استمتعت بالخير برهة فنسيت ذكر ربها ، واذلالا لها وتأديبا •

ـ وتتجلى هذه الظاهرة ايضا فى موقف الفاتح الصالح ذى القرنين ، اذ عرض عليه أهل ما بين السدين مالا عظيما ، يؤدونه سنويا له ، ليبنى لهم سدا يحميهم من غارات يأجوج ومأجوج • فرفض العرض ودعاهم الى الاعتماد على انفسهم ومساعدته بالرجال والمعادن لينفعهم بخبرته ويقيم لهم ردما خيرا من السد « قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما » (٢) •

لقد كان سليمان وذو القرنين عليهما السلام أغنى أهل الارض فى يومهم وكان المال لا يدخل فى حسابهما فى شيء الا بما ينفع عباد الله وبما يرضى الله • واختار الله محمدا (ص) نبيا لانشب عنده ولا متاع وقال الاثرياء من العرب ، « لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين

١ـ النمل ـ ٢٦

٢ـ الكهف : ٩٥

عظيم » (١) ولما رأوا الدعوة تنتشر انتشار البرق علموا ان ليس معدن العظمة المال ، وان العظمة الحقيقية فى القيم الربانية وفى الشرع الالهى الذى يستقر فى القلب ويجرى عملا صالحا. وقد تدفقت الاموال على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يعلق بقلبه شيء منها ولا تزود بغير زاد سنة . نهض مرة بعد التسليم من صلاته مسرعا فتخطى رقاب الناس الى بعض حجر نسائه ، ففزع الناس من سرعته ، فخرج عليهم ، فرأى أنهم قد عجبوا من سرعته ، قال : ذكرت شيئا من تبر عندنا فكرهت ان يحبسنى فأمرت بقسمته » (١)

ورأت أمهات المؤمنين الاموال تحمل الى رسول الله (ص) فتاقت نفوسهم الى التوسعة ورغبن فيها الا رسول الله (ص) وأبى الرسول الا أن يكون هو وبيته مثلا فى الرضا بالكفاية ، وجاءهن من الله التخيير : اما الصبر على رسول الله على ما أراد الله له من تقديم الاخرة على الدنيا واما التسريح والتمتيع ،فاخترن الله والرسول .

ومن ثم كانت دعوة الانبياء خالصة لله لم يبتغوا بها منفعة لانفسهم أو جزاء دنيويا . وما من رسول الا قال لقومه .« وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين»(٢)

٤ـ الصبر والثبات والبطولة :

وان تأنس بالرسل ، فلتأنس بما كانوا عليه من صبر وثبات واقدام .

رجل أعزل ، نازل وحده أمة ، حتى انقادت له على الاسلام . فبأى سلاح فرق النبى صفوف الخصوم الالداء ؟ انه الصبر والثبات . وانى لاحسبه أمضى سلاح فى دك أسوار الجاهلية والوثنية .

كانت معركة الرسول صلى الله عليه وسلم بين فئتين غير متكافئتين كما . واذ قضت حكمة الله أن ينازل الرسول وحده قوة مناوئة ذات عدد ، فلا بد من الصمود فى وجهها صمودا باسلا يكشف عن ثبات الحقيقة التى يدعو اليها ، ويفضح زيف العقائد التى يتشبث بها الجاهليون . وما من نبى الا جعل الله فى عزيمته من الثبات ما تزول منه الجبال وما يزول : موقف راسخ ، ملؤه الحزم والتصميم والاقدام ، يريد ان يفتح قلوبا مغلقة ، وان ينفذ الى ضمائر مظلمة ، وفى نفسه قوة لا تقهر ، وارادة لا تنثنى ، اذ آمن أن الله معه . هذا التحدى نجده فى انذار هود قومه « قال : انى اشهد الله ، واشهدوا أنى برىء مما تشركون ، من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون . انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ، ان ربى على صراط مستقيم » (٣) .

١ـ رواه البخارى . انظر رياض الصالحين ص ٥٧

٢ـ الشعراء : ١٠٩

٣ـ هود : ٥٦

فالصبر اذا ميدان التجربة ، وهو الكاشف الحقيقى للافكار المتصارعة ، وفائدتها الكبرى هو هذا الالتحام والنزال بين العقيدتين ، وكان من الهين على الرسول ان ينسحب بالفكرة ، والرسالة الى أرض ، لا يلقى فيها مقاومة ، ولكنه عندئذ لا يربح المعركة ، وما يكون كسب المعركة الا باللقاء · ولهذا أمر محمد صلى الله عليه وسلم بنوع خاص من الصبر ، هو الصبر الجميل ·
وهذا الصبر : جميل فى اسلوبه ، وفى عواقبه اتصال بالمناوئين وهجوم على قلوبهم بالعقيدة ، ومجابهتهم بالحق ، بما لدى الرسول من الحكمة والموعظة الحسنة · حتى اذا طاشت أحلامهم وثاروا به ثبت لهم ولم يتراجع ، حتى يرهبهم صبره ، وتهزمهم عقيدته ·ولا ابلغ من تصوير هذا الواقع من انهزام الكفار انهزام عقيدة ونفس من قوله تعالى فيهم « فما لهم عن التذكرة معرضين ، كأنهم حمر مستنفرة ، فرت من قسورة » (١) ·

ومن ثم تبدو مواقف النبى صلى الله عليه وسلم خارجة عن طاقة أى انسان ، ولو كان ايدا شديدا ولعل هذه البطولة هى التى تكسبه الانصار بل تنتزع الرجال من صفوف الخصوم الى صفوف الانصار ، تأخذهم روعة الموقف البطولى ، فيعبرون البرزخ الى معسكر النبى صلى الله عليه وسلم · ألم يعبر عمر وخالد وغيرهما ، هذا البرزخ جهارا · !

ان هذه المواقف الخالدة فى عالم البطولة فرضت احترام النبى على الاعداء ، فقال فيه أحد معارضيه «هو القرم الذى لا يقدع أنفه » (٢)، وهى التى بعثت الاعجاب فى عمه أبى طالب وعشيرته ، فاحتملوا من أجله ما احتملوا ·

ولكنى ــ معذرة : اذ أطلقت اسم البطولة على صبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فلم اظفر بكلمة أبلغ فى الدلالة منها · فان بطولة محمد والانبياء عليهم السلام ، ليست كبطولة الرجال المتمازين الاقوياء · ليست كبطولة القياصرة· والاباطرة، وقادة الجيوش من قيصر روما ونابليون الى مونتغمرى وروميل وغيرهم · فان أمثال هؤلاء كانوا ابطالا لانفسهم · صفق لهم الناس لحظات ، فلما زالوا أو سقطوا لم يبق منهم الا أشباح باهتة ، ولم يبق من بطولاتهم الا ذكرى كالصدى الضائع فى مجاهيل الارض · أما محمد صلى الله عليه

· ١ــ المدثر : ٥٠

٢ــ ينسب هذا القول لابى سفيان قبل اسلامه وينسبه بعضهم لورقة بن نوفل وكان من المشجعين للرسول « انظر لسان العرب ق·ع »

وسلم فلم يكن بطلا لنفسه ، وانما لخير الانسانية وهداها • فما في بطولة صلف ، ولا كبرياء•ولا طغيان ولا تمجيد لذاته بل كانت بطولته العدالة ، والحق والانصاف والتقوى • ولذلك ما زالت مواقف صبره وجهاده، تفيض من القيم الانسانية البطولية ، ولم تستطع العصور ، ولن تستطيع ان تفقدهما من جدارتها شيئا •

وخير من كلمة البطولة اسم النبوة: فالنبوة فوق البطولة ، وما بينهما ، كما بين الارض والسماء ، ولامر ما لقبه أحد كتاب الغرب « بطل الابطال » (١) •

٥- المسؤولية والعهد :

كان استبسال الرسل في نشر الدعوة ، والتمكين ، وفاء منهم بعهد الله • ذلك لانهم قد واثقوا الله على الاخلاص له ومنح حياتهم كلها للرسالة قال تعالى :(واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا » •

وعلى هذا لم يعرفوا لوجودهم معنى ولا غاية غير انفاذ كلمة الله على أتم وجه وأصدق اداء وهذه المسؤولية في الحفاظ على الدين والاستمساك به ونشره في الارض ، تنتقل الى المؤمنين من بعدهم قال تعالى بعد تلك الاية : « ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا اليما »•

والمؤمنون الصادقون لا يدخرون جهدا في اتباع الطريقة المثلى لاعلاء كلمة الله ، والوفاء بعهده حتى يغدو الدين المأثورة الخالدة والمطلب الاثنى لهم ، به يحيون ومن أجله يحيون • فأي تضييع لجانب منه خسارة لا تعوض • فيكون الجهد الايجابي البناء في حياة الامة ان يحتفظوا بالدين صافيا خالصا لا ينفصلون عنه في صغيرة أو كبيرة من شؤون دنياهم أو اخرتهم حتى لا يرتدوا الى النقصان وفي النقصان الانحطاط والخسران •

ان العقيدة الاسلامية تبعث في نفوس اتباعها تساميا رائعا يدركون به معنى انسانيتهم وتكاملها الصاعد في سبيل الله • لذلك كان أشد ما يخشاه الانبياء هو الابتعاد او التراجع أو انتهاء الحياة على غير شريعة الله ، فتكون في ذلك مأساة الانسان الحقيقية ، مأساة ضلاله وضياعه وخسرانه في دار الابتلاء فكانت وصية ابراهيم لابنائه ان يستمسكوا بالدين حتى الرمق الاخير

١- هو توماس كارليل مؤلف كتاب الابطال

قال تعالى : « ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الاوأنتم مسلمون» (١)

لقد تمت نعمة الله على الانسان بالاسلام ، به يعرف غاية وجوده وسبيله الى الفوز والكمال ، فمن أنف منه واستعلى على نعمة الله أضاع حقيقته وخسر نفسه قال تعالى: « ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه » (٢)

وكان مما يقلق بال رسول الله (ص) أن ينحدر المسلمون فى سلم القيم الربانية التى بلغوها بالاسلام فكان يقول : « لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » (٣) ٠

وربما كان مصدر هذا القلق ما علمه الرسول من أن المؤمنين فى موقف دقيق ، يتطلب منهم أن يقيموا التوازن العادل بين تعاليم الله ورغبات النفوس ، فان أى ترجيح للاهواء ينتهى الى تغلب قيم الارض على قيم السماء فكان عليه الصلاة والسلام ينبه الى الاعراض الخطيرة التى تنشأ من ذلك فى حياة المسلمين فقال : « ما نقض قوم عهد الله ورسوله الا تسلط عليهم عدو من غيرهم ، يأخذ بعض ما كان فى أيديهم وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله ، وتجبروا فيما أنزل الله الاجعل الله بأسهم بينهم » (٤) ولا يعوزنا الدليل فى حياتنا الحاضرة على صدق الخبر ٠

فلم كتب علينا أن نقاسى سريعا مما صنعته ايدينا ، وجلبناه على أنفسنا ؟ ألسنا بمسلمين ، ألسنا أحق الناس برحمة الله ورأفته ؟

بلى ، ولكن الله قال : « ان رحمة الله قريب من المحسنين » (٥) وان الله قد وعد هؤلاء رفيع المنزلة ، وسنى الجوائز وعالى المقامات وعظيم الثواب ، ولكن ليس وعدا جزافا ، ان هو الا جزاء الواجبات العظيمة والمهمات الشاقة التى كلف بها المؤمنين ٠

اننا نجد فى شرع الله كله أن

١ـ البقرة : ١٣٢ ٢ـ البقرة : ١٣٠

٣ـ رواه احمد فى مسنده ومسلم والبخارى والنسائى وابن ماجه

٤ـ فى حديث رواه ابن هشام فى السيرة (م٢ص ٦٣١) عن عبد الله بن عمر ٠ ورواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس بلفظ مختلف وقال حديث صحيح ٠ وهو خمس بخمس ٠ ما نقض قوم العهد الا سلط عليهم عدوهم ٠ وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر ولا ظهرت الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا المكيال الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر ٠

٥ـ الاعراف : ٥٦

هؤلاء الذين حباهم ربهم بالفضل العظيم والمسؤولية الكبرى في موقف بالغ الدقة والحساسية ، ان احسنوا فازوا بأجرين ، وان أساؤوا عوقبوا ضعفين ، قال تعالى :

« يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ، وكان ذلك على الله يسيرا • ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين ، وأعتدنا لها رزقا كريما »(١) •

ذلك أن الله يجعل الثواب والعقاب ، مكافئا لاحوال المكلف ، ومقدار التكليف ، والاحسان أو الاساءة فيه •

الا ترى ان فرعون « يقدم قومه يوم القيامة »(٢) لانه المسؤول عن استخفافه قومه ، وايرادهم النار ! وان امرأة فرعون بنى الله لها قصرا فى الجنة ، اذ استطاعت ان تنجو بقلبها من الوسط الكافر • وهو أمر لا بد فيه من الجهد والعناء ، ومكافحة الموانع والحوائل مكافحة مريرة ، فى سبيل استنقاذ النفس من براثن الكفر الحاكم ؟

لقد استبان الامر ، اذ حصحص الحق ، اننا عهد الينا بالقوامة على الناس والشهادة عليهم فى اتباع شرع الله ، قال تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا » (٣) •

لقد كرمنا الله بمسؤولية الشهادة على الناس ، ما حكمنا بشريعة الله والرسول •

فبذلك نكون من المحسنين ، ومن رحمة الله قريبين • وأجرنا باذن الله ــ أجران : اجر الاسلام وأجر القيام على الناس بالاسلام •

فان أبينا الكرامة ، وتخلينا عن الواجب ، وقع علينا ما أنذرنا الله به ورسوله ، نالتنا عقوبة الله مضاعفة ، وخسرنا خسرانا كبيرا ، خسرنا أنفسنا وخسرنا حق الشهادة على الناس ، فلم يعترف لنا به الامم ، بل صرنا موطىء اقدامهم •وقصعةأكلهم• وموضع المهانة والاذلال • ان اصطفاء الامة الاسلامية لرسالة الله ، تضعها فى هذا الموقف الدقيق الحساس ، وتجعل منها أمة نسيج وحدها : أمة من شجرة مباركة ، لا شرقية ولاغربية تولى وجهها شطر المسجد الحرام ، فلا تدور فى فلك أحد ، بل تدور

١ــ الاحزاب : ٣١
٢ــ هود : ٩٨
٣ــ البقرة : ١٤٣

فى فلكها الامم ، لانهـــا منحت دور الشهيد فى تنفيذ شرع الله • والقائم بهذه المهمة لا يستوحي من غيره ، ولا يقبل خضوعا ولا تبعية ، ولا تتم له الرسالة الا بالاستقلال عن المؤثرات الغريبة ، وبامتلاك قوة التأثـــــير والتوجيـــه •

خاتمـــة :

وهكذا يتحقق الاقتداء بالاخذ من عالم الاصطفاء ، والتأثر بالمصطفـين الاخيار ، تأثرا يتفاوت عمقا بتفاوت استعداد المتأثرين ،واخلاصهـــــم ، وحرصهم على التمثـــل والانفصال ، والضرب من المثل المصطفى ، ثم تجرى عملية التمثل الذاتى والتربيـــة الوجدانية ، يأخذ المؤمن بها نفسه • فاذا انتقلت اليه الصفات والاخـلاق، وصارت فى سلوكه وافعالـه ، ظهر أثرها فى المجتمع وانتفعوا بهـــا ، واصطبغت بها أعمال الامـــة ، اذا كثر المعتقدون ، وغلبوا على الخبث • وبهذا ترتقى الامة ، وتبدأ عصـــرا جديدا ، ومدنية جديدة ، أركانهـــا الاخلاق والمبادىء الالهية التى لا تحد من نشاط الانسان ، ولا تضيق عليه المجال ، بل تفتح ملكاته ،وامكانياته، على ما فى هذا الوجود من الاسرار ، والعجائب ، ليزداد يقينا على يقين • وتقدما على تقدم ، وكمالا على كمال •

لا هزيمة فى الاسلام

عن على رضى الله عنه قال : لمـــا انجلى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد نظرت فى القتلى فلم أر رسول الله فقلت :

والله ما كان ليفر ومـــا أراه فى القتلى ولكن أرى الله غضب علينـــا بما صنعنا فرفع نبيه فمالى خير من أن أقاتل حتى أقتل • فكسرت جفن سيفى ثم حملت على القوم فأفرجـوا لى فاذا أنا برسول الله صـــلى الله عليه وسلم بينهم •

أخبار الجامعة

* بدأت الجامعة موسمها الثقافي لعام ٨٩ / ٩٠ هـ وذلك مساء الاثنين الموافق ٢٠ / ١٠ / ٨٩ بمحاضرة عنوانها (من أسرار الحج) ألقاها فضيلة نائب رئيس الجامعة الشيخ عبد العزيز بن باز وذلك في مقر دار الحديث بالمدينة وقد استمع الى المحاضرة جمع غفير من أهل العلم ورجال التربية والمدرسين وطلاب العلم .

وفي الأسبوع التالي وفي ٢٧/١٠/٨٩هـ القى فضيلة الشيخ أبو بكر جابر الجزائري المدرس بكلية الشريعة بالجامعة . . المحاضرة الثانية وكانت بعنوان (الجهاد في الاسلام) .

* صدر العدد الأول من السنة الثانية من (مجلة الجامعة الاسلامية) وهو حافل بالبحوث والمقالات بأقلام نخبة من علماء الجامعة والمفكرين من سائر البلاد . والجدير بالذكر أن الدار السعودية للنشر والتوزيع بجدة استلمت كمية كبيرة منها ، لتوزيعها على المكتبات في سائر أنحاء البلاد . بصفتها المتعهد بتوزيع المجلة . هذا بالاضافة إلى كميات كبيرة أخرى ترسلها ادارة الجامعة إلى المؤسسات والجمعيات الاسلامية في سائر أنحاء العالم الاسلامي.

* (من زوار الجامعة في الأسابيع الأخيرة الماضية) :

زار الجامعة : السيد سي . إيم . محمد السكرتير بوزارة الخارجية الهندية . وقد اجتمع بالمسئولين ولقي منهم كل ترحيب . . ثم قدمت له الجامعة هدية لسيادته مجموعة من الكتب والمطبوعات باللغة الانكليزية والعربية .

كما قام بزيارة الجامعة سعادة السفير الفلبيني حيث استقبله أعضاء البعثة

الفلبينية بالجامعة في المطار . . وقد اجتمع سعادته بفضيلة نائب رئيس الجامعة والمسئولين . .وزار الجامعة أيضاً الأستاذ حسن ادريس رئيس قسم التربية والتعليم بالمجلس الاسلامي في كلنتان . .

* وفي ٢٨ / ١٠ / ٨٩ هـ قام بزيارة الجامعة وفد رسمي من الاتحاد العام لكليات المغرب يرافقهم سعادة مدير التعليم بالمدينة الاستاذ عبد العزيز الربيع ومدير التربية الفنية بوزارة المعارف الاستاذ محمد الحجار والأستاذ أحمد غلام .

هذا وقد اجتمع أعضاء الوفد بفضيلة نائب رئيس الجامعة الشيخ عبد العزيز بن باز وفضيلة الأمين العام الشيخ محمد العبودي وفضيلة الدكتور تقي الدين الهلالي المدرس بكليات الجامعة ودام الاجتماع حوالي نصف ساعة قام بعدها أعضاء الوفد بالتجول في أقسام الجامعة وشاهدوا منشئاتها الحديثة وزاروا الطلاب في فصولهم الدراسية في كليتي الشريعة وأصول الدين . .

وبعدها تلقوا كميات من الكتب والمطبوعات وأعداداً من مجلة الجامعة وذلك هدية من ادارة الجامعة الاسلامية.

* أرسلت الجامعة كميات من الكتب باللغة الانكليزية والعربية الى جمعية التبليغ بزامبيا . . وذلك بعد أن رفع الحاج ابراهيم منش من زامبيا إلى إدارة الجامعة طلباً بذلك .

* في ١ / ١١ / ٨٩ هـ زار الجامعة أعضاء البعثة الطبية وبعثة الحج الأندونيسية برئاسة الأستاذ سمعون . . يرافقهم الأستاذ محمد عمر مراد المشرف على شئون الحج بالسفارة الأندونيسية بجده .وكان من زوار الجامعة أيضاً :

* السيد مختار شور السكرتير العام بوزارة التجارة في الجمهورية الموريتانية
السيد مكه حبيب تال زعيم الشباب المسلمين في السنغال .
السيد محمود دي سل ضابط متقاعد من الجمهورية الموريتانية .
السيد تجان نذير سل . من دكار .

* وفد جمعية رابطة العلماء بالعراق محافظة الرمادي .

* محمد البغى جه الأمين العام لنقابة مدرسي اللغة العربية في السنغال .

* محمد منير الزبير من باكستان الغربية محرر جريدة الاعتصام وسكرتير مدرسة أهل الحديث .

* الوفد الموريتاني :

رئيس الوفد : معالي وزير التربية أحمد بن عمر .

وعضوية كل من: محمد بن غالي حاكم منطقة بو تيلميت . الحاج الحسن بن ملاوى من كبار التجار في نواكشوط. عبد بن محمد فال من كبار التجار في نواكشوط . بيكر باه من رؤساء القبائل .

* محمد شاكر الناق – عبد الغني أبو بكر مدرسان للغة العربية في بورتو نوفو بداهومي .

* السيد الأستاذ محمد أسلم سكرتير جمعية دعوة تبليغ الاسلام (تييم خانه بمليبار)

* الدكتور لطفي روغان من أنقرة من تركيا عضو المجلس الديني . والأستاذ بكلية الإلهيات .

---

* صدر حديثاً كتاب (**منهاج المسلم**)الطبعة الثانية للشيخ أبى بكر جابر الجزائري المدرس بكلية الشريعة بالجامعة . وتمتاز هذه الطبعة بزيادات وتنقيحات من المؤلف كما أنها بدت فاخرة جيدة فيما يقارب الستمائة صفحة . .

* كما صدر أيضاً كتاب (**دخول الاسلام إلى حضرموت**) لمؤلفه الاستاذ صالح بن هلابي وهو يطبع لأول مرة . ويعتبر دراسة فريدة من نوعها لهذا الحدث العظيم في تاريخ هذا الجزء الهام من الجزيرة العربية . . وفي الكتاب جهد قيم مشكور . والجدير بالذكر أن المؤلف لا يزال طالباً في السنة الثالثة من كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة .

(نشاط الندوات)

قرر مجلس الجامعة تعليمات للاشراف الاجتماعي وفيها القيام بندوات تربوية تحت اشراف المشرف الاجتماعي يدعى لكل اجتماع مدرسان او اكثر لالقاء كلمات توجيهية والاجابات على اسئلة الطلاب التي تعد لهم في شتى المواضيع والمناسبات .

وقد قام المشرف الاجتماعي بمباشرة

هذه الندوات في آخر السنة الدراسية ٨٨ الماضية حيث حصلت خمسة ندوات وفي مطلع السنة الدراسية الحالية ٨٩ بدأت الندوات كالتالي :

١ ــ الندوة الأولى في البناء الأول من المباني السكنية لطلاب الجامعة في ٤ / ٨ / ١٣٨٩هـ وحضر هذا الأجتماع من المشايخ : (١) الدكتور تقي الدين الهلالي والقى كلمة بعنوان (هدف طالب العلم الناجح) (٢) الشيخ عبد المحسن العباد والقى كلمته بعنوان (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) (٣) الشيخ محمود الطحان والقى كلمة بعنوان (الأخوة) كما القى احد طلاب المبنى كلمة بعنوان (احوال الصحابة)

٢ ــ الندوة الثانية في المبنى الثاني في ١٠ / ٨ / ١٣٨٩ هـ وحضر هذا الإجتماع من المشايخ : (١) الشيخ إبراهيم السلقيني والقى كلمة بعنوان (واجب طالب العلم) . (٢) الشيخ ممدوح فخري والقى كلمة بعنوان (الجانب الروحي في حياة الطالب)

٣ ــ الندوة الثالثة في البناء الثالث في ١٨ / ٨ / ١٣٨٩ هـ وحضرها من المشايخ : (١) الشيخ ربيع هادي المدخلي وطلب منه الحاضرون ان يتكلم عن حالة المسلمين في الهند فالقى كلمة في ذلك ، والجدير بالذكر أنه كان عضواً في بعثة الجامعة العلمية إلى مدارس الهند . (٢) الشيخ سعيد المولوى والقى كلمة بعنوان (صلة الادب بالدعوة) كما القى الطالب الموريتاني خليل جاكيتي كلمة بعنوان (رمضان شهر الصيام ومدرسة النفوس) والقى الطالب سالم باكوبن من حضرموت قصيدة (القدس)

٤ ــ الندوة الرابعة في المبنى التاسع في ٢٥ / ٨ / ١٣٨٩ هـ وحضر من المشايخ : (١) الشيخ علي مشرف العمري والقى كلمة بعنوان حكم العمل بالحديث الضعيف . (٢) والشيخ رامز عبد الفتاح واجاب على اسئلة عامة مختلفة . كما القى الطالب محمود صالح عبد الرحمن من كينيا كلمة بعنوان فوائد الاجتماعات ، والقى الطالب جمعة باشا من السنغال كلمة بعنوان العلم وفوائده .

٥ ــ الندوة الخامسة وحضرها من المشايخ الشيخ محي الدين القضماني والقى كلمة بعنوان التاريخ الاسلامي

واثره في حياة المسلمين ، كما القى الطالب محمد خير من الصومال كلمة بعنوان الاخوة في الاسلام ، والقى الطالب احمد الحصين كلمة بعنوان الماركسية والغزو الفكري . ومن الجدير بالذكر ان اسئلة كثيرة تنهال من الطلاب ويجيب على الكثير منهـا المشايخ الذين يحضرون الندوة في جو رائع مفعم بالأخوة والمحبة .

في تاريخ ١٠ / ١١ / ٨٩ عقدت الندوة الأولى في الموسم الثاني في قاعة مبنى الادارة القديمة وكان البرنامج كما يـلي :

١ ـ قراءة ما تيسر من القرآن .

٢ ـ كلمة فيها بيان اهداف الندوات وفوائدها للطالب عبد الحميد ابو زنيد الذي يعتبر رئيس اللجنة المباشرة لادارة الندوات .

٣ ـ كلمة بعنوان : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) للطالب : الصديق الأمير من السودان .

٤ ـ التعريف ببلد اسلامي وكان البلد المعرف في هذا الاجتماع : (أندنوسيا) للطالب الاندنوسي مغفور عثمـان .

٥ ـ كلمة فضيلة الشيخ محمد شريف الزيبق بعنوان : « نحن والحضارة الغربية » تناول فيها واجب المسلمين نحو هذه الحضارة بأن ياخذوا النافع منها ويتركوا الضار .

ويلاحظ ان كلمـات اصحاب الفضيلة تؤخر إلى نهاية البرنامج حتى تتسنى لهم الفرصة لملاحظة ابنائهم الطلبة وإعطاء الارشادات اللازمة .

٦ ـ ثم الاجابة على الاسئلة ، وتولاها فضيلة الشيخ الزيبق ايضا .

٧ ـ ثم شكر وتعليق للمشرف الاجتماعي . وانفضت الجلسة .

في ١١ / ١١ / ٨٩ عقدت الندوة في قاعة المبنى الثاني . وكان برنامجها كما يـلي :

١ ـ قراءة ما تيسر من القرآن .

٢ ـ كلمة بعنوان : « الدعوة في ارض الوطن » للطـالب ابي هريرة عبد الرحمن من الفلبين .

٣ ـ كلمة بعنوان : (التقـوى) لأحمد القبيسي من العراق .

٤ ـ التعريف ببلـد اسلامـي (نيجيريا) للطالب النيجيري : يوشع صـادق .

٥ ـ الخطر الصهيوني والصليبي لفضيلة الشيخ عبد القادر شيبة الحمد .

٦ ـ الاجابة على الأسئلة تولاها فضيلة الشيخ المذكور .

٧ ـ تعليق المشرف وكان حضا للطلاب على اغتنام فرصة هذه اللقاءات وما فيها من فوائد .

في ٢٥ / ١١ / ٨٩ عقدت الندوة الثالثة في المبنى الثاني وكانت كما يلي :

١ ـ قراءة ما تيسر من القرآن .

٢ ـ واجب الشاب المسلم للطالب عبد الرحمن عثمان من الصومال .

٣ ـ قصيده للطالب احمد صياصنه من سوريا بعنوان : هذا هو الطريق .

٤ ـ كلمة قيمة جـداً بعنوان : صياغة المسلم وبناء المجتمع لفضيلة الشيخ احمد حسن فرحات .

٥ ـ التعريف ببلاد تايلند لاحد طلابها .

٦ ـ الاجابة عن الاسئلة تولاها فضيلة الشيخ احمد حسن .

٧ ـ شكر من المشرف واجابة عن بعض الاسئلة التي وجهت اليه .

(نشاط الرحلات)

من النشاطات التربوية التي يقوم بها الاشراف الاجتماعي نشاط الرحلات والهدف منها هو :

١ ـ التعرف على الأماكن التاريخية لتطبيق المعلومات التي تدرس عنها .

٢ ـ زيادة المعلومات التي لم تتح الفرص لاستيعابها في فصول الدراسة .

٣ ـ حل بعض المشاكل العلمية حين التقاء المشايخ بابنائهم الطلبة .

٤ ـ تحقيق التعارف بين الطلاب .

٥ ـ الاستجمام والراحة العقلية والتمتع بالسياحة في الفضاء والقيام ببعض الألعاب الرياضية .

٦ ـ القيام بالدعوة والارشاد في المساجد التي تتوجه الرحلة إلى منطقتها .

وفي خلال السنة الدراسية ٨٨ / ١٣٨٩ هـ قام الطلاب بالتعاون مع الاشراف الاجتماعي بعدد من الرحلات . وآخرها رحلة قاموا بها إلى منطقة (أحد) . . اشترك فيها فضيلة نائب رئيس الجامعة الشيخ عبد العزيز ابن باز ومن المدرسين الشيخ عبد القادر

شيبة الحمد والشيخ حماد الأنصاري . وكان من أهم فقرات برنامج هـــذه الرحلة :

١ – تلاوة القرآن الكريم .

٢ – كلمة توجيهيه لفضيلة نائب رئيس الجامعة .

٣ – كلمة للشيخ عبد القادر شيبة الحمد عن الجهاد في سبيل الله .

٤ – قام الشيخ حماد الأنصاري على رأس فريق من الطلاب بتمثيـــل صلاة الخوف عملياً .

٥ – كلمة القاها الطالب صالح ابن سعيد بن هلابي بعنوان محنة الاسلام في القرن الرابع عشر .

٦ – قصيدة عن غزوة أحد القاها الطالب سليمان العمري .

هذا بالاضافة الى زيارة منطقة الغزوة والاستماع الى شرح مفصل على أرض المعركة ثم زيارة قبور الشهداء الزيارة الشرعية .

وقد كانت رحلة ممتعة حافلة إلى جانب ما ذكر بألوان شتى من مظاهر البهجة تظللها الأخوة والمحبة بوارف الظلال . . وعندما عاد الجميع إلى المدينة كانت القلوب تحمل معهـــا ذكريات جميلة جليلة عن هذه الرحلة .

نعتذر عن وقوع بعض الأخطاء المطبعية في هذا العدد وفي العدد الماضي وهي لا تخفى على ملاحظة القارىء الكريم ولعلنا نستدرك بعضها في العدد القادم إن شاء الله . . .

المحتــــوى